جامعة البصرة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

سردية النص السيري
(سيرة ابن هشام أُنموذجاً)

رسالة تقدم بها الطالب

غانم حميد عبودي الزبيدي

الى مجلس قسم اللغة العربية ، في كلية الآداب/جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

بإشراف

الأُستاذ المساعد الدكتور

لـــــؤي حمـــزة عـــباس

١٤٣١هـ ٢٠١٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"

صدق الله العلي العظيم

الأحزاب ٢١

الإهداء

الى الذي :

"بلغَ العلى بكماله

كشفَ الدجى بجماله

حسُنَتْ جميعُ خصاله

صلوا عليه وآله "

شكر وتقدير

((من لم يشكر الناس، لم يشكر الله))

حديث نبوي شريف

لا يسعني في هذا المقام إلا أن احمد الله وأشكر فضله ، ثم أتقدم بالشكر الى أساتذتي في قسم اللغة العربية ، في كلية الآداب/ جامعة البصرة ، الذين غمرونا –نحن الطلبة– برعايتهم ، وأفاضوا علينا من علومهم و معرفتهم و أخلاقهم.

كما أشكر زملائي في رابطة حوار الثقافية ، وزملائي في مجلة "قراءات" ، لا سيما الذين أمدوا البحث بملاحظاتهم .

شكري الى زملائي الأعزاء في الإشراف الاختصاصي ، وأصدقائي أساتذة جامعة ميسان ، و أصدقائي في اتحاد أدباء ميسان الذين دعوا لي بالتوفيق ، و الى مكتبتنا العزيزة "مكتبة التفكر" ، وشكر خاص الى زوجتي الغالية ،التي بذلت ما بوسعها من أجلي... كما أشكر كل الأصدقاء الذين تابعوا البحث واهتموا بإنجازه...

الباحث

توصية المشرف

أشهد أن اعداد هذه الرسالة ، جرى تحت اشرافي في كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير، في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع

المشرف :أ.م.د.لؤي حمزة عباس

بناءً على التوصية ، أُرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

رئيس قسم اللغة العربية

توصية لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على رسالة الطالب: (غانم حميد عبودي الزبيدي)، الموسومة:((سردية النص السيري ــ سيرة ابن هشام أُنموذجاً))، وقد ناقشنا محتوياتها، وما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول، بتقدير( )، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع
الاسم:أ.م.د.أحمد حياوي مهجر
التاريخ:
رئيس اللجنة

التوقيع
الاسم:أ.م.د.عقيل عبد الحسين
التاريخ
عضواً

التوقيع
الاسم:م.د.سعيد عبد الهادي المرهج
التاريخ:
عضواً

التوقيع
الاسم:أ.م.د. لؤي حمزة عباس
التاريخ:
عضواً ومشرفاً

صدّق مجلس كلية الآداب ، على قرار لجنة المناقشة.

التوقيع
أ. د . شهاب أحمد ناصر
عميد كلية الآداب وكالةً
التاريخ:

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ -٦
التمهيد : السرد والسيرة	٧-٢٨
ــ ما السرد ؟	٨
ــ ما السيرة ؟	١٣
ــ مركزية النص السيري:	١٧
أ- المركزية السردية	١٧
ب- السيرة تشكل النوع	٢٠
ــ سردية النص التاريخي	٢٣
الفصل الاول : المركزية الثقافية لسيرة ابن هشام	٢٩-٧٤
المبحث الاول :التهذيب وحمولات الثقافة	٣٠
١- السيرة وأفق التدوين	٣٠
٢- أزمنة السيرة النبوية	٣٢
٣- إستراتيجية التهذيب : مقاصد التهذيب	٣٩
٤- وظائف الرواة في سيرة ابن هشام	٥١

المبحث الثاني:أخبار النبوءات والعجائبيات(تعالق السردي بالثقافي)	٥٧
١ – أخبار النبوءات	٥٧
٢ – أخبار العجائبيات	٦٢
"المعراج" العجائبي : الإحتماء بالمقدس	٦٥
عجائبية الشيطان : الصورة بوصفها بلاغة	٧١
الفصل الثاني : تنوعات السرد في سيرة ابن هشام	٧٥–١٢٥
المبحث الأول : الخبر وموقعه من الأجناس الأدبية	٧٦
تعريف الجنس وأصوله	٧٦
الأجناس الأدبية في الثقافة العربية	٧٨
المبحث الثاني : تنوعات الإِخْبار في سيرة ابن هشام	٨٨
السيرة : خبر	٩١
– معنى الخبر	٩١
– الخبر والتاريخ	٩٢
– الخبر السيري	٩٤
السيرة : قصة	٩٩
أسلوبا السرد	١٠١
المكونات السردية الأساسية لقصص السيرة	١٠٢
– الحادثة	١٠٢
– الشخصية	١٠٣
– الفضاء الزماني	١٠٤
– الفضاء المكاني	١٠٦
تقنيات السرد في قصص السيرة النبوية :	١١٠

١- انساق البناء القصصي:المتتابع-المتناوب-التضمين	١١٠
٢- الوصف	١١٣
٣- الحوار	١١٥
٤- الإثارة	١١٧
٥- المغزى	١١٨
السيرة : حديث	١٢٠
- معنى الحديث	١٢٠
- الخبر والحديث	١٢١
السيرة: "ذكر" - "أمر"	١٢٣
الفصل الثالث:البنية السردية لأخبار النبوءات في سيرة ابن هشام	١٢٦-١٤٦
المبحث الأول: أنماط الخبر النبوئي	١٢٧
أنماط الخبر	١٢٧
- أنماط الخبر النبوئي السيري	١٢٨
المبحث الثاني : المكونات الحكائية لأخبار النبوءات	١٣٣
- أقسام الخبر النبوئي	١٣٣
ـ عناصر السرد في الخبرالنبوئي	١٣٤
١ ــ بنية الفضاء السردي	١٣٤
أ- الزمن الحكائي	١٣٤
ب- المكان الحكائي	١٣٦
٢ ــ الشخصية	١٣٧
٣ ــ بناء الحدث	١٣٨
خطاب السرد في الخبر النبوئي	١٤٠
١ - الراوي	١٤٠
أ- راوٍ خارجي	١٤١

ب- راوٍ داخلي	١٤٢
ج- التبئير	١٤٢
٢- المروي له	١٤٤
أنموذج تحليلي "أمر ملك اليمن وقصة شق وسطيح معه"	١٤٧-١٧١
الفضاء الثقافي للنبوءة	١٥١
بناء السرد في النبوءة: - بنية العنوان	١٥٣
- بنية الفضاء السردي	١٥٤
- بنية الحدث	١٥٨
- الشخصية	١٦١
خطاب السرد في النبوءة	١٦٤
الراوي	١٦٤
المروي له	١٦٧
أنساق السرد في النبوءة : الدائري- الإيقاعي – الإنشادي	١٦٨
الخاتمة والنتائج	١٧٢-١٧٥
المصادر و المراجع	١٧٦-١٩٢
الملخص باللغة الانكليزية	A-B

المقدمـــــــــة

المقدمة

تشكل السيرة النبوية ، إحدى أهم المرجعيات التأسيسية للثقافة العربية الإسلامية ، فهي ثاني اثنين ، بعد القرآن الكريم ؛ لما تتضمنه من حياة النبي"صلى الله عليه وآله وسلم" التي تمثل القيمة الروحية العليا في عقل كل مسلم ووجدانه ، وسُنته الشريفة ، التي تعدُّ المصدر التشريعي الثاني عند فقهاء المسلمين..، وقد أضفى الإرتباط العاطفي بشخص الرسول الكريم"ص"، لدى المسلمين الرغبة في معرفة كل تفاصيل حياته ، والإقتداء بها..

تعدُّ سيرة محمد بن اسحاق المطلبي (ت:١٥٢هـ =٧٦٩م، أو ١٥١هـ = ٧٦٨م)، أشهر السيّر التي أُلفت في القرن الثاني الهجري، بعد ذلك رواها، في القرن الثالث، بصورة مهذبةٍ ومنقحةٍ " أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت:٢١٨هـ = ٨٣٣م ، أو ٢١٣ هـ =٨٢٨ م) .

وبعد التطور المشهود ، في حقل النقد السردي في الأدب الغربي ، و انفتاح التيار النقدي العربي على الوافد الغربي من المناهج النقدية ، فان الدراسات النقدية العربية بدأت تولي دراسة نصوص السرد العربي القديم اهتماماً ، بغية إعادة النظر في هذا التراث ، عن طريق مساءلة تلك النصوص وتحليلها علمياً في ضوء النظريات النقدية المعاصرة ،وقد ساعد على ذلك أن تراثنا العربي مفعم بالنصوص السردية المختلفة ، التي ما زالت أرضاً بكراً لم يطأها النقد وآلياته . أما المتن السيري ، بالتحديد ، فلم يأخذ حصته من الفحص في الدراسات التي تعرضت له، بل نجد أغلب هذه الدراسات قد وجهت عنايتها الى مسألة صحة الروايات، أو كذبها، والاشتباك مع الآخر لإثبات القضايا المذهبية والعقائدية.

كذلك سلطت بعض الدراسات الضوء على السيرة النبوية الشريفة، للاهتمام بحياة النبي الأكرم "ص"، وأخذ السلوك الأخلاقي والتشريعي منها، كما نجد ذلك في كتب الأخلاق، والكتب الأصولية ، التي تُعنى باستنباط الحكم الشرعي.

وبعد أن عرض عليَّ أستاذي المشرف الدكتور لؤي حمزة عباس الموضوع وشجعني على اختياره ؛ قرأت سيرة ابن هشام وعاينت أخبارها ، فرأيت أن أخبار هذه

السيرة قد توزعت عناوينها بين عنوان يختصر الحدث مثل (حجة الوداع ،غزوة أُحد ..الخ) وبين عناوين لها تنوع إجناسي مثل:(القصة والخبر والحديث والذكر والأمر) مثال على ذلك : (خبر الإفك أو قصة المعراج أو حديث بنيان الكعبة ، أو ذكر ورقة بن نوفل ، أو أمر الحُدَيبِية) وتساءلت بعد ذلك : هل كان ابن هشام واعياً لهذا التوزيع الإجناسي للأخبار السيرية، حينما وضع لها هذه العناوين ؟. وهل كان حريصاً على بناء أخبار السيرة النبوية على وفق آليات فنية وقوانين جمالية خاصة ؟ وهل أسست الأخبار النبوئية المبثوثة في السيرة النبوية وعياً معرفياً استشرافياً لثقافة اسلامية قادمة ؟ ومن خلال تتبع النص السيري ، اتضح أنه يتضمن الكثير من ملامح السرد وآلياته ، بشكل يسمح بفحص مكوناته وعناصره وأساليبه و وسائله ، فضلاً عن ذلك أن الدراسات لم تتناول مظاهر السرد فيه ، ظناً منها أنه ينتمي الى التاريخ لا الى الأدب . كل ذلك دعا البحث الى قراءته قراءة سردية ، ومحاولة الوصول الى المكونات السردية لأخباره .

كما أن دراسة السرد في النص السيري- بوصفه تدويناً للحوادث التاريخية- لا يعد تجاوزاً أو إلغاءً للتاريخ- كما في مبالغات ما بعد الحداثيين والتاريخيين الجدد – بل هو تفكيك للمنظومة الخبرية له ، و رصد حركتها داخل الثقافة **دون تكذيب شيء أو تصديق شيء آخر** . فالدراسة تسعى لوضع اليد على **مكونات بنية النص السيري**، وآليات تنظيمه، وتقنيات سرده، وغايات تأليفه، **وموقعه من الثقافة، وموقع الثقافة منه** ؛ ولهذا فإن التحليل السردي لمتن السيرة ، ينأى بنفسه عن تقوية بعض الأخبار أو إضعافها. كما **أن البحث لم ينشغل بالتاريخ بقدر ما كان منشغلاً بالنص السيري بوصفه نوعاً أدبياً نثرياً** ، عبر مساءلته نقدياً بطرح السؤال السردي عليه- ذلك الذي يختلف عن الأسئلة الأخرى – ومحاولة الإجابة عنه ، توسلاً "**بممكنات النص**" **ومؤهلاته الأدبية** ، حيث يحقق المتن السيري ، تداخلاً بين **فضائين- الأدبي والتاريخي**- أضفيا على النص إغراءً للدخول الى تخومه والتجوال داخل طبقاته.

ركز البحث على الإحاطة بعناصر السرد في نص السيرة النبوية وتحليلها من خلال المنظورين النظري والتطبيقي ، وقد أخذت أخبار النبوءات النصيب الأكبر من الدرس لما إختزنته، من ثراء سردي كبير.

اعتمد البحث **منهجاً بنيوياً ثقافياً منفتحاً** – الانفتاح يعني عدم الاقتصار على منهج واحد– للخطوات الإجرائية التي مارسها في فحص مؤسِّسات الخبر السيري مستفيداً من إنجازات هذين المنهجين وأدواتهما ، التي من شأنها أن تمنح النص وسيلة ما، للكشف عن مكنوناته وأسراره ؛ بما يضع النص السيري داخل المشهد النقدي المعاصر من أجل فحص مضامينه وإضاءة دلالاته. كما يرسم هذا المنهج المرن شكل العلاقة بين المنجز التراثي وحركة المنهج ، وهو يمارس حواره النقدي ، ليؤصل هذا التراث بإضاءته وإخراجه من العمى الى البصيرة ، ليهبه موقعه الثقافي وذكاءه السردي اللذين يستحقهما، ولما كانت النصوص تتنفس هواء الثقافة المحيطة بها ؛ فلم يغفل البحث معاينة النص السيري ثقافياً، وهو يتعالق مع العالم بحيث تم التعامل مع أخبار النص السيري، ضمن معطيات الثقافة، بمايوسع دلالاتها، ويمنحها أفقاً جديداً، ضمن ما يسمى بـ"مهيمنات الثقافة"، في زحزحة النصوص، وصولاً الى "إعادة التوجيه" ؛ فالبحث يجمع ما بين "**ممكنات النص**" و"**مهيمنات الثقافة**"، ، من خلال حوار النص– الثقافة، فالمنهج المتّبع في هذا البحث، يمتلك عينين : عيناً على النص، وعيناً على الثقافة، التي يحيا فيها ذلك النص، دون إغماض إحداهما!

وهذا الانفتاح المنهجي، ينأى بالمنهج عن أن يكون متعسفاً ، أو يمارس سجناً للنصوص ؛ بل على العكس ، يحقق المنجز النقدي الحديث "محواً" للفواصل بين التراث والحداثة، ويؤمّن صلةً مع ما أُنجز سابقاً وما ينجز اليوم.

وقد افاد البحث في استكمال مباحثه، من كتب السرد المختلفة منها جهود النقاد الغربيين، أمثال "جيرار جينيت"، و"تودوروف" و"شلوميت كنعان"، وغيرهم، كما اعتمد على كتب دراسة السرد العربي، مثل كتاب "موسوعة السرد العربي" للدكتور عبد الله ابراهيم، وكتاب "الخبر في الأدب العربي" للدكتور محمد القاضي، وكتاب "الخبر في السرد العربي" لسعيد جبار، وكتاب سعيد يقطين ، "الكلام والخبر" ، وكتاب الدكتور لؤي حمزة عباس "سرد الأمثال" ، وكتاب أيمن بكر "السرد في مقامات الهمذاني"، وغيرذلك من الكتب السردية الأخرى. كما أفاد البحث من بعض الرسائل العلمية المختلفة مثل : "بناء الحكاية في تاريخ الطبري" للدكتور سعيد المرهج، و"التحولات السردية في مقامات الهمذاني" للدكتور عقيل عبد الحسين. أما في النقد الثقافي ، فقد كان كتاب الدكتور نادر

كاظم "الهوية والسرد"، وكتاب "نظام الزمان العربي" للدكتور رضوان سليم ، خير معين في معرفة ارتباط السردي بالثقافي.

انتظم البحث على هيكلية ضمت تمهيداً وثلاثة فصول، وأنموذج تحليلي. قسم التمهيد على أربعة محاور، في المحور الأول تم التعريف بالسرد ، إذ أنه الفرضية التي أراد البحث أن يثبتها في النص السيري، أما في المحور الثاني فقد تم التعريف بالسيرة، بوصفها البؤرة التي يتمركز البحث فيها، والفضاء التي يعمل عليها. كما تعرض التمهيد في المحور الثالث الى مركزية النص السيري بشقيها : المركزية السردية و السيرة تشكل النوع، لبيان موقع النص السيري ضمن الأدب العربي، و إثبات أن سيرة ابن هشام كانت رحماً لتوالد العديد من السرود الأدبية العربية. أما المحور الرابع من التمهيد ، فقد درس "سردية النص التاريخي" لإثبات أن المظاهر السردية متغلغلة في النص التاريخي ، وأن النص التاريخي يوظف تقنيات السـرد وآلياتـه.

تناول الفصل الأول المركزية الثقافية لسيرة ابن هشام ، وقد قسم هذا الفصل على مبحثين، تناول الاول : التهذيب وحمولات الثقافة ، درس فيه التهذيب الذي أجراه ابن هشام على سيرة ابن اسحاق، وكيفية التأثير الثقافي على ذلك التهذيب، بينما عالج المبحث الثاني : أخبار النبوءات والعجائبيات وتعالق سردهما بالثقافي ومعرفة تأثير الثقافة في بناء أخبارهما ، ويكشف عن حضور الخبر النبوئي والعجائبي في بنية الثقافة العربية ، وتمكنه من رسم المعرفة الراهنة والمستقبلية.

خُصص الفصل الثاني لدراسة التنوعات السردية في النص السيري ، عبر مبحثين، تناول الأول موقع الخبر من نظرية الأجناس ، بالتتبع التاريخي لهذه النظرية ، فيما تناول المبحث الثاني تنوعات الممارسة الإخبارية في سيرة ابن هشام، وهذه التنوعات هي: الخبر، القصة، والحديث، الذكر ،الأمر، ومعرفة خصائص الأخبار التي تم بموجبها، منح تلك الأخبار هذا التنوع الإجناسي.

أما الفصل الثالث، فقد درس البنية السردية لأخبار النبوءات في سيرة ابن هشام، بوصفها عينة سردية، لأخبار السيرة النبوية ، وقد قسم هذا الفصل على مبحثين، تناول الأول أنماط الخبر النبوئي، الذي قسمه على ثلاثة أنماط : واقعي، تخييلي، وتخيّلي. أما المبحث الثاني فقد تناول المكونات الحكائية لأخبار النبوءات، كما درس عناصر السرد

فيهما متمثلة بالفضاء السردي والحدث و الشخصيات، كذلك خطاب السرد في تلك الأخبار عبر دراسة: الراوي، و المروي، و المروي له. ولم يشر الى "المروي" بالتقسيم الفني لهيكلية البحث كونه يمثل نص سيرة ابن هشام. ثم درس البحث أنموذجاً تحليلياً تطبيقياً، لخبر نبوئي هو "أمر ملك اليمن وقصة شق وسطيح معه" ؛ لما يمتاز به هذا الخبر من ثراء سردي ، ومضامين ثقافية عميقة. ثم خُتم البحث بعرض ملخص لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراسة السرد في سيرة ابن هشام.

ولم يخلُ البحث من بعض الصعوبات التي اعترضت سبيله، لاسيما تلك التي تتعلق بأسبقية تناول سيرة ابن هشام تناولاً سردياً ، الأمر الذي تسبب في ندرة مراجعه، والحذر من الوقوع في التعسف المنهجي لدراسة أخباره بهذه الكيفية، فضلاً عن دقة الموضوع، وعمقه، وقداسته..

وهكذا قُدمَ مشروع البحث المتواضع، الذي لا أزعم اني بلغت الغاية والكمال فيه، ولعلَّ غيري–وهذا ما آمل– أقدر مني في بحثه وتقصيه ، وإعطائه حقه ومستحقه في بلوغ الغايات والأهداف .

كما أتوجه بالشكر وخالص الامتنان الى أُستاذي المشرف الأستاذ المساعد الدكتور القاص لؤي حمزة عباس ، الذي كان له الفضل في اختيار الموضوع ، والإشراف عليه ، لاسيما وأنه لم يبخل عليَّ بوقت أو بجهد ، فقد شملني بسعة صدره ، ودقة ملاحظاته ، التي اسهمت في تقويم البحث وإغنائه.

ومن الله السداد والتوفيق . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأكرم محمد، صاحب السيرة الشريفة، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين.

صفر–١٤٣١

كانون الثاني ٢٠١٠

التمهيد

(السـرد والسـيرة)

- ما السـرد ؟
- ما السـيرة ؟
- مركزيـة النص السـيري :
  ١- المركزية السردية
  ٢- السيرة تشكل النوع
- سـردية النص التاريخـي

التمهيد

- ما السرد ؟

١- وردت كلمة(سَرَدَ) في معاجم اللغة العربية لتدل على معانٍ عديدة، منها: "سَرَدَ الحديث يسرده سرداً، أي يتابع بعضه بعضاً"[١] ، وقد ذكره ابن رشيق(ت ٤٥٦هـ) في حديثه عن وحدة البيت قائلاً : "استحسن ان يكون كل بيت قائماً بنفسه، لا يحتاج الى ما قبله، ولا الى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، الاّ في مواضع معروفة مثل الحكايات، وما شاكلها، فان بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد"[٢] وكذلك فإن السرد "تقدمة شيء الى شيء تأتي به متسقاً"[٣]. والسرد تداخل الحلق بعضها في بعض[٤] وهو "توالي اشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض"[٥]. فالدلالة المعجمية للسرد تكشف عن وظيفته البنائية[٦].

وقبل ذلك وردت دلالة السرد في القران الكريم، في قوله تعالى " أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[٧] ، فالسرد في الآية نسج الدرع[٨]. وقد جاء في الاثر عن الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) انه لم

---

(١):كتاب العين: لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة المعاجم والفهارس(٥٠)، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٤ : ٢٢٦/٧- ٢٢٧ مادة:(س رد)

(٢):العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل-بيروت، ١٩٧٢ : ٢٦١/١.

(٣):لسان العرب،جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور(ت٧١١)،تعليق:علي شيري،دار إحياء التراث العربي،ط١٩٨٨/١: ١٣٠/٢ مادة(س ر د)

(٤):الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت٣٩٤)،تحقيق:أحمد عبد الغفور،دار الكتاب العربي- القاهرة، مادة(سرد): ٢/ ٤٨٧ .

(٥): معجم مقاييس اللغة : ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.، مادة(سرد) : ٣/ ١٥٧.

(٦): ينظر : البناء الفني لرواية الحرب في العراق: دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة ، عبدالله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١- بغداد، ١٩٨٨. : ١٦١

(٧): سبأ : ١١.

(٨):ينظر: مختصر الميزان في تفسير القرآن،جمع:سليم الحسني، مؤسسة دار الإسلام- مؤسسة العارف للمطبوعات- بيروت،ط١٩٩٦/١: ٤٢٩

يكن "يسرد الحديث كسردكم، وكان يحدث الحديث لو أراد العاد ان يعده لاحصاه"[١]. ومن خلال هذه التحديدات المعجمية، فإن معنى "السرد" في اللغة ينحصر في البناء المحكم المتسق والمترابط . وبالنتيجة فإن السرد هو العملية، التي يقوم بها السارد حين يروي حكايته[٢]. فهو ينقل الحادثة من صورتها الواقعية أو المحتملة الوقوع إلى صورة لغوية محكمة ومترابطة.

٢- إصطلاحاً ، فإن السرد:"هو دراسة القص واستنباط الأُسس التي يقوم عليها، وما يتعلق بذلك من نظم تحكم أنتاجه وتلقيه..."[٣]. والسردية فرع من أصل كبير هو : الشعرية poetics ، التي تُعنى باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية واستخراج النظم التي تحكمها، والقواعد التي توجه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها[٤].

وهكذا تكون السردية معنية بفحص النصوص واكتشاف تراكيبها وتأمل دلالاتها،كما تعرف السردية بأنها "العلم الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوباً وبناءً ودلالةً"[٥].

والسارد "هو الذي يجسّد المبادئ التي ينطلق منها لإطلاق الأحكام التقويمية، وهو الذي يُخفي أفكار الشخصيات أو يجلوها،... وهو الذي..يختار التتالي الزمني أو الانقلابات، فلا وجود لقصة بلا سارد"[٦].

والسرد "هو معنى عام جامع ، يمكن أن يتضمن كل كلام ذي طبيعة إخبارية...تأطر ضمن مفاهيم متعددة حكاية- قصة - خبر- سيرة"[٧]

---

(١):تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد القرطبي(٦٧١هـ)، تح : أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط٢، القاهرة، ١٣٧٢هـ ٥٣٤٩/٦-٥٣٥٠.

(٢): ينظر: مدخل إلى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ :١٣

(٣): دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي،د. سعد البازعي،المركز الثقافي العربي،بيروت –الدار البيضاء،ط٢٠٠٢/٣ :١٧٤

(٤):ينظر :الشعرية، تزفيتان تودوروف، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، سلسلة المعرفة الادبية، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٧. :٢٣

(٥): السردية العربية،بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي /د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت- الدار البيضاء، ١٩٩٢ :٩

(٦): الشعرية، تزفيتان تودوروف،م.س : ٥٦.

(٧) : الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات،سعيد جبار،شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء ط١/ ٢٠٠٤ :٩٨،٩٧

وإذا كانت السردية تعني علم القصة ودراسة بنيانها عند "تودروف"، الذي يعد أول من استعمل مصطلح علم السرد[١]؛ فان بعض الباحثين قد أولوا اهتماماً بالغاً لأوجه الخطاب السردي، وهذه العناية "أفضت الى بروز تيارين رئيسين في السردية، أولهما السردية الدلالية، التي تُعنى بمضمون الأفعال دونما اهتمام بالسرد الذي يكونها، انما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، ويمثل هذا التيار : بروب وبريمون وغريماس. وثانيهما، السردية اللسانية التي تُعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، وما ينطوي عليه من رواة وأساليب سردٍ ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمروي ويمثل هذا التيار...بارت، وتودورف، وجينيت[٢] ،وهذا ما سنبحثه في النص السيري .

إن الدراسة السردية لاتشرح النصوص ولا تفسرها ولا تؤولها ، بل إن التحليل السردي "يسعى الى كبح جماح النزعة التفسيرية في قراءة النصوص....فبدلاً من تفسير النصوص يسعى علم السرد الى استخراج القوانين التي تمنح النصوص مايجده المفسر من دلالات، وهوبهذا يسعى الى تحقيق شرط علميته"[٣]؛ فالتحليل السردي معني بفحص البنية السردية ومعاينة مكوناتها، وهي : الراوي، المروي، المروي له[٤]، وكشف عناصرها السردية المتمثلة بالحدث والفضاء الحكائي والشخصية، ووضع اليد على تقنياتها المختلفة.

والسرد أصبح يجمع بين أشكال مختلفة مثل : "السرد التخييلي، كالقصة والرواية، والسرد الحقيقي كالتاريخ، وكيانات مشكَّلة كالهوية، وأنظمة ثقافية قائمة كالآيديولوجيا"[٥]، فالسرد لايقتصر على الاجناس الأدبية فحسب ، لأن السردية بطبيعتها ، تتسلل الى النصوص رغماً عنها، مادامت هذه النصوص ترويها "الانا"، داخل فضاء زماني ومكاني، ضمن منظومة ثقافية تمارس سلطة على السارد وعلى المسرود.

---

(١): ينظر :معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،د.سعيد علوش،دار الكتاب اللبناني،بيروت-سوشبريس،الدار البيضاء،ط١/١٩٨٥ :١١١

(٢): السردية العربية،م. س :١٠

(٣): دليل الناقد الادبي :١٧٦

(٤):ينظر: موسوعة السرد العربي،د.عبد الله إبراهيم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت،ط١/٢٠٠٥ :٦

(٥): الهوية والسرد :دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د.نادر كاظم،مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة،البحرين –المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١/٢٠٠٦: ٨

ولعل التمييز الذي نبّه له جيرار جينيت بين السارد التخييلي والسارد الوقائعي ، يعني بأن "لا وجود لتخييل صرف، ولا لتاريخ دقيق يمتنع عن كل اندراج في حبكة ، وعن كل طريقة روائية"(١)، وهي الفكرة نفسها التي اشتغل عليها بول ريكور، وهايدن وايت واحتفى بها التاريخيون الجدد وكتاب ما بعد الحداثة. فالتاريخ، بحسب تصورهم، "إنشاء نصي للماضي، وهو إنشاء ذو طبيعة سردية و تخييلية"(٢)، والمؤرخ يتعامل مع أحداث وقعت في زمن ما، وبصورة متناثرة لتجربة بشرية "قائمة بالزمن وفي الزمن"(٣)، ولكي يعيد حكي هذه الاحداث، عليه أن يسردها ويربطها بحبكة تشد القاريء.

والسرد يرصد الوقائع لـ(ماحدث، مايحدث، ماسيحدث)، وهذه "الشمولية" التي هي من أبرز خصائص السرد، منحت الجانب المعرفي إطاراً وبعداً قادرين على إعادة إنتاج الآثار والوثائق السردية، ومن ثمَّ صناعة العقل وصياغة الوعي، عبر مفهوم "**إعادة التوجيه**"، **الذي يعني إعادة نص خلال سياق قديم،واستعادته وتشغيله في سياق آخر جديد ضمن بنية جديدة ، وذلك من خلال إعادة مركزة القيم وتنظيمها، بمايلائم البنية الجديدة**، "ليغدو النص السردي، بناءً على هذا التصور، منتجاً ثقافياً يمكن له أن يقول الكثيرعن البنى التي أسهمت في إنتاجه، بما تنطوي عليه عملية التأليف من بعد تبادلي، فالثقافة، بانفتاحها واتساع آفاقها تعمل على إنتاج النصوص وتحديد متجهاتها"(٤).

وهذه الشمولية تؤكد "أن أنواع السرد في العالم لا حصر لها، وهي قبل كل شيء تنوع كبير في الأجناس، ...، فالسرد يمكن ان تتحمله اللغة المنطوقة، شفوية كانت أم مكتوبة، والصورة ثابتة كانت ام متحركة، والايماء.. مثلما يمكن ان يحتمله خليط منظم من كل هذه المواد، والسرد حاضر في الاسطورة..، وفي الحكاية على لسان الحيوان وفي الاقصوصة والملحمة، والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة.. واللوحة المرسومة"(٥).

---

(١): المقال السردي: إبراهيم عبد القادر المازني أنموذجاً، د. محمد السماوي،مجلة عالم الفكر،عدد٤،مج ٣٥أبريل-يونيو٢٠٠٧ :١٩٥

(٢): الهوية والسرد،م.س :١١٣

(٣): من النص الى الفعل :أبحاث التاويل، بول ريكور،تر:محمد برادة،حسان بورقية،عين للدراسات والبحوث –القاهرة،ط١/٢٠٠١ :٨

(٤): التطلع إلى النبوة دراسة في أخبار أمية ابن أبي الصلت،كما وردت في كتاب "الأغاني"، د. لؤي حمزة عباس، مجلة آداب البصرة العدد ٤٤/ ٢٠٠٧: ٢٦

(٥): التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، تر، حسن بحراوي وبشير القمري، مجلة آفاق المغربية ع(٨، ٩)، ١٩٨٨ :٧

أما السرد العربي القديم، مقترح البحث الذي انتهت اليه دراسات الباحثين المعاصرين ، فتكمن أهمية النظر إليه بوصفه جنساً يستدعي أن تكون له انواع ، كما يستدعي ان يكون له تاريخ، وأي تفكير في أنواعه وتاريخه، لا يمكن إلا ان يكون له أثر في ترسيخ الوعي به، واتخاذه موضوعاً للبحث الدائم، حرثاً في المعنى من أجل الوصول الى لذة النص الخبيئ – "لذة النص ، ليست قطيعة مع التراث. بل هي التراث ممتداً الى ما لا نهاية"[١] لمعاينة تلك النصوص "للوقوف على قدرات الموروث الحكائي العربي وكنوزه الكامنة"[٢]، وكشف الفوارق االنوعية بين فنون النثر العربي القديم ؛ فهو مفهوم جديد جامع لكل التجليات المتصلة بالعمل الحكائي ، ويتسع لكل ما تفرق من مصطلحات عربية قديمة وحديثة تتصل كلها بصيغة أو باخرى بأحد الانواع الحكائية.

كما أن دراسة السرد العربي القديم – الذي يعدُّ النص السيري، واحداً من أبرز نصوصه– الذي من شأنه معرفة وظائف هذا التراث ، وبالتحديد الشعرية منها، التي تغري الباحث ؛ لاكتشاف الأسس والقوانين الجمالية، التي تتحكم ببنية النص السردي القديم، ومعاينة مكوناته السردية، ومعرفة مقوّماته الأدبية، وكشف مؤسسات بنيته الخبرية.

---

(١) :لذة النص، رولان بارت، تر : د. منذرعياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط٢/ ٢٠٠٢: ١٤

(٢): سرد الأمثال،(دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية مع عناية بكتاب المفضل بن محمد الضبي"أمثال العرب")، د. لؤي حمزة عباس،أتحاد الكتاب العرب-دمشق/٢٠٠٣: ١٣

- ما السيرة؟

السيرة "لغة" : هي"السّنّةُ والطريقة والهيأة وجمعها سير"(١). وقد وردت لفظة(السيرة) في القرآن الكريم "سنعيدها سيرتها الأولى"(٢)، وقد دلت هذه اللفظة في الآية على "الهيأة". كما أكدها صاحب لسان العرب أنها: "السنة والطريقة والهيأة"(٣)، لكنه زاد الى معانيها أن : "سيّر سيرةً : حدث أحاديث الأوائل"(٤) ، وهو ما ذهب إليه الفيروزآبادي الذي قال بأنها "تعني أحاديث الأوائل إذا استعملناها بصيغة الجمع "(٥).

إلا أن مرتضى الزبيدي، يؤكد مشاركة لفظة "المغازي" للفظة "سيرة"، حيث يقول : "إن السيرة مأخوذة بمعنى الطريقة وأُدخل فيها الغزوات وغير ذلك إلحاقا وتأويلاً "(٦)، وزاد محمد على التهانوي على ذلك المعنى بقوله : "وسميت المغازي سيراً لأن أول أمورها السير الى الغزو"(٧). والمغازي هي السيرة المقصورة على الرسول "ص"، لأن المغازي هي جزء من سيرته "ص ". وسميت بالمغازي من باب تسمية الكل بالجزء.

وقد يكون مردُّ الترابط بين السيرة والمغازي إلى استمرار فكرة أيام العرب قبل الإسلام؛ لتعلقها بذاكرة المسلمين فأخذوا يسردون المغازي المتضمنة الحوادث السابقة والتالية(٨).

كما أن لفظة "سيرة" بالتنكير، تعني ترجمة حياة شخص ما أو تأريخ حياته،غير أنه إذا أطلق لفظ "سيرة" مشفوعة بـ(أل) العهدية يراد منها ترجمة حياة النبي "ص"،

---

(١): الصحاح،م.س: ١٩١/٢مادة(سير).
(٢): طه/٢١.
(٣): التفسير الكبير،محمد بن زكريا الفخر الرازي،(ت٦٩٧)،القاهرة د.ت: ٢١/ ٢٩ مادة(سير).
(٤): لسان العرب، م.س :مج٦ مادة(سير).
(٥): القاموس المحيط،مجد الدين الفيروزآبادي،(ت ٨١٧)،المكتبة التجارية-القاهرة،١٩٩٣:مادة(سير) ٥٦/٢.
(٦): تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،(ت١٢٠٥)،تحقيق:عبد الستار أحمد فراج،وزارة الأرشاد،الكويت/١٩٦٥ : مادة(سير) ٢١/١٢.
(٧) : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،محمد علي التهانوي،تقديم ومراجعة:د.رفيق العجم،تحقيق:د.علي دحروج،ترجمة من الفارسية:د.عبد الله الخالدي،ترجمة من الاجنبية:د.جورج زيناتي،مكتبة لبنان ناشرون-بيروت،ط١٩٩٦/١ ج١/أ-ش :٩٩٨.
(٨) : ينظر: بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب،عبد العزيز الدوري،دار المشرق-بيروت،ط١٩٦٠/١ :٤٣ .

وأصبحت علماً قائماً بذاته وهو "علم السير"[١]، وهـــو"من أعظم العلوم فضلاً وشرفاً، وهو عبارة عن ذكر مناقبه عليه الصلاة والسلام ومآثر وبيان أوصافه السنية وأحواله العلية وخصائصه ومعجزاته البهية...."[٢]، وقد أفرد بعض الباحثين المحدثين دراسات في السيرة تابعوا فيها تطور دلالاتها واستعمالاتها وأنواعها[٣]. فقد أكد أحد هؤلاء الباحثين أن مدلول السيرة يراد به "درس حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصية ما. والسيرة قسمان : العام الذي يتناول أشخاصاً كثيرين، مثل كتب الطبقات...ومنها الخاص كالسيرة النبوية"[٤]، مما دعا بعض الباحثين إلى الاستنتاج، أن السيرة النبوية "ينطبق عليها مفهوم السير الموضوعية لأنها تدور حول تعرف حياة الرسول(ص) وفهم معاني شخصيته وأحواله من قبل أناس آخرين"[٥].

ورفض الدكتورعبد الله إبراهيم- بناءً على ما قاله إحسان عباس- اقتران مفردة(ترجمة)اصطلاحاً بمعنى(سيرة)، لأن "هذا الترادف في الدلالة الاصطلاحية لم يستند الى أساس صحيح فيما يحيل عليه، فثمة فرق بين(السيرة) و(الترجمة)... ففيما كانت السيرة ، تحيل على المرويات والمدونات التي عنيت بشخص الرسول محمد؛ كانت الترجمة، تحيل على خلاصات موجزة للتعريف بأعلام الحديث والفقه والأدب"[٦]، وقد وردت تصانيف لبعض الباحثين القدماء تناولت شخصيات معينة ، استعملوا في تسميتها لفظة "سيرة" بديلاً عن "ترجمة"، وهي تدخل ضمن السير الموضوعية المستفيضة حول شخصيةٍ ما كالسيرة النبوية. فقد صنف محمد بن عمر الواقدي(ت ٢٠٤هـ) كتاباً اسماه "سيرة أبي بكر ووفاته" كما ألف عبد الله بن الحكم(ت٢١٤هـ) كتاباً بعنوان "سيرة عمر بن عبد العزيز"، و ألف ابن الجوزي(ت٥٩٧ هـ)"سيرة عمر بن الخطاب "، و ألف ابن

---

(١): ينظـر:كشـف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنون،مصـطفى بـن عبـد الله حـاجي خليفة،(ت١٠٦٧هـ)،منشورات مكتبة المثنى-بغداد،د.ت: ١١٢/٢

(٢): الغرر العلية في شرح الدرر السنية في السيرة النبوية/ الرجائي، علي بن الحسين((مخطوطة : نقلا عن كتاب(تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي، عمارعبودي محمد حسين، دار الشؤون الثقافية-العراق،سلسلة رسائل جامعية،ط٢٠٠٥/١: ٢٦-٢٧

(٣) : من هذه الدراسات كتاب أحسان عباس(فن السيرة) و(دراسات في التراجم والسيرة) لهاني العمر وغيرها..وكتاب(أوجه السيرة)لاندريه مورا

(٤) : الفنون الأدبية،أنيس المقدسي،دار العلم للملايين،بيروت،ط١٩٧٨/٢ : ٥٤٧

(٥): تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين،م . س: ٢٨

(٦): موسوعة السرد العربي،م. س:١٧٤

شداد(ت٦٣٢هـ) "سيرة صلاح الدين الأيوبي" وغيرها...، وهذا يدل على أن لفظة(سيرة) لا تقتصر على المدونات الواسعة التي عنيت بشخص النبي(ص) فحسب، بل من الممكن أن تشمل غيره.

أما لفظة(ترجمة) فهي التي" تنهض على قواعد محددة تهدف إلى التعريف الموجز بالمترجم له، اسماً وكنيةً ولقباً، تعقبها وقفة وجيزة على أخباره"(١)، أي أن "الترجمة" هي السيرة المختصرة، وإن تناولت حياة النـــــبي(ص) ، أما لفظة "سيرة" فيمكن أن تتناول أي شخصية بالتوسع في إضاءة جوانب حياته.

أما "السيرة" بال التعريف فيقصد منها سيرة الرسول الكريم(ص) ، وهي تدخل ضمن "السيرة الموضوعية" التي يمكن إطلاقها على" تلك التراجم المستفيضة، التي تؤلف كتباً قائمة بذاتها معروفة المؤلف ، وتعنى بأعلام معروفين على نطاق واسع وتفصّل في حياتهم وأعمالهم وآثارهم ، وتهتم بالموقع الاعتباري لهم على المستويات التاريخية والفكرية والأدبية والسياسية ، وتقدمها بوصفها أنموذجا يحتذى في عصرها"(٢). وعلى الرغم من تدوين السيرة النبوية، الذي يمثل الالتقاط للصورة الشفاهية الأخيرة للنص السيري النبوي ؛ نجد أن المرحلة الشفوية بقيت متصلة بمرحلة التدوين عن طريق الرواية لأن "أفضل مجال يظهر فيه التعايش بين المشافهة والتدوين هو الإسناد"(٣)، ليتحقق بذلك كون النص السيري النبوي هو: " التأريخ بالخبر"(٤) .

سيرة ابن هشام، النص المقترح للتحليل السردي في هذه الدراسة، تنتمي الى مرحلة التدوين الثانية للسيرة في القرن الثالث بعد مرحلة التدوين الاولى على يد ابن اسحاق الذي كتب السيرة النبوية بطلب من المنصور؛ لتعليم ابنه المهدي تأريخ البشر، فألف ابن اسحاق السيرة المعروفة بأسم(المبتدأ والمبعث والمغازي) وهي على ثلاث مراحل : مرحلة(المبتدأ)، وهي تأريخ الانبياء منذ آدم(ع) الى "المبعث" وهو مرحلة تكليف النبي محمد(ص) بالنبوة الخاتمة، ثم(المغازي) وهي الحروب والغزوات التي وقعت في عهد

(١): موسوعة السرد العربي،م. س : ١٨١
(٢):م. ن :١٨٢
(٣): الخبر في الأدب العربي،دراسة في السردية العربية د.محمد القاضي،دار الغرب الاسلامي،ط ١ / ١٩٩٨ : ١٥٦
(٤): ينظر: مفهوم التاريخ،الألفاظ والمذاهب،عبد الله العروي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء-بيروت،ط٤/ ٢٠٠٥ : ٩٩

الرسول الكريم(ص). وقد تناول ابن هشام سيرة ابن اسحاق "بكثير من التحرير والاختصار، والإضافة، والنقد أحياناً، والمعارضة بروايات أُخر لغيره ، من العلماء كذلك"(١).

وهكذا تطور مدلول السيرة ومعناها ، فكلما " كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله،متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة منها ، أو متأثرة بها؛ فإن السيرة في هذا الوضع تحقق غاية تاريخية "(٢). لكن هذه الغاية التاريخية لا تنفي الغاية الجمالية، المتحققة من صياغة أخبار السيرة النبوية ، وطريقة بنائها ، وما انطوت عليه عملية التأليف من صياغة خبرية مصغرة إلى منظومات ثقافية تحمل الكثير من ثقافة عصري إنجازها : الشفاهي والتدويني . " فالنصوص لا تولد ولا تنمو ولا تتطور خارج جواذبها السياقية"(٣) .

و بالنتيجة فإن البحث يسعى لإثبات أن السيرة النبوية بما تضمنته من نظام للتأليف وصياغة خبرية للتأريخ ، وعلاقتها بسياق إنتاجها ، مثلت محوراً مهما لفحص التأريخ العربي الإسلامي ، بقدر ما مثلت استراتيجية للكتابة السردية : سرد ماضي الأمة تطلعاً لمستقبلها، وقد ضمنت طريقة تأليفها وآلياتها السردية استمرارية ، بقاء فاعليتها وخلودها، وهي تضم أعظم مرحلة للأمة الإسلامية.

---

(١):تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام محمد هارون، مكتبة السنة،القاهرة، ط١٩٨٩/٦، المقدمة : ١٢
(٢): الفنون الأدبية،م. س : ٥٤٧
(٣): التطلع إلى النبوة، م.س: ٢٣

- مركزية النص السيري

١ ـ المركزية السردية:

اعتمد ابن هشام الخبر نواةً للتأسيس بوصفه "استراتيجية للكتابة" عنده ، حيث انتظمت هذه الأخبار، في تنويعات سردية ، يمكن إدراك فاعلية منظومتها، من خلال ما يميّز بنيتها السردية من سمات ، تُعدُّ نُظم تفكير وآليات إدراك ؛ بالدرجة التي تُعد فيها آليات تأليف ، بناءً على تصور ابن هشام للثقافة واستجابة لموجهاتها .

اشتملت سيرة بن هشام على حياة الرسول"ص" ، و أرخت لكل المرويات الإسلامية الكبرى، الدينية : القرآن الكريم والسنة النبوية ، و الدنيوية : الغزوات، والأحداث والوقائع في عصر النبي، وأخبار القبائل العربية قبل الإسلام. و احتواء السيرة على كل هذه المرويات منحها موقعاً مركزياً في التراث العربي ــ الإسلامي ، امست من خلاله نصاً مرجعياً في الحضارة العربية ــ الإسلامية ، تلك الحضارة التي وصفت بأنها "حضارة النص ، بمعنى انها أنبتت أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس ، لايمكن تجاهل مركز النص فيه"[١]، وحضور النص السيري النبوي في المرويات يمنح الامة هويتها، ويؤكد وجودها، فقد "تماهت السيرة النبوية مع الرسالة المحمدية، مما جعل أخبارها تعكس تمثل الامة، مسار الرسالة ذاتها، الامر الذي دفع السيرة الى رواية أخبار النبي، بهدف إحياء العصر النبوي"[٢]، وإحياء عصر النبي ينهض على سرد وقائعه، وإعادة إنتاجها نصياً ، ورتق فجواتها بالتحبيك السردي ، فالتاريخ يستعين بالسرد لتحصين نفسه.

وبناءً على ذلك ، فإن سيرة ابن هشام تكتسب "**مركزية سردية**" من شأنها أن تغذي مركزية كبرى هي "**المركزية الدينية**"، المؤسسة على الرؤية الدينية للعالم، فقد "أعيد ترتيب كل شي من جديد على وفق المعايير الدينية"[٣]، حتى أضحت السيرة النبوية البوصلة التي توجه الوعي الديني لدى الجماعه الإسلامية. وقد احتوت المركزية

---

(١): مفهوم النص،دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد،المركز الثقافي العربي،بيروت –الدار البيضاء،ط٤/١٩٩٨ :٩ .

(٢) : نظام الزمان العربي،دراسة في التاريخيات العربية-الاسلامية،د.رضوان سليم،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط١/ كانون الثاني،٢٠٠٦ : ٥٢

(٣) : موسوعة السرد العربي، م.س :٢٣

السردية، على بنية قيمية ومعرفية، أعادت إنتاج الثقافة والتاريخ والأدب، بما ينسجم و النسق الثقافي الجديد، قُدمت من خلال الرؤية المعرفية الجديدة للوجود، التي غذت كل شي بمعانٍ جديدة، وأحدثت مواجهات معرفية بين عصرين، أي بين زمنين : **زمن ما قبل اسلامي و زمن ما بعد اسلامي.** كما أسهم تدوين السيرة، في وعي التاريخ وتدوينه، وقراءته من جديد، عبر "**استراتيجية كتابة الأخبار**"، ومن هنا تكتسب أخبار سيرة ابن هشام مركزيتها في فهم التاريخ وتأويله، حتى أن بعض الباحثين، يفسر نشوء زمن النبوة في الوعي الإسلامي من كتابة السيرة النبوية، معللاً ذلك بفاعلية التدوين التاريخي على إنتاج المفاهيم المركزية،في الثقافة الدينية الإسلامية(١).

فأخبار السيرة، نظمت وعي الامة، بتاريخ نبيها، مثلما نظمت وعيها بذاتها، ومنحتها هويتها ، وأسست مكونها بما يختزنه النص السيري من رؤى وأفكار، تتعدى موضوعه المركزي لتقيم علاقه مثلى مع فهم الأمة لذاتها وللعالم ، و"هذا المفهوم لم يتأسس الا عندما أصبح وعياً بالماضي الديني، فان زمن النبوة لم يتحقق الا عندما أصبح مجسداً في سيرة تروى"(٢) . أما حضور شخصية النبي في متن السيرة، فكان له بعد مركزي ،بوصفها شخصية رئيسة يتمثل في قوة حضورها ، "مركز الحدث ، وأساس حركته"(٣)، وهذا الحضور استمر في متون السرديات العربية اللاحقة ؛ حيث نجد أن شخصية النبي"ص" أحتلت مساحة في السرود الأدبية ، لاسيما الشعبية منها ، نجد ذلك بوضوح في سرد ألف ليلة وليلة ، حيث نقرأ فيها ذكر النبي"ص" بالتقديس والتعظيم ، ونجد في بعض حكاياتها بعداً آيديولوجياً منتصراً للنبي"ص" ولدينه ، و مناهضاً لليهود ، مثال على ذلك ما نجده في حكاية "حاسب كريم الدين" : " أنه فتح خزائن أبيه أن وجد..،صندوقاً من الأبنوس فأخذه..، ففتحه فرأى فيه كتاباً..وقرأه فرأى فيه صفة محمد صلى الله عيه وسلم وأنه يبعث في آخر الزمان وهو سيد الأولين والآخرين ، عندئذ تعلق قلبه بحبه ، فجمع أكابر بني إسرائيل من الكهان وغيرهم وأطلعهم على ذلك الكتاب وقال : يا قوم ، ينبغي أن أخرج أبي من قبره وأحرقه..، لأنه أخفى عني هذا الكتاب"(٤) ، ولهذا

---

(١): ينظر: نظام الزمان العربي،م. س :٥١
(٢) : م . ن : الصفحة نفسها
(٣) :سرد الأمثال ، م . س :١٤٠
(٤) :ألف ليلة وليلة،دار التربية ، بغداد ،الطبعة المهذبة، (د . ت) ، ج ٣ :٤٤

كانت الليالي في توجه سردها، "يسيطر عليها طابع إسلامي..، وقد استهدفت الليالي من وراء ذلك في تقديسها لشخصية محمد(ص) أن تثبت الإيمان الغيبي..، وأرادت أن تكون داعية للإسلام"(١).

وفي سيرة ابن هشام نلاحظ ، كيف أن أخبار السيرة تمركزت حول شخصية النبي"ص" ، من خلال بعض تعليقات الراوي/ابن هشام ، مثال على ذلك ، التعليق الآتي ، الذي يصور استقطاب شخصية النبي"ص" للسارد ، في تقصيه لها ، وتهميش أخبار ليس له بها صلة : "قال ابن هشام : وحديث الفجار أطول مما ذكرت وإنما منعني من استقصائه قطعُهُ حديثَ رسول الله"(٢). والفجار حرب بين قريش وكنانة وبين قبيلة قيس عيلان في الشهر الحرام. ولم يذكر ابن هشام تفاصيل الحرب، كون النبي لم يكن له فيها دور مركزي، فقد شهدها وهو طفل صغير. أما **مركزية سيرة ابن هشام الثقافية** ، فقد تجسدت من خلال تعالق السردي بالثقافي ، وانتقال أخبار السيرة من صياغتها اللغوية التاريخية، الى المنظومة الثقافية ، جعل الأخبار تُبنى عبر شبكة تجميعية من الوحدات السردية، تعمل على تحريكها داخل النسق والثقافة بحيث يؤمّن نص السيرة أن "يُعيد ترتيب العلاقات في عصر مضى"(٣) ، وبما ينسجم و الثقافة السائدة ، فالنصوص تقيم حواراً مع النسق السائد ، وتشكل ذاتها لكي تؤمّن جواز المرور عبر الثقافة المهيمنة وتسترضيها؛ ولهذا فان تدوين الأخبار، في سيرة ابن هشام، هو في النهاية استراتيجية لكيفية بناء النص السيري، وتجنيسه، ومعرفة أساليب إنتاجه التي تخضع ، بالضرورة، لغايات التأليف واهدافه، وكشف مكوناته السردية.

ألقى نص ابن هشام بظلاله على المصنفات التي جاءت بعده. فمثلاً تستحيل "علامات النبوة"(٤) المتواترة عن النبي "ص" الى معيار للنبوة عند صاحب الأغاني، عندما يذكر

(١) :الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة،أحمد محمد الشحاذ،دار الحرية،وزارة الإعلام،-بغداد/١٩٧٧ :٣٠٧

(٢) : سيرة ابن هشام.اعتمدنا في هذا البحث على الطبعة التي حققها وضبطها الأساتذة:مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي،دار الكتب العلمية،بيروت، ط٢٠٠١/١ :٧٦

(٣) : موسوعة السرد العربي :٧٩

(٤) :ينظر:سيرة أبن هشام :٧٨

أخبار أمية بن أبي الصلت[٥]، بحيث أصبح تساقط العلامات عن أمية دليل على كذب مدعاه، وإثبات لنبوة النبي محمد(ص)، وتغذية لها، "هدفها صدق العلامات الدالة على بعثة الرسول محمد(ص)..أذ سيصبح أمية نفسه علامة في مجال واسع من العلامات، التي تملأ بمعطياتها السردية مساحة ما قبل البعثة النبوية، الى جانب منظومات خبرية أُخر، أسهمت باضاءة هذه المساحة، وعدت نبوءة بالبعثة المحمدية، وقد توجهت كل من جانبها لرصد علامات البعثة، بناءً على ماسبقها من حوادث والتبشير بها"[١].

يكتسب نص أبن هشام أهمية، في التراث الثقافي الاسلامي، كونه يدون تراثاً ذهبياً، ــ"فالماضي يصبح أكثر شفافية كلما ابتعدنا عنه، نتحدث عن العصور الذهبية، العصور الدينية، والعصور الثقافية، وعصور البطولة، لأنها ارتسمت في الذاكرة بشفافية، تتعالى وتتجرد من كثافتها الحقيقية، بتراجعها الى الوراء في الزمن والذاكرة"[٢]ــ حيث تتضافر الغايات من تدوينه لأخبار السيرة النبوية، ابتداءً من خصوصية عصر الأخبار، في التاريخ الاسلامي، والانتقال من الشفاهية الى التدوين، والخوف من فناء الرواية الشفوية وضياع الأخبار، والحفاظ على زمن عصر النبي وقيمه، وتحصينه من الثقافات المجاورة، أما برفض هذه الثقافات أو اقصائها، أو إعادة توجيه النص السيري والتمركز حوله، ليؤسس مركزيته عبر وظائفه النصية ووظائفه خارج النصية.

٢ ـ السيرة تشكّل النوع

إذا كانت المرويات السردية، قد نشأت "وسط منظومة شفوية من الإرسال والتلقي، وتكونت أنواع وأبنية في ظل تلك المنظومة"[٣]، فإن السيرة النبوية قد مثلت نصاً سردياً حاضناً ومهيئاً ، لتوالد أشكال سردية متعددة ، انطلقت من نص امتلك خصائص مميزة أهلته لان يكون "النص المؤسس للشكل السردي"[٤] ، لتوظيفه إمكانات فن الخبر

(٥) :ينظر: الاغاني، أبوالفرج الأصبهاني،(ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبة وخبرة)دار أحياء التراث العربي،بيروت،د.ت:٤/١٢٠-١٣٣
(١) :التطلع الى النبوة،م.س: ٢٦
(٢) : موسوعة السرد العربي،م.س : ١٣٧
(٣) : م . ن :١٦
(٤) : م . ن :١٧٤

ولما أسس من أشكال سردية ، ولكونه أصبح اطاراً دُمجت فيه جهود الإخباريين والنسابين والمؤرخين والأدباء والمحدثين وسواهم[٥] . فالنص السيري الخارج من المناخ الشفوي لمرويات سردية سابقة ، أضحى مولداً لأشكال سردية متنوعة ، كما أسهم في تطور الوعي بهذه الأشكال السردية .

أخبار السيرة النبوية ، وعبر رحلتها الشفاهية والتدوينية ، قد حفزت، من خلال تشكيلها السردي ، ولادة أنواع اخرى من السيّر، عبر أنموذج شخصية النبي فقد كان هذا الأنموذج " الاصل الموجه للبطل أو الفاعل الشعبي في السير الشعبية"[١]، لكن متن السيرة النبوية حصّن نفسه عبر "السند " في رواية أخبار السيرة ، خوفاً من "التحريف" والضياع"، ولكي لا تختلط أخباره مع بقية السير الشعبية ذات الروافد الاسطورية ، فالسند يدل على زمن الواقعة ، ويقوي ذاكرة التدوين ويربط النص بمصدره.

ولنا أن نتساءل : كيف أمست السيرة النبوية الاصل في ولادة بقية أنواع السيّر؟ أ لطبيعة متنها ؟ أم لكونها تعاملت مع موضوع مقدس ، استدعى ترتيباً جمالياً خاصاً ؟ نظر الخبر السيري فيه الى نفسه ، ليحقق وظيفته الشعرية و من ثمّ الوظيفة الابلاغية وهي ميثاق حضور النبي(ص) ؛ مما أعطاها شكلاً سردياً ينسجم و طبيعة "الفاعل السردي"، الذي تتمحور حوله الأخبار، فأخبار السيرة التي تعاملت مع شخصية لها حضور مركزي في الوعي الاجتماعي، وهي شخصية النبي"ص".

اشتملت السيرة النبوية على تنوعات سردية في أخبارها مثل: الخبر والقصة والحديث..، كل ذلك قد أكسبها أهمية بالغة في السرد العربي القديم ، وحفز على ولادة أنواع سردية على الظهور المبكر؛ مما أحال السيرة النبوية الى نظام للصوغ والدلالة.

فضلاً عن ذلك، فإن تشكلات العجائبي في النص السيري كانت متنوعه ، بوصفها تشكلات ثقافية عربية إسلامية تضمنت "الديني ، والتاريخي ، والسياسي ، والثقافي ، والغيبي وغيرها"[٢]. وهذه التشكلات تلاقحت مع بعض السرود العربية ،فمثلاً نبوءات الأحلام في سيرة بن هشام و بنيتها العجائبية ، قد حضرت بقوة في

---

[٥] :ينظر:الصفحة نفسها

[١] : السرد العربي القديم :الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل،د.ضياء الكعبي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،ط١/٢٠٠٥: ١٦٢

(٢) : م . ن :٧٤

الأحلام والرؤى والعجائبيات في "النصوص الابداعية السردية العربية ومنها: الحكايات الشعبية ، ورسالة الغفران ، ورسالة التوابع والزوابع ومنامات الوهراني ، وليالى ألف ليلة وليلة ، والحكايات العجيبة التي تفاعلت جميعها مع هذا النوع السردي"(١).

هذا التفاعل النصي جذّر شجرة السرد العربي ، ومنحها فرصة للظهور بأشكال سردية مختلفة ، "الامر الذي يؤكد أن بنية السيرة النبوية ، كانت الموجّه السردي الأول لصياغة البنى السردية للسير الشعبية ، فيما بعد"(٢)، التي ظهرت تعبيراً عن الرؤى الثقافية للمجتمع ، فلكل أمة نمط من القص يتفق مع رؤآها الاجتماعية ، "إذ يظل السردي محكوماً بمجاله الثقافي ، هذا المجال الذي يرعى شبكة لانهائية من الخطابات، نصية وغير نصية"(٣) ، أدى الى اعادة خلق الوقائع والقيم والاحلام ، والخرافات والمكبوتات الشعبية نصياً ، وهذا ما يفسر ظهور الشخصيات العجيبة للحكايات والسير الشعبية ، وهي تعبير عن هذه المكبوتات و التطلعات والآمال لدى الناس.

ويبدو أن الطاقات التخييلية العالية للنصوص العجائبية لمتن السيرة النبوية : "سيرة ابن اسحاق ومن بعدها سيرة ابن هشام" ، قد حفزت التخيّلات الشعبية على الحضور الثقافي، مما استدعى سرداً خاصاً يتمحور حول شخصيات أخرى تتناسل وتتوالد ، بما ترثه من بعضها البعض ، داخل الثقافة الشعبية ، "وربما شجع الاتجاه القصصي في كتابة السيرة الاتساع بها، لتشمل حياة الرسول كاملة ، مما جعل بعض المؤرخين القدامى يحرصون على نهج طرق متشابهة لسيرة الرسول(صلى الله علية وآله وسلم) في تعرضهم لحياة الملوك والامراء"(٤) . ولم يكن متن السيرة النبوية حكراً على النصوص السردية القديمة؛ بل "إن بعض المحدثين استثمروا السيرة النبوية، في إنتاج نصوص سردية جميلة، ومن هولاء طه حسين(على هامش السيرة) وعبد الرحمن

(١) : السردالعربي القديم :الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، م . س : ٧٤.
(٢): موسوعه السرد العربي،م.س:١٨٠
(٣): التطلع الى النبوة،م.س :٢٤
(٤): السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ،م . س :١٥٩

الشرقاوي، وتوفيق الحكيم"[٥]. وبناءً على ذلك فقد أضحت السيرة النبوية الرحم السـردي العربي المولد للأنواع السردية في الأدب العربي لموقعها داخل الثقافة العربية الإسلامية ، ولما امتازت به من خصائص سردية مبكرة في التدوين وقد أدخلت الأخبار السيرية مـن الفضاء التاريخي الى الفضاء الأدبي .

- سردية النص التأريخي

يعرف بروكلمان الأدب بأنه : "كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي، ليوصله الـى الذاكرة"[١]، مما يجعل مفهوم الأدب أكثر شمولية واتساعاً ، يتسلل حتى الى التاريخ، كما أن استنطاق التاريخ، استنطاقاً أدبياً، يُحيل النص التأريخي الى جذوره التأريخ – أدبيـة، فالنص التأريخي، هو نص يكتبه مؤرخ يوثق من خلاله أحداثاً وقعت في زمان ما، ومكان ما، والأحداث هي أحداث البشر، فالمؤرخ والوقائع متلازمان، فلا "فرق بـين التـأريخ – الوقائع، و التاريخ – الأخبار، وهذا يعني أنَّ التاريخ لا ينفصل عن إلانسان... الذي نسميه المؤرخ"[٢].

فالنص التاريخي، يدوّن الوقائع ويعيد صياغتها نصياً، وينقلها من المستوى الـواقعي الى المستوى الفني، ومن هنا يكون مِنْ حق الباحث أن يتعامل مـع الـنص التـأريخي ، بوصفه نصاً سردياً ، يمتلك قوانين وأسساً، تتحكم بإنتاجه وتلقيه "فالمؤرخ يحول الحدث ، أي حدث الى مادة تأريخية، عندما يضعهُ في تسلسل زماني معين"[٣]. كمـا أن التجربـة البشرية، لا تتميز، ولا تتوضح الا بالسرد حين تصاغ في حبكة معينة[٤]. ولهذا فالسـرد يقيم علاقة جدلية مع الحياة والتاريخ ، لأنه ينتج داخل الحياة ، كما أن الحياة تنتج داخـل

---

(٥): السرد العربي القديم : الانواع الوظائف والبنيات، ابراهيم صحراوي،الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الأختلاف،ط١/٢٠٠٨ :٨٢.

(١):تـاريخ الأدب العربي،كـارل بروكلمـان،تر:عبـد الحلـيم النجـار وآخـرون،دار المعـارف-القاهرة،ط٥،د.ت: ٣/١

(٢): مفهوم التأريخ :٣٣.

(٣):م . ن :٥٧.

(٤):ينظر: الهوية والسرد،م. س:١١٥

السرد ، "وبهذا المعنى يمكننا القول أن القصص تروى، ولكنها أيضاً تُعاش على نحو متخيل"(٥).

ويذهب **التاريخيون الجدد ومفكرو ما بعد الحداثة** الى أبعد من ذلك ، حين يقررون أن التاريخ لا يستقيم الاّ من خلال السرد ، "لأن التاريخ -كما يقول جوناثان كولر- لا يكشف عن نفسه إلّا في شكل سردي، وفي قصص صُممت لتنتج المعنى من خلال التنظيم السردي"(١).. فالتاريخ ، بحسب تصورهم ، "يدرك أو يتشكل ، بوصفه حكاية ، تتألف من أحداث ووقائع وشخصيات وهذه الحكاية ، أو هذا الشكل السردي ليس موجوداً، في الأحداث الواقعية ، بل على المؤرخ أن يبتكر هذه الحكاية...أو أن يستخرج حكاية ما، من كومة الأحداث المتنافرة ، أو غير المترابطة...عليه أن يضع حدثاً ما بوصفه سبباً، وآخر بوصفه أثراً، عليه أن يبرز حدثاً ما، ويغيب آخر، كما أن عليه أن ينصّب شخصية ما، بوصفها بطلاً"(٢).

كما رسخ تعدد الروايات بشأن الحادثة الواحدة "أدبية النص التاريخي هذه ، فهو من حيث أراد أن يعطي المتلقي كل ما قيل ، أو دار حول الواقعة ، شتتها في نصوص متوازية ، وكأننا نقف على غياب شبه كلي للتاريخ وحضور كامل للنص ، بما هو نسيج متعال على الواقعة ذاتها"(٣). ويؤكد "هايدن وايت" أن التاريخ "ليس أكثر من اختراع يتم سرده طبقاً لمصالح جماعات بعينها ، وبالتالي يتم تدمير الاسطورة باسطورة مقابلة "(٤)، في إشارة منه الى أن التاريخ ماهو الا اسطورة من أساطير الشعوب. ويضيف هايدن وايت: "أن نتعرف على السرود التاريخية بوصفها خيالات لفظية ذات مضامين هي في الحقيقة مختلقة لا مكتشفه"(٥). والتأريخ، على وفق رأيهم، هو في الأساس تصورات

---

(٥):الوجود والزمان والسرد:فلسفة بول ريكور، من دراسة(الحياة بحثاً عن السرد) ،بول ريكور.تر: سعيد الغانمي،المركز الثقافي العربي،ط١٩٩٩/١،: ٤٨-٤٩

(١) :الهوية والسرد ، م . س : ١١٣

(٢) : تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط د. نادر كاظم، ط٢٠٠٤/١- المؤسسة العربية، للدراسات والنشر - وزارة الثقافة والإعلام البحرينية : ٥٣، ٥٤

(٣): بناء الحكاية التاريخية(تاريخ الطبري أنموذجاً)، سعيد عبد الهادي المرهج ، اطروحة دكتوراه،جامعة بغداد،كلية التربية للبنات، ٢٠٠٧: المقدمة: ٣

(٤): مرويات المنفى ، دراسات في الرواية العراقية المعاصرة ، صادق ناصر الصكر، كتاب الصباح الثقافي، سلسلة تصدر عن جريدة الصباح ، العراق، عدد(٩) /٢٠٠٨ : ١١٨.

(٥) : نقلاً عن :أطروحة بناء الحكاية التاريخية ، م. س: ١١٦

المؤرخين ، وتراكمات الثقافة فـ" لا تاريخ للكون ما نسميه كذلك إنما هو فـي الحقيقـة تاريخ تصورات البشر"(٦)، لتثبيت هويتهم القومية ؛ مما يعني أن هناك خليطاً غريباً "من الاختلاقات والتاريخ ، وتعظيم الذات قد دخل في تشكيل صورة الأصل القومي"(٧) للبشر. الأمر الذي يدل على نفي التاريخ ، أو أن "التاريخ من صنع المؤرخ"(١)(*). وهنا يتم الربط بين **التاريخ والهوية** ، أو بعبارة أخرى "اختراع الهوية وفبركة التـاريخ" ، لأن مفهـوم الهوية ، بحسب تصور مابعد الحداثيين ، هو "مفهوم سـردي ، ومختـرع ، ومفـارق ، وسيروري ، ومؤجل ، وتاريخي ، وخيالي ، ومراوغ ، وخادع أيضاً"(٢)!!.

لكن لا يمكن النظر الى نص سيرة ابن هشام بناءً على مبالغات ما بعد الحداثيين للتاريخ ، الا اذا فصلنا سيرة ابن هشام ، بوصفها سرداً محضاً ، عن السيرة النبوية، بوصفها واقعة حدثت فعلاً! فالنص السيري ، مثله مثل التاريخ ، يستعين بالأدب لتقوية نفسه ، ويسخّر آليات السرد لتحصين ذاته ، و لا يعني ذلك أن السرد ينفي التاريخ ، أو أن يتحول التاريخ الى سرد محض تخترعه الشعوب لإثبات هويتها، كما يدعي التاريخيون الجدد . ولهذا يمكن النظر الى النص السيري ، "سيرة ابن هشام أُنموذجاً" ، على أنها نص تاريخي أدبي "فالسيرة نوع من الأدب يجمع بين التحري التأريخي والإمتاع القصصي"(٣) **والتخييل فيه آلية لإحياء التاريخ لا الى نفيه** ؛ "وهنا يكمن الفرق بين ما ينتمي الى التاريخ حقاً ، وبين ما يعود الى السرد التخييلي"(٤) ؛ لأن أخبار السيرة ليس من السرديات المحضة ، بل هي توظف السرد للوصول الى غايتها ، حتى يمكن القول بأن النص السيري يمتلك مايسميه "الدكتور فائز الشرع" **النسق الإبلاغي** عندما يكون "استعمال اللغة للإبلاغ يعني أن لا دخل لنوازع الذات الناقلة في تكوين ما يشير الى المنقول ، وجعله

---

(٦): مفهوم التاريخ، م. س : ٣٦.
(٧) :الثقافة والامبريالية، إدورد سعيد،تر : كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت،ط١٩٩٨/٢ :٣٧١
(١) : مفهوم التاريخ، م. س : ٣٦
(*):للإطلاع أكثرتراجع أطروحة: بناء الحكاية التاريخية(تاريخ الطبري أنموذجاً)، م. س : ١٠٥ ومابعدها
(٢) : اختراع الهوية وفبركة التاريخ ،(التجمعات الإثنية والعرقية والمخيلة الجماعية) ، علي بدر ، مجلة مسارات ،العراق ، عدد١ ربيع /٢٠٠٧ :١٤
(٣):الفنون الأدبية،م.س :٥٤٧
(٤): مسالك المعنى (دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية)، سعيد بنكراد ،دار الحوار ،ط٢٠٠٦/١ :١٣٧

بعيداً عن الانحراف عن جوهره واستقلاليته لدى إيصاله الى الآخر"[٥]. وهو المسوغ لأن يُدرَس جانبٌ أساس من جوانب سيرة ابن هشام، بوصفه تاريخاً يحقق ذاته عبر السرد التخييلي ، وهنا يكمن الفرق بين المؤرخ والروائي كما يقول " كولنجوود "فالمؤرخ يلتزم بالصورة التي يرسمها بحدود المكان والزمان ، وذات صلة بالمادة التاريخية، وخالية من التناقض...وهذه الأمور غير ملزمة للروائي"[١]. لكن هذا لا يعني أن أخبار السيرة النبوية كانت بمنأى عن وجود أخبار مختلقة، فقد تسربت الى حوادث السيرة النبوية الأخبار المخترعة، حتى بدت السيرة النبوية – وهي تمر عبر تراكمات الثقافة الشعبية – "وكأنها أحداث لا تمت بصلة الى الأرض، فهي سيل من المعجزات والغرائب والمهولات"[٢].

لكن الحديث عن وجود أخبار موضوعة في السيرة النبوية شيء و الحديث عن وجود التخييل السردي في الأخبار الصحيحة التي دونت شيء آخر، "ومن ثم لا يمكن فصل السرد عن الخيال ، فالخيال هو الذي يحكم عملية تمثُّل الواقع الزائل الذي ينبغي حكايته لإعادة تشكيله"[٣].

فالتاريخ السردي الحقيقي والتاريخ السردي الكاذب هو عين ما يسميه "سعيد بنكراد" **(بالسردية الطبيعية والسردية الاصطناعية)** ،يقول بنكراد: أن "السردية الطبيعية مرتبطة بالفعل الذي يحكي سلسلة من الأحداث وقعت فعلاً...تقابلها مع نوع آخر يُطلق عليه السردية الاصطناعية أي تلك التي تقدم عوالم تخييلية مبنية وفق غايات لا يحددها سوى المحفل المنتج للنص السردي"[٤].وبناءً على ذلك فإن هناك فرقاً كبيراً بين التاريخ السردي الطبيعي الصحيح و التاريخ السردي الاصطناعي المختلق الذي يتحدث عنه التاريخيون الجدد.

إن سيرة ابن هشام ، بوصفها نصاً يحقق تداخلاً بين الفضاء التاريخي والفضاء الأدبي ، قد امتلكت ما يدعوه البحث "بسردية النص السيري"، وهو السرد الطبيعي غير الاصطناعي، بالمفهوم (البنكرادي) ، لأن "التاريخ نفسه كان كتلة من القصص المعيشة

---

[٥] : أنساق التداول التعبيري ،دراسة في نظم الإتصال الأدبي،(ألف ليلة وليلة أنموذجاً تطبيقياً) ، د. فائز الشرع ، دار الشؤون الثقافية،العراق، سلسلة أكاديميون جدد ،ط٢٠٠٩/١: ٣١

(١) : نقلاً عن :أطروحة بناء الحكاية التاريخية، م. س : ١١٤

(٢): ليس من سيرة الرسول الكريم، غالب حسن الشابندر،دار العلوم،بيروت،ط٢٠٠٦/١ :٦

(٣) :أطروحة بناء الحكاية التاريخية ، م. س : ١١٣

[٤] : مسالك المعنى ، م. س :٧٤

التي لا تنتظر سوى المؤرخ الذي يحولها الى نظائرها النثرية"[٥]؛وهذا الأمر دفع البحث الى دراسة بناء الحكاية التاريخية في السيرة، "فمثلما هناك حكاية صوفية وأخرى شعبية وثالثة رمزية ورابعة حول المثل.. الخ، هناك حكاية تأريخية هي أسبق في الظهور لدى العرب من الاشكال الحكائية الاخرى كلها"[١].

كما أن الحديث عن سردية النص السيري ليس جديداً ؛ فقد كان الدكتور "عز الدين اسماعيل" يقول: "إن كتب السير والمغازي، جمعت بين العلم والفن، جانب العلم يتمثل ، في أن السير والمغازي تعتمد أساساً على مادة تاريخية، فهي تحكي عن شخوص تاريخيين، وأحداث ووقائع تاريخية في معظمها . وأما جانب الفن فيتمثل في الطابع القصصي، الذي تصاغ فيه هذه المادة ، فهي إذن مادة تاريخية تعرض في قالب قصصي"[٢]. وربما كان العزوف عن دراسة النص السيري ، بوصفه نصاً سردياً "وليد خوف من التصادم مع يقينية هذا النص ، أو قداسته ، في حين أن دراسته ، ستفتح الباب أمام الوقوف عند حقيقة هذه اليقينية أو القدسية"[٣] .

و قد " كان فهم أدبية النص السردي القديم،..مركزاً مهماً في استكشاف السرد واستقراء فاعليته ضمن معطيات الثقافة العربية – الإسلامية، ليسهم بتركزه على استنباط البنية السردية للموروث الحكائي العربي"[٤].

و لهذا تسعى دراسة سيرة ابن هشام ، مشروع البحث ، الى إدراك فاعلية التخييل السردي في بناء النص السيري، وفحص مؤسسات الأخبار ، والوقوف على عناصر السرد فيها ، وكشف نقاط الاتصال والافتراق ، بين سيرة ابن اسحاق وسيرة ابن هشام، عبر فحص التأثير الثقافي في كتابة التاريخ والوقوف على الأنساق الثقافية المشكلة للهوية ،لأن "منظومة الأنساق الثقافية المكونة لذهنية أية أمة من الأمم تظل كامنة في نصوصها

---

(٥) : الوجود والزمان والسرد،فلسفة بول ريكور ميتافيزيقيا السردية،(الزمان والرمز في فلسفة التاريخ عند ريكور)، هايدن وايت :١٨٦

(١): بناء الحكاية التأريخية(تأريخ الطبري انموذجاً)، م. س :٢

(٢):المكونات الأولى للثقافة العربية،د.عز الدين اسماعيل،دار الشوؤن الثقافية،بغداد،ط١٩٨٦/٢ :١٣٩

(٣):بناء الحكاية التاريخية: المقدمة ٢.

(٤): سرد الامثال:١٦.

الأدبية الرسمية والشعبية"[٥] ، فقد عمل ابن هشام على تنقية الشوائب من سيرة ابن اسحاق ، بحذف كثير، مما وجده لحق بالسيرة مما لا يليق بشخص الرسول ، ولا بالتذوق الجماعي الذي تحول الجميل السابق عنده الى "عيب نسقي في تكوين الثقافة العامة وفي صياغة الشخصية الحضارية للأمة"[١] ، بما فيه الجزء الذي خصصه ابن اسحاق لبدء الخليقة والمعاد، وبعضه مرويات سردية تخييلية ، ازدهرت في عصر ابن اسحاق وابتدأ بها السيرة النبوية.

وتأسيساً على ذلك يمكن دراسة موقع الأخبار السيرية من الثقافة ، كما يمكن دراستها ضمن إشكالية النظرية الأجناسية العربية ، وضمن آليات البنية السردية لها عبر دراسة الفضاء الزماني والمكاني وبناء الشخصية المركزية/شخصية النبي، ودراسة الأخبار النبوئية في السيرة، بوصفها مكوناً عجائبياً يخترق الزمان والمكان؛ ليؤسس نصياً للثقافة الإسلامية القادمة، عبر النبوءات والبشارات التي سبقت ولادة النبي "ص".

---

[٥] : نقد ثقافي أم نقد أدبي ،د. عبد الله الغذامي و د. عبد النبي اصطيف ، دار الفكر-مشق،سلسلة (حوارات لقرن جديد) ، ط١ ،٢٠٠٤ :١٥٢

[١]: نقد ثقافي أم نقد أدبي، م .س : ١٩

الفصل الاول

(المركزية الثقافية لسيرة ابن هشام)

المبحث الأول : التهذيب وحمولات الثقافة

١- السيرة وأفق التدوين

٢- أزمنة السيرة النبوية

٣- إستراتيجية التهذيب : مقاصد التهذيب

٤- وظائف الرواة في سيرة ابن هشام

المبحث الثاني : أخبار النبوءات والعجائبيات

(تعالق السردي بالثقافي)

"المعراج" العجائبي :الاحتماء بالمقدس

عجائبية الشيطان : الصورة بوصفها بلاغة

المبحث الاول

التهذيب وحمولات الثقافة : منهجية التأليف

١-السيرة وأفق التدوين

برز ابن اسحاق في **عصر التدوين**، "العصر الذي أسس للثقافة العربية الإسلامية ، وطبعها بطابعه المعرفي ، ومانزال نتلقى المعلومات..، على ذمة من دوّنها، فقد كان هذا العصر، بمثابة تحول من نظام المعرفة العامة الى نظام المعرفة المتخصصة"(١)، و أصبح التدوين المسؤول الأول عن شكل النصوص وتنظيمها، فقد دخلت النصوص عنوةً ضمن آليات التصنيف، التي سادت في ذلك العصر، بدءاً من العنوان، وانتهاءً بالبناء الشكلي لها، كما خضعت النصوص الى "إستراتيجية التدوين"، عبر الانتقاء والتهذيب، والإقصاء والتحريف، لأسباب سياسية وآيديولوجية .

واجه "التدوين"، في بداياته ، صعوبات كثيرة ، بسبب التأصيل الشفاهي للثقافة العربية، فلم تكن الشفاهية "نظاماً طارئاً في الثقافة العربية، إنما هي محضن نشأت فيه تلك الثقافة، في مظاهرها الدينية، والتاريخية، واللغوية"(٢).

الى جانب تلك الصعوبات ، فإن المنتج الثقافي لعصر التدوين : أدب ، و رؤى ، و أفكار، ومعتقدات، وعادات ، و تقاليد ، و ميثولوجيا، وفولكلور، قد تسرب الى الوقائع الخبرية المدونة ، "وأُضفي عليها مفاهيم عصر التدوين لا عصر الوقائع المدونة، فالوقائع التاريخية، التي تُروى شفاهاً، يعاد إنتاجها ليس في ضوء عصرها فقط، بل في عصر تدوينها أيضاً"(٣). وهذا يقود الى مفهوم " أرخنة النصوص وتنصيص

(١):المبتدأ في قصص الأنبياء،محمد بن إسحاق صاحب السيرة،جمع وتوثيق:محمد كريم الكواز،مؤسسة الإنتشار العربي،بيروت،ط١/٢٠٠٦ :٢٦
(٢):موسوعة السرد العربي،م.س :٤٢
(٣):م. ن : ١٧٩

التاريخ،..فهناك الأرخنة، التأثير الخارجي الذي يأتي من التاريخ الى النص، وهناك التنصيص، وهو تأثير النص في التاريخ"(٤).

إن الانتقال من الوعي الشفاهي، الى الوعي الكتابي، كان له الأثر الكبير في التحولات النوعية التي طرأت في صياغة الأدب والتاريخ والثقافة، فقد تغيرت آليات الإبلاغ والتوصيل "إذ إن التراسل الشفوي ، على نقيض الكتابي، يقتضي تبايناً ومسافة بين المرسل والمتلقي"(١)، حتى أن بعض "التاريخيين الجدد"، انتصروا للرواية الشفوية على حساب المكتوبة، حين عدَّوا أن قصص الحياة، كما يرويها أصحابها، تمزج حقائق موضوعية بأخرى شعورية ذاتية، وتجارب واقعية بأخرى خيالية ، كما أن التاريخ في عبارته الشفوية المسموعة، أغنى وأغزر منه في شكله المكتوب المقروء(٢). لقابلية المكتوب على التأويل ، ومحاولة تحريكه من ثبوتيته الى صيرورة دائمة النظر والتأمل، حيث أن ما يُنقل لا ينبغي له أن يكتب مرّةً واحدة ، بل يجب أن تعاد كتابته باستمرار، بناءً على أسئلة الحاضر، وإشكالياته، وبالنتيجة كان ذلك دعوة الى عدم ثباته ، أو تقديسه، بل دعوة الى فحصه وإعادة تأمله، لكي يتماهى مع الشروط الثقافية الجديدة والمتغيرة ، ليأخذ التدوين هنا **وعياً معرفياً** "وهو الوعي الذي تكون عند بعض المسلمين في تسجيل الحدث التاريخي مع النظر في واقعية هذا الحدث والأسباب الموجدة له وبيان دور الزمان والمكان وما يصاحبهما من أفكار مذهبية ،وسياسية ، ونفسية ، واجتماعية"(٣). كما أن الثقافة الإسلامية التي تدعو الى الرجوع الى الأمم الماضية ؛ قد رسخت مفهوم التدوين عندهم ؛ مما يدعو الى القول أن السيرة التي كتبها ابن اسحاق متأتية من اهتمام الباحثين المسلمين بأخبار الأمم السابقة التي دعا القرآن الكريم والنبي "ص" الى الاعتبار بها* ؛ الأمر الذي شكل وعياً تاريخياً مبكراً عند المؤرخين العرب المسلمين .

---

(٤) :النقد الثقافي ،اشكالية المصطلح، صالح زامل، مجلة مسارات- بغداد،عدد١،نيسان/ ٢٠٠٥ :٢٨

(١) :موسوعة السرد،م. س : ٤٨

(٢) : ينظر: مفهوم التاريخ، عبد الله العروي، م. س :١٠٨

(٣) : الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والإضطهاد ،(شيخ كتاب السيرة محمد بن اسحاق أنموذجاً)، السيد نبيل الحسني ،منشورات العتبة الحسينية المقدسة-كربلاء ، مؤسسة الأعلمي ،بيروت، ط٢٠٠٩/١: ١٠٨

*:ينظر: قوله تعالى ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب))يوسف ١١١ ،وغيرها من الآيات.

٢- أزمنة السيرة النبوية

مثلت حركة السيرة النبوية امتداداً لحركة التاريخ عبر أزمنة ثلاث : **زمن وقوع الحدث/زمن النبي، زمن التدوين/زمن ابن اسحاق، زمن التهذيب/زمن ابن هشام.** فقد وصلت السيرة النبوية الى ابن هشام بعد أن "انكسرت" أخبارها باجتيازها هذا الاختلاف الثقافي ؛ فالخبر يتحرك عبر الزمن ، فيدخل بين ثقافات متباينة ، فينكسر حين يمر بين وسطين مختلفين في الثقافة، حيث يعاد إنتاجه ، ضمن ثقافة وقيم جديدة ، ففي زمن التهذيب – زمن ابن هشام– كانت السيرة النبوية تحيا ضمن منظومة ثقافية وسياسية ألقت بظلالها على العصر، خصوصاً أنظمة التأليف وأساليب الصياغة ، لأن الثقافة "لم تكتف بالوقوف موقف المحايد المنتظر، بل عملت على التسلل الى مهمة التأليف نفسها لتنطق عبر نظم الصياغة وأساليب البناء..إنها تعمل في المنطقة المؤثرة بين المؤلف ومادته، وبين التاريخ وكتابته"[1] ؛ فقد أجرى ابن هشام معالجات في تدوينه السيرة النبوية استجابة لضغوطات النسق الثقافي السائد : الشعبي والرسمي المتمثل بالسلطة التي تستطيع أن تزيح ما لا ينسجم و رؤيتها الآيديولوجية في التدوين، سيما وأن الصراع السياسي قد بلغ أوجه في ذلك العصر.

عمل ابن هشام على تنقية سيرة ابن اسحاق ، بحذف كثير، مما وجده لحق بالسيرة، بما فيه الجزء الذي خصصه ابن اسحاق لبدء الخليقة والمعاد ، وفي هذا الجزء بعض المرويات السردية التخييلية المحضة المتوارثة التي لا تمت الى الواقع بصلة التي كانت مزدهرة ومقبولة في الثقافة في العصر السابق وفي عصر ابن اسحاق ولم يكن بمقدوره التخلص منها ، ؛فابن اسحاق لم يكن بمنأى عن اضفاء مناخ قصصي متصل بالمناخ الثقافي لعصره ، بحيث جاء "المتن الرئيس للسيرة الذي يصور غزوات الرسول بشكل وحدات شبه حكائية"[2]، لا يمكن للثقافة في عصر ابن هشام القبول بها؛ مما أعطته الفرصة لحذفها وتهذيبها، كما حذف فضلاً عن ذلك ما لا ترغبه السلطة المهيمنة .

---

(1):استراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،دراسة في كتاب(الاصنام)لابن الكلبي، د.لؤي حمزة عباس- مجلة ثقافات البحرينية، العدد٢١/٢٠٠٨ :٦٦.

(2): موسوعة السرد العربي ، م. س : ١٨٠.

أعطى ابن هشام لنفسه صلاحيات الراوي ، الذي يمتلك "الوظيفة التأويلية" التي تحدث عنها الدكتور عبد الله إبراهيم[١] ، وفي هذه الوظيفة يقوم الراوي المفارق لمرويه ، بإيجاد علاقات، بين ما يروي والبنية الثقافية ، من أجل شحن الخطاب بدلالته المطلوبة، في زمن روايته.

إن حركة النص السيري بين كاتبين : الأول/ابن اسحاق الذي تبنى مهمة التأليف، ليدوّن من سيرة الرسول الكريم/زمن الواقعة، ما لم ينتظم في كتاب سيرة من قبل، والثاني/ابن هشام الذي تولى مهمة إعادة إنتاج وتوجيه مدوّنات الأول، ما قد دعا الثاني ليصرح – وهو يكشف بعضاً من آليات عمله– بأنه حذف جزءاً من سيرة ابن اسحاق، قائلاً: "وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب"[٢]، في محاولة منه لشرح، تدخلاته على نص ابن إسحاق، بعد إعادة تدوينه من جديد.

نستطيع أن نتلمس التغيرات التي طرأت على السيرة النبوية، عبر رحلتها الثقافية، حين نعرف أن سيرة ابن اسحاق كانت تتضمن(المبتدأ والمبعث والمغازي) . المبتدأ تناول الزمن الاول ، منذ خلق العالم متعرضا الى تاريخ الوحي قبل الإسلام ، من آدم(ع) الى نبي الله جرجيس[٣]، وهذا القسم من "المبتدأ"، هوالذي أقرّ ابن هشام بحذفه من سيرته، الا أن "المبتدأ" يتضمن قسماً اخر تعرض ابن اسحاق فيه الى ذكر اليمن، والقبائل اليمنية، وأصحاب الأخدود وحديث الفيل، وتاريخ القبائل العربية، وذكرنسب النبي محمد(ص) والحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية، وهذا القسم أقرّه ابن هشام في سيرته ولم يحذفه[٤]. كذلك أثبت الجزأين الآخرين من سيرة ابن اسحاق؛ "المبعث والمغازي" واعتمد على روايتيهما مع إجراء التهذيب عليهما، فابن هشام ، كما يقول ابن خلكان ، "هو الذي جمع سيرة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من المغازي والسير لابن اسحاق وهذبها ولخصها"[٥] . و"المبعث" من السيرة هو الجزء الذي يشمل حياة النبي(ص) في مكة وهجرته الى المدينة ، ونشاطه فيها خلال العام الأول، أما "المغازي"، فهو الجزء الذي

(١) : ينظر : موسوعة السرد العربي،م. س : ٢٠٦
(٢): سيرة ابن هشام : ٧
(٣):للإطلاع : ينظركتاب: المبتدأ في قصص الأنبياء،م.س.
(٤):ينظر:نظام الزمان العربي، م. س :٥٤
(٥) :وفيات الاعيان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان ، مادة محمد ابن هشام :١٧٧/٣

يُعنى بتاريخ النبي ويسجل غزواته الى زمن وفاته[١]... وهنا تكون سيرة ابن هشـــام قـــد تضمنت قسماً من "المبتدأ" فضلا عن"المبعث والمغازي". والسؤال هنا : ما المكانة العلمية التي كان ابن اسحاق يحتلها ، بوصفه أول من ألف كتاباً في السيرة ؟ وماذا كـــان يمثـــل "المبتدأ" داخل النسق الثقافي القديم ؟ ولماذا عمد ابن هشام الى تهذيب سيرة ابن اسحاق ؟.

صورة ابن اسحاق عند الباحثين والقيمة الثقافية لكتابه

مثّل ابن اسحاق(١٥١هـــ) ظاهرة ثقافية في عصره ، وقد اختلف الباحثون كثيراً في معرفة حقيقة شخصيته ، "إذ التأمت في صورته تناقضات وثنائيات ومستويات ، قلما تجتمع في شخصية ثقافية"[٢] ؛ فقد رسم الباحثون صورتين متناقضتين لابن اسحاق ، كانت الأولى صورة ايجابية نقية تصور قيمته الفكرية وثقته ومكانته العلمية ، تأكد ذلك من إطراءات العلماء : "وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي فعليه بابن اسحاق. وذكره البخاري في تاريخه ، وروي عن الشافعي رضي الله عنه ، أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن اسحاق. وقال سفيان بن عيينه : ما أدركت أحداً يتهم ابن اسحاق في حديثه. وقال شعبة بن الحجاج : محمد بن اسحاق أمير المؤمنين ، يعني في الحديث"[٣] . كما أنه ثقة عند الشيعة إذ أن والده كان من أصحاب الإمام زين العابدين(ت:٩٥هـــ) ، أما هو فقد كان من أصحاب الإمامين الباقر"ع" (ت:١١٤ هـــ) والصادق "ع" (ت:١٤٨ هـــ)[٤] ، وقد روى ابن اسحاق عنهما ، كما نجد ذلك في سند هذا الخبر الذي رواه في سيرته: "قال ابن اسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم ،عن ابي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه الى السماء ، ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد"[٥] . وقد روى عن ابن اسحاق أشهر محدثي "الإمامية"

---

(١): أنظر:كتاب سيرة ابن هشام.
(٢) : المبتدأ في قصص الأنبياء ،م . س :٢٨
(٣): سيرة ابن هشام ، المقدمة :٥.
(٤) : ينظر:رجال الطوسي،(محمد بن الحسن بن علي الطوسي، ت:٤٦٠ هـ) ،مؤسسة النشر الإسلامي ،ط١ /١٤١٥، قم ،ايران، :٢٧٧ رقم :٣٩٩٨ ، ١٠٩ رقم:١٠٦٥
(٥) : السيرة النبوية لابن اسحاق ، تح : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢/٢٠٠٩ : ٥٤٢

، منهم الشيخ الصدوق(ت:٣٨١ هـ) والشيخ المفيد(ت:٤١٣ هـ) نقلاً عن الإمام الصادق "ع"[١] ، ولهذا فقد نشأ "على الموالات للعترة النبوية ..ويبدو أن هذا الأمر هو السبب المباشر في معاداة البعض لابن اسحاق واضطهاده والتشهير به ومن ثم محاولة إسقاط الثقة عنه حياً وميتاً"[٢] . وهذا التشهير الذي لحق ابن اسحاق هو الصورة الثانية السلبية المشوهه التي تطعن به فقد أكد المستشرق "نولدكه" اهتزاز صورة ابن اسحاق عند المؤرخين العرب رغم مكانته الرفيعة بقوله : "فقد شاعت حوله بين المسلمين أحكام مستنكرة أيضاً ، فيقال أنه كان ضعيفاً أو واهناً في الرواية ، وأنه غالباً ما دمج العديد من الروايات بعضها مع بعض دون ذكر اختلافاتها، وأنه ذكر روايات عديمة القيمة لأشخاص غير معروفين ، ونسبها زوراً لأسماء مختلقة"[٣]. كذلك لم يأخذ ابن اسحاق في طبقات ابن سعد حيزاً يناسب أهميته وتأثيره ، كما قدم مؤرخ المعرفة ابن النديم صورة سيئة لابن اسحاق ، وقال أنه مطعون ينقل العلم عن اليهود والنصارى[٤]. ويبدو أن هذه الصورة المشوهة التي رسمها أعداء ابن اسحاق واتهامه من قبل الباحثين بعدم الدقة في نقل الروايات شجعت ابن هشام في أن يهذب سيرة ابن اسحاق ويفصل السيرة النبوية عن المبتدأ ؛ الأمر الذي استنكره بعض المدافعين عن ابن اسحاق وعدوه من ضمن الحملة التي شنت عليه وعلى سيرته التي "تعاقب على التلاعب بها كل من ابن هشام وبعض الحفاظ وبعض المحققين"[٥]. مما جعل تهذيب ابن هشام ، على وفق ذلك ، يأخذ مقصداً آيديولوجياً سياسياً للنيل من ابن اسحاق ومن مذهبه فقد كان "للنزاع إذن وجه آخر.. لا يمكن اعتباره علمياً محضاً ، بل له جانبه السياسي"[٦].

أما المكانة العلمية لكتابه المسمى "المبتدأ والمبعث والمغازي" الذي دوّن فيه السيرة النبوية فرغم أن ابن اسحاق اعتمد على وهب بن منبه(ت ١١٠هـ) الذي هو عند أغلب

---

(١) : ينظر : الأمالي، الشيخ المفيد ،تح :حسين الأستاد ولي وعلي أكبر الغفاري ،دار المفيد ،بيروت ، ط١٩٩٣/٢ ،المجلس التاسع والعشرون :٢٤٦

(٢) :الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد ، م . س :٢٩٨

(٣) : تاريخ القرآن، تيودور نولدكه ، تعديل : فريدريش شفالي، تر: د.جورج تامر وآخرون، منشورات الجمل، ٢٠٠٨ :٣٥٢،٣٥٣

(٤) : ينظر : المبتدأ في قصص الانبياء،م. س : ٣٣-٣٥

(٥) : الشيعة والسيرة النبوية ،م . س :٣٣٨

(٦) : السيرة والمغازي ،محمد بن اسحاق بن يسار،تح: سهيل زكار،دار الفكر،بيروت ،المقدمة :١١

الباحثين أول من وضع الهيكل القصصي لتاريخ العالم على أساس سلسلة الرسل والنبوات[١] ؛ فقد كان المبتدأ ، "بمثابة الأساس ، أو الإطار المرجعي، الذي يشد إليه بخيوط من حديد، جميع فروع هذه الثقافة وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة"[٢] ، معتمداً على مركزية السيرة النبوية وأهميتها، في تنظيم إيقاع التاريخ العربي الإسلامي، وتشكيل الهوية الإسلامية ، و "لم تكن كتابة المبتدأ ترفاً فكرياً ، بل كان ضرورة من ضرورات السيادة العربية على أقوام ، تحسسوا أن ثقافتهم أعرق وأوسع وأجدى...، وكان على الكاتب أن يدرك المتناقضات ، ويعي تقاطعاتها فيقدم خطاباً يحقق الانسجام بين الواقع الجغرافي العريض والواقع التاريخي الضيق "[٣].

جاءت فكرة ابن اسحاق لكتابة السيرة ، كما هو سائد عند بعض الباحثين ، بناءً على الرواية التي تقول: أن الخليفة المنصور العباسي أمره أن يضع كتاباً لابنه المهدي يجمع فيه التاريخ منذ آدم "ع" الى يومهم. فصنف ابن اسحاق هذا الكتاب ، ثم طلب منه أن يختصره ، فاختصره ابن اسحاق وأصبحت لديه نسختان من الكتاب ، فأعطى النسخة المختصره الى المنصور ، أما النسخة الأصلية فأعطاها الى "سلمة بن الفضل" فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره في النقل لحال تلك الروايات[٤]. ويبدو أن ابن اسحاق لم يكتب السيرة النبوية لإرضاء السلطة و توجهاتها بل قد أوهما بتقديمه نسخة مختصرة تلبي رغباتهم السياسية غير تلك النسخة التي احتفظ بها، كما أكدت رواية الخطيب البغدادي . ويبدو أن ابن هشام قد اعتمد النسخة الثانية(النسخة الأصلية التي أُعطيت الى سلمة بن الفضل)، لا النسخة المختصرة التي كانت لدى المنصور. كما أن ابن هشام قد لمس هذه الحقيقة عندما أقدم على تهذيب النسخة الأصلية وحذف ما لا يتفق ورؤيته أو رؤية السلطة العباسية التي جاءت بعد المنصور المتمثلة بهارون الرشيد وابنه المأمون الذي عاصرهما ابن هشام[٥] التي أرادت أن تعيد توجيه التاريخ بما يخدم سياستها.

---

(١): ينظر:المبتدأ في قصص الأنبياء،م. س :٢٦.

(٢):تكوين العقل العربي،محمد عابد الجابري،دارالطليعة،بيروت،ط١٩٨٤/١(سلسلة نقد العقل العربي،١) : ص٦٢.

(٣): المبتدأ في قصص الأنبياء م.س :١٥.

(٤):ينظر: تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي(أحمد بن علي ت:٤٦٣) ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ /١٩٩٧ ، :٢٢١/١

(٥) :ينظر: ترجمة ابن هشام في كتاب :وفيات الأعيان ،ابن خلكان ،م. س :١٧٧/٣

أما في دلالته الاصطلاحية ، فقد كان كتاب سيرة ابن اسحاق " يشكل التصور الإسلامي، لبدء الوجود وأولية الخلق"[١]. ويبدو أن أهمية كتاب "المبتدأ" ومركزيته ، نابعة من مركزية السيرة النبوية- بما تضمنته من سنة النبي "ص"- وأثرها في تكوين العقل العربي الإسلامي ، فهي التي ارتقت بكتاب ابن اسحاق وأسست له تلك المركزية . وقد تداول المؤرخون الأوائل، فيما بعد، سيرة ابن اسحاق غير المختصرة، المهذبه من قِبَل ابن هشام، واستمدوا منها الأخبار والموضوعات ، منهم اليعقوبي(ت:٢٩٢هـ) و الطبري(ت:٣١٠هـ)،والمقدسي(ت:٣٥٥هـ)، وابن كثير(ت:٧٧٤هـ)[٢] .

أما البحث المعاصر فلم يتفق مع ابن هشام في تهذيبه ، وأسف لما عمله في السيرة: "ومما يؤسف له أن ابن هشام لم يقتصر على الإيضاحات والإضافات ، بل قام باختصارات شديدة للنص"[٣] ، وعلل أحد الباحثين ذلك بقوله : "فالمبتدأ في تاريخ الأمة مرحلة أولى لابد منها، لبناء المراحل اللاحقة..، ثم أن المبتدأ معين يمد الباحثين في الميثولوجيا العربية ، بمادة أصلية لاستكشاف الميادين التي ولجها الفكر القديم"[٤] . ويتهم الشيعة ابن هشام بأن تهذيبه جاء لطمس الحقائق التي تثبت أمجاد بني هاشم وبالتحديد مناقب الإمام علي "ع" ، كما يخفي هذا التهذيب نفاق الكثير من الشخصيات الإسلامية ، بحسب تصورهم[٥] .

وبالنتيجة فإن مسوغ تأليف سيرة ابن هشام لا يخلو من دلالات "سياسية"، تمثل آيديولوجية السلطة وأهدافها، لإضفاء الشرعية على سياستها، ذلك أن هارون الرشيد ومن سبقه من الخلفاء، كما يؤكد ابن الجوزي، "كانوا يوظفون قصص المبتدأ توظيفاً يؤكد أحقيتهم في الحكم وهو في الوقت نفسه يوجّه أنظار الناس...أن القص حين يظهر أيام الفتنة يلهي الناس عن رؤية الواقع ، ويصرفهم الى العيش في ماض مقدس وجميل"[٦]. كما أن الترويض الذي تمارسه الثقافة يأتي عبر المظهر الديني لها ، أو بعبارة "أليوت" :

---

[١]: المبتدأ في قصص الانبياء، م. س:١٤
[٢] : ينظر: م. ن :٤٣-٤٤
(٣) :تاريخ القرآن، م . س :٣٥٢
(٤): المبتدأ في قصص الانبياء، م. س :٤٥
[٥] : ينظر:الشيعة والسيرة النبوية ، م . س :٣٤١
(٦):كتاب القصاصين والمذكرين : عبد الرحمن بن الجوزي : نقلاً عن : المبتدأ في قصص الانبياء :٢٠

"أن على الثقافة أن تتخذ شكل ثقافة دينية إذا ما أُريد لها أن تمارس..نفوذاً وتأثيراً على الجماهير"[١].

ومن هنا يمكن القول بأن ابن هشام كان يسعى في تهذيبه على وفق ضرورات ثقافية وآيديولوجية متمثلة بتوجهات السلطة العباسية ؛ لهذا فإن ابن هشام قد أعاد إنتاج ابن اسحاق من جديد على وفق الشروط الثقافية الجديدة.

يذهب الد كتور "رضوان سليم" أبعد من البعد السياسي في تحليل الحذف والتهذيب الذي أجراه ابن هشام فقد حمله بعداً فكرياً فقد رأى أنه "لم يكن فقط تهذيباً وتلخيصاً لكتاب ابن اسحاق ، بل تجاوز ذلك الى تدوين تصور جديد للسيرة النبوية ، وكتابة صورة جديدة للنبوة ذاتها"[٢] ، فعد هذا التهذيب انفصالاً عن زمن الوحي وتاريخه "أدى الى استقلال السيرة المحمدية، ومن ثم تكوين العصر النبوي، ما نتج منه خلق زمن ديني إسلامي خصوصي..، "فتح المجال لإنتاج مفاهيم مذهبية مثل (الجاهلية)،(العهد النبوي)،(الهجرة)، و(الردة) وغيرها من المفاهيم ذات الطابع القيمي، التي أدت الى تكوين تحقيب تاريخي، بديل هو في نهاية المطاف تحقيب مذهبي للتاريخ الإسلامي "[٣]؛ ما خلق تصوراً مغايراً للسيرة : "فبقدر ما كان تصور ابن اسحاق للسيرة تصورا شمولياً، كان ابن هشام، شاهداً على رؤية جديدة للنبوة ، رؤية خاضعة لقواعد لم تكن مألوفة في عصر محمد بن اسحاق"[٤] . وهذا يؤكد أن ابن هشام واجه إشكالية اتصال السيرة بما قبلها أو الانفصال عنه، فالاتصال بتاريخ الوحي يفتح المجال للزمن "الجاهلي" للولوج الى التاريخ الإسلامي أما الانفصال عن المبتدأ وتاريخ الوحي ، فإنه يغلق الأبواب أمام "الجاهلية" و الروايات "الإسرائيلية" ، ويمنح التاريخ الإسلامي هويته ، و حضوره وخصوصيته [٥].

حسم ابن هشام هذه الإشكالية عندما فصل السيرة عن المبتدأ ، وكان لهذا الانفصال تداعيات كبيرة فقد "سمح بترسيخ مفهوم الجاهلية..الأمر الذي ترتب عنه ، ليس فقط ، فصل الإسلام عن تاريخ الأديان ، بل أيضاً عن تاريخه الديني"[٦]. وبالنتيجة فقد نقل هذا

---

[١] : فكرة الثقافة ، تيري إيجلتون ،دار الحوار ، سوريا ، تر: ثائر ديب :٢٣١
(٢): نظام الزمان العربي،م.س :٥٣.
(٣): م . ن :٦٤.
(٤): م . ن : ٥٣
(٥):ينظر: م . ن :٦٤.
(٦): نظام الزمان العربي،م.س : ٦٣.

الفصل السيرة النبوية من الشمولية الدينية والاتصال بسلسلة الرسل والأنبياء الى زمن إسلامي خصوصي ، ذلك إن حذف المبتدأ "حرم الوعي التاريخي من الارتباط بلحظة الخلق المقدسة"[١] . كان هذا تأويل الباحثين على تهذيب ابن هشام لسيرة ابن اسحاق ، فماذا يقول ابن هشام نفسه على هذا التهذيب ؟ وماذا يمكن أن نستدل من كلامه على استراتيجيته في التهذيب ؟.

٣-استراتيجية التهذيب: مقاصد التهذيب

يسوّغ ابن هشام استراتيجيته في التهذيب ، ويبيّن مقاصده في إشارة منه الى خطورة عمله هذا قائلاً:"وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار، الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب،مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له،ولا شاهداً عليه،لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به".[٢]

يثبت هذا النص أن ابن هشام كان صاحب مشروع ثقافي كبير نهض به ، وكان واعياً بما سيقوم به ، فهو من جهة يكشف المسوغ من تصنيفه لهذا الكتاب ، ومن جهة أخرى، يرسم استراتيجيته في تهذيبه أخبار السيرة النبوية ، فإن المسوغ من وراء تأليف ابن هشام لكتابه-بناءً على كلامه- هو "**مسوغ موضوعي**"، مرتبط بأسباب رأى فيها ابن هشام ، ومن موقعه بوصفه عالماً، أن يستجيب للضرورات الثقافية والسياسية في عصره ، وفي المسوغ الموضوعي، يتعالى الكاتب على الرغبات الشخصية والأهواء، إلا أنه "يصعب التنكر للاعتبارات الذاتية أو الغيرية في أكثر الأعمال الأدبية والفكرية عمقاً وأصالة"[٣]. ليكون مقصد التصنيف مقصداً ثقافياً مركباً: دينياً تربوياً وسياسياً آيديولوجياً

---

(١) : نظام الزمان العربي،م.س : ٦٥

(٢): سيرة ابن هشام :٧- ٨.

(٣): عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي،الأخبار والكرامات والطُرف ، د. الهاشم أسمهر، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت،ط٢٠٠٨/١ :١٣٣.

، وفي إطار المنظومة الخلقية الدينية التي تسعى السلطة لإشاعتها ، وتحت غطاء مسوغات التأليف السائدة عند مصنفي المدونات الخبرية في العصر العباسي الذين جاءت مقاصد تأليفهم لغايات توجيهية تربوية(*). كما أن مشروع التهذيب الذي قام به ابن هشام يستبطن "**المسوغ الغيري**" لتأليف الكتب لأنه يستجيب لإملاءات سياسية وثقافية ملحّة كانت تمارسها السلطة متمثلة بالخليفة العباسي هارون وأبنه المأمون اللذين كان ابن هشام يعاصرهما. وبالنتيجة فقد "انتقى محمد بن هشام من كتاب ابن اسحاق ما يناسب تصوره للسيرة النبوية المحمدية"(١).

فالإقرار بالترك كما ورد في نص ابن هشام بقوله :(وتارك) ، يعني فيما يعني، أن ابن هشام قد عزم على مواجهات عديدة في كتابه، تتدرج ضمن مقاصد التصنيف ورهاناته ، لترسم بعد ذلك منهجية التأليف ، ومكونات الكتاب وبنيته وآليات تنظيمه.

في نص ابن هشام الوارد نرصد أهدافاً عديدة لمعنى "التهذيب" الذي أجراه على سيرة ابن اسحاق، تمثل "مقاصد" تخضع جميعها، لمفهوم "**الموقع الثقافي**"، الذي يسعى الى "إعادة توجيه"، النصوص بما يلائم ثقافة العصر، حيث "جرى فرز ثقافي تقررت معه الخريطة الثقافية العربية"(٢)؛ مما أكسب النصوص فاعلية، وفتح لها أفقاً معرفياً واسعاً، ارتقى بها الى مستوى التحديات الثقافية الجديدة.

فكتاب ابن هشام اشتمل على مقاصد مركبة، توزعت بين مقاصد ثقافية، وأخرى سردية، ومقاصد آيديولوجية ، ومقاصد السند ، وأخرى أدبية ، بما يلائم شمولية السيرة النبوية، التي كانت وعاءً لمجموعة من القيم : الدينية والمعرفية، والأدبية، التي تشكل المنتج الثقافي للعصر.

(*): كما نجد ذلك عند الجاحظ في كتابه(البرصان والعرجان والعميان والحولان)، وابن قتيبة في(عيون الأخبار)، والتنوخي في كتابيه(نشوار المحاضرة)، و(لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار)، والمقري الإبياري في كتابه(المختار من نوادر الأخبار).

(١) : نظام الزمان العربي ، م . س : ٥٩

(٢): النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء –بيروت، ط٣/٢٠٠٥: ٢٢٣

أ- مقاصد ثقافية :

يقول ابن هشام : "وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره"[٣]. عمد ابن هشام الى حذف ما "يشنع" و "يسوء" إرضاءً للمنظومة الثقافية التي يحيا في ظلها، بعدما أصبحت أخبار سيرة ابن اسحاق ، تعيش في شبكة علاقات جديدة ، وتصورات أخرى . فالخبر "يحتمل التدخل عندما نقرأ تفاصيله في ضوء متغيرات الحدث وظرفه السياسي والاجتماعي وقرائنها الأخلاقية"[١]، ومن هنا يمارس الراوي/ابن هشام التدخل في تهذيب أخبار السيرة وهو يواجه تحديات الظرف المرحلي الذي يعيش فيه.

رصد ابن هشام الطبيعة الثقافية التي يمكن للنصوص العيش فيها ، وإقامة حوار مع نسقها السائد، بعد تغير الموجهات ، وتبدل المهيمنات الثقافية والسياسية وهو ينتقل بالنصوص "من التاريخ، بوصفه أحداثاً، الى الثقافة، حيث يغدو الحدث نصاً في شبكة كبرى من النصوص"[٢]؛ ولهذا أزال ابن هشام ما وجد من النصوص التي تتعارض و اشتراطات الثقافة الجديدة ، فقد هذّب بعضاً منها وأعاد توجيه بعضاً آخر، "فإنّ بمستطاع النصوص المنتجة تحت ضغط إعادة التوجيه ، بما تشتمل عليه من حذف ، وإضافة أن تحرف مقولاتها الاولى وتغيب غاياتها الأصلية ، لكنها تحافظ من جهة أخرى على ما يعتمل ضمن نسجها النصية...، فالثقافة بانفتاحها واتساع آفاقها ، تعمل على إنتاج النصوص وتحديد متجهاتها ، مثلما تعمل النصوص على قول الثقافة ، وكشف نظمها"[٣] ، وهذه الجدلية ، جدلية النص والثقافة ، تؤكد : " أن النص السيري أو الخبري أو المقامي أو الشعري...إنه في النهاية نص ثقافي"[٤] ، الأمر الذي جعل ابن هشام يواجه تحديات عديدة : "**تحديات سياسية عقائدية**"، حيث التباين في الثقافة والاعتقادات بين عصر إنتاج سيرة ابن إسحاق/القرن الثاني وعصر إنتاج سيرة ابن هشام /القرن الثالث الهجري ، وبين زمن الواقعة/عصر النبي . أخذت هذه التحديات طابعاً عقائدياً سياسياً ، حين رأى

---

(٣): سيرة ابن هشام : ٧

(١) : سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ، د . محسن جاسم الموسوي ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء- بيروت ،ط١/١٩٩٧ :٤٦

(٢): استراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،م.س:٦٧.

(٣):التطلع الى النبوة، م. س :٢٣

(٤):ترويض الحكاية(بصدد قراءة التراث السردي) ، د. شرف الدين ماجدولين،منشورات الاختلاف(الجزائر)-الدار العربية ناشرون(بيروت)،ط١/٢٠٠٧ :٢٨

بعض الناس/السلطة العباسية ، أن هذا الحديث الذي " يشنع ويسوء" بعض الناس ذكره ، "لا يتعدى كونه فضائل أهل البيت عليهم السلام ولا سيما فضائل علي بن أبي طالب الذي لا يناسب ذكرها السلطة العباسية"[٥] ، وهذا الاعتقاد بحد ذاته تحدياً يواجه ابن هشام وهو يدون سيرة النبي "ص" ، بوصفه تحدياً عقائدياً شعبياً موجهاً الى الثقافة الرسمية المدونه التي تحاول ترويض التاريخ لمصالحها السياسية .

كما واجه ابن هشام "**تحديات قيمية**"، وهي التصادم الحاصل بين قيم الماضي/عصرالنبي، وقيم الحاضر/عصر ابن هشام. هناك تحديات أخرى أصبحت أمام ابن هشام هي "**تحديات تاريخية** "، من خلال إعادة بناء الذاكرة التاريخية ، وتقويتها بالتدوين كي تكون مستعدة لمواجهة الذاكرة الحاضرة ، بوصفها نتاجاً لوعي الحاضر، فاحياناً تغيب هذه الذاكرة وتتحول الى ذاكرة انتقائية تحفظ شيئاً وتنسى شيئاً آخر، "فالماضي لا يحضر الا باستدعاء الحاضر له هذا الاستدعاء الذي يشكل اطاراً فكرياً تتواجه داخله القيم وتتنازع الدلالات"[١].

ومن أجل إنعاش هذه الذاكرة ، وجب تغذيتها بمحركات سردية، إذ "من الصعب الحفاظ على حماس الجذور"[٢] ، لا سيما وأن السيرة النبوية هي واحدة من أهم النصوص المرجعية التأسيسية التي شكلت الهوية الإسلامية ، الهوية التي يقول عنها أدوارد سعيد أنها "متورطة باستمرار في السرد ؛ سرد ماضي الأمة وسرد أجدادها المؤسسين ، وسرد الوثائق والوقائع الأصلية"[٣] ، بما حملت تلك السيرة من صورة لثقافة عصر النبي وطبيعته الدينية والاجتماعية والأخلاقية ، الأمر الذي دعا الى أهمية التعالق معها ، بإيجاد صلات ثقافية، عبر تنقيتها وتهذيبها من التراكمات التي لحقت بها.

---

(٥) : الشيعة والسيرة النبوية ،م . س:٣٣٩

(١): بلاغة التزوير، دراسة في اخبار التزوير، كما وردت في كتاب(نشوارالمحاضرة واخبار المذاكرة) للقاضي التنوخي، ت٣٨٤هـ ، د.لؤي حمزة عباس، مجلة المورد العراقية ، مجلد(٣٦)، العدد(٤)، ٢٠٠٩ :٥٧.

(٢) :من النص الى الفعل،بول ريكور،م. س:٣٠٤

(٣) :التلفيق والذاكرة والمكان،إدوارد سعيد،تر:رشاد عبد القادر،مجلة الكرمل،العدد:٧٠-٧١ /٢٠٠٢ :١٠٧

ب - مقاصد سردية :

يقول ابن هشام : "وتارك..على هذه الجهة للاختصار...وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق..لما ذكرت من الاختصار"(١). والاختصار يتحقق(بالحذف Ellipsis)، "ليمر على أحداث أراد النص تهميشها وصولاً الى الحدث الرئيس،... بهدف إسقاط فترات زمنية، وتهميش ما وقع فيها من أحداث لصالح الأحداث الرئيسة"(٢) ، وعبرالحذف تنضد الأخبار لضبط إيقاع السرد ، وتحديد سرعته ، فيأخذ مصطلح التهذيب هنا بعداً فنياً /سرديا، تخضع الاخبار فيه الى استراتيجية سردية حين يتم التلاعب بالزمن ، زمن الحدث وزمن السرد ، على وفق برنامج سردي مقصود : "إن زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي"(٣)، لأن زمن السرد يخضع للانتقاء . يقول ابن هشام : "وهو حديث طويل منعني من استقصائه ماذكرت من الاختصار"(٤). إنتقاء المواضع في جسد النص، من خلال التحكم بالسرد ، بموضعته ، وتقطيعه وتنويع المشاهد ، هي آليات سردية تؤكد على المقصديات في توزيع الاخبار وتنضيدها، وتعمل على إضاءة مهمات التأليف لدى ابن هشام وهو يعمل على إنتاج نص جديد من لدن نص سابق. كما نلمس في متن سيرة ابن هشام، اصطناع وظائف سردية، تدخل ضمن البعد الفني/السردي، تعمل على تنظيم النص وترتيبه، وتوزيع السرد داخل الزمان والمكان، والتدخل في جريان الحكي وتدفقه، ضمن شبكة سرد تديرها سلطة الراوي هي تمارس وظائف متعددة سيقف البحث لإضاءتها .

---

(١): سيرة ابن هشام :٧

(٢):السرد في مقامات الهمذاني،أيمن بكر،الهيئة المصرية للكتاب،،(د.ط)١٩٩٨: ٩٧-٩٨.

(٣):بنية النص السردي،من منظور النقد الأدبي،د.حميد لحمداني،المركز الثقافي العربي،ط ٢٠٠٠/٣ :٧٣

(٤): سيرة ابن هشام :١١.

ج- مقاصد آيديولوجية /عقائدية :

يقول ابن هشام: "وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه.."(٥).

تتدرج أسباب التهذيب هنا عند ابن هشام ضمن دوافع آيديولوجية ، تنسجم و مشروعه الكبير: فصل السيرة النبوية عما قبلها؛ لتثبيت مركزيتها، وتسليط الضوء على شخصيتها المركزية ، واحتكار مساقط الضوء على جزء معين من التاريخ العربي الإسلامي وصولاً الى تثبيت مركزية الشخصية النبوية، وهي إستراتيجية تخترق الكتاب ، وتوحد أجزاءه مما يُضفي عليه بعداً أخلاقياً وقيمياً، يسهم في بناء تأليفه ومنهجيته.

تم التعامل مع السيرة النبوية بوصفها مسيرة مقدسة للشخصية المركزية، أو لتاريخ القرآن الكريم، أو ما يدخل في بيانه أو الشهادة عليه، وعلى وفق كلام ابن هشام الوارد وجب لذلك أن تغذي السيرةُ العقيدةَ لأنها، "أصبحت أحد مكونات السنة النبوية، أي تشريعاً يحدد القواعد الدينية والقيم الأخلاقية "(١). لذلك أضحت السيرة النبوية سنة مقدسة ، فضلاً عن كونها أحداثاً تاريخية ، أسست للعقيدة ، مما جعل بعض أخبار التاريخ الإسلامي، يهمّش أو يهمل على حساب أخبار الشخصية المركزية : "قال ابن هشام وحديث الفجار أطول مما ذكرت ، وانما منعني من استقصائه قطعه حديث رسول الله صلى الله عليه واله".(٢)

وهذا يؤكد أن نص سيرة ابن هشام ؛ فيه انتقاء آيديولوجي للتاريخ /مفهوم التهذيب ، و قد خضع التاريخ الى سلطة الثقافة . فالثقافة هي المنظم الذي يضبط ايقاع التاريخ ويعيد مركزة النصوص، بتهذيب ما لا يتآلف والمزاج الثقافي السائد ، وهذا الانتقاء الثقافي قد أهمل جزءاً منه ، وأن جزءاً آخر قد أُعتني به، وأن المهيمنات الثقافية والسياسية هي التي تقرر بقاء أو تهذيب هذه التراكمات التي لحقت بالحوادث التاريخية التي حدثت بالفعل. وهذا البعد الآيديولوجي يؤطر الأخبار ويعيد توجيهها ، بإتجاه بؤرة محددة ، عبر آلية

---

(٥): م . ن :٧
(١): نظام الزمان العربي،م.س :٥٢
(٢): سيرة ابن هشام :٧٦

انتقاء الأخبار، وإعادة بنائها من جديد ، أي أن لها بعداً تنظيمياً. "ومن هنـــا، فـــإن علـــى الآيديولوجيا أن تضطلع بدور إدماج الفرد ضمن الذاكرة الجماعية، بإقناعه بـــأن لهـــذه الأحداث قيمة كبيرة"[٣]، فاستحضار التاريخ وربطه بالحاضر، يشكل محوراً أساسياً، فـــي إنتاج المعرفة، وتشكيل الوعي؛ مما يعطي فرصة لاتساع المعرفة الدينية، عبـــر أخبـــار السيرة النبوية، وتمددها في الزمن، وصولاً الى توطينها في الثقافة.

د – مقاصد السند:

يقول ابن هشام : "وبعضٌ لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقصٍ إن شاء الله تعـــالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به"[١] ، يؤكد هذا النص أن شيخ ابن هشام بعد ابن اسحاق، هو البكائي(١٨٣هـــ =٧٩٩ م) ، "ويبدو أن نصف القرن الذي أعقـــب وفـــاة ابن إسحاق أكثر وضوحاً، في تاريخ تكون السيرة النبوية ، من القرن والنصف الذي سبق وفاته، ذلك أنه خلّف رواة محترفين رووا عنه السيرة أبرزهم : زياد البكائي"[٢]. ويوصف البكائي بأنه "من أوثق الناس في ابن اسحاق "[٣]، وهنا يعطي ابن هشـــام مســـوغاً آخـــر للتهذيب الذي أجراه بمشروعية ما تمَّ تهذيبه ، لكونه قد أخذ إجازة علمية من رواة السند ، فالسند مكون أساسي في بناء كتاب ابن هشام ، وقد ظهر مـــع الخبـــر تعضـــيداً لـــه ، وإكسابه ثقةً وصدقاً في المرحلة الشفوية والتدوينية ، فـــ"الأسانيد تضـــطلع غالبـــاً بـــدور تبرئة الذمة"[٤] . يسوغ بعض الباحثين للتهذيب الذي أجراه ابن هشام على أساس أنه لـــم يطمئن على سند ابن اسحاق لتطور جهاز الإسناد بعده ؛ بعد أن تطورت المعـــارف فـــي القرن الثالث الهجري عما هي في القرن الثاني ، إذ "أن ابن اسحاق لم يفِ غالباً بالمطالب التي فُرضت عليه بعد قرن . فبينما يضم على سبيل المثال إسنادٌ بحسب نموذج البخـــاري أو الطبري سلسلة خالية الثغرات لكل الوسطاء الواردين بين مؤلفي الأحـــداث المرويـــة وشهود عيانها، لا يتبع ابن اسحاق مبدأً ثابتاً،..إذ يُسقط الأعضاء، ويضع مكان اســـم مـــا

---

[٣] :الهوية والسرد، م.س :٦١
(١): سيرة ابن هشام :٨
(٢): موسوعة السرد العربي،م.س:١٧٥
(٣):العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،تح:صلاح الدين المنجد،الكويت،١٣٨٦ه- ١/ ٢٨٧:
(٤): الخبرفي الأدب العربي،،م.س :٦٨٩

أحد التنويهات...والأمر يتعلق بتطور الإسناد من الأشكال الحرة الى الثابتة"[٥]. وهذا يناقض ما قاله علماء الحديث عن ثقته وعن إمامته في الحديث كما ذكرناه سابقاً .

يتنوع جهاز السند في أخبار سيرة ابن هشام ويأخذ شكلاً متطوراً ، يُلمس ذلك من خلال الصيغ المختلفة له :(زعموا- حدثنا- بلغني -ذكر لي -يُروى -يُقال – فيما يتحدث الناس – بعض أهل العلم – من يروي الحديث – أهل الرواية – عن نفر من الأنصار – من لا أتهم – رجال من قومه – من أثق به – حدثني رجل – عن أصحابه – عن بعض أهله – من أصحابنا،...)؛ ولهذا يمكن رصد أربعة أنواع من السند في أخبار السيرة النبوية لابن هشام :

١- التوثيقي : وهو الذي يربط الواقعة بخيط السند وصولاً الى الراوي الأخير، كما جاء الخبر الآتي :" قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد،قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه،فيشمتوا بكم"[١].

٢- السند الأدبي : وهو السند الذي لا يهتم بالواقعة التاريخية، وانما يُعنى بمسألة علمية، لغوية أو غيرها. ومثاله الخبر الآتي : "قال ابن هشام :تقول العرب :هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغيره..."[٢].

فجملة : "فتقول العرب"، سند أدبي، يعني تواتر الظاهرة اللغوية و اطرادها.

٣- السند الممزوج "المتعدد" : وهو السند الذي لا يحيل الى راوٍ محدد ، بل هناك رواة مختلفون يروونه بألفاظ مختلفة، وبأساليبهم الخاصة وله صيغ مختلفة[٣]، نحو: "أهل الرواية"، "أهل العلم"..الخ، كما جاء في الخبر الآتي : "قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن مما هاج أمّه السعدية على ردهِ الى أمه...أن نفراً من الحبشة نصارى...قالوا لها:..هذا غلام كائن لهُ شأن، نحن نعرف أمره"[٤].

---

(٥) : تاريخ القرآن، م. س : ٣٥٣

[١] : سيرة ابن هشام،م.س: ٢٦٨

[٢]: م . ن : ٨

[٣] : ينظر: مملكة الباري ، السرد في قصص الأنبياء ، محمد كريم الكواز،مؤسسة الانتشار العربي ، ط ١/ ٢٠٠٨: ٩٥

[٤]:سيرة ابن هشام، م. س:٦٨،٦٩

٤- سند مرسل : وهو الخبر الخالي من الإسناد، يربط الراوي نفسه بالخبر دون واسطة سند، كما في الخبر الآتي : " قال ابن اسحاق : واجتمعت قريش يوماً، في عيد لهم، عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظّمونه، وينحرون له، ويعكفون عنده ، ويديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنةٍ يوماً..."[٥]

فابن هشام يرسل هذا الخبر، ويسكت عن سنده.

وهكذا أصبح "التلازم بين السند والمتن أصلاً لا يمكن نقضه...وسرعان ما أصبح السند جزءاً من البنية الثقافية...بل مظهراً من مظاهر التقاليد الثقافية والدينية"[٦].

وآلية الإسناد، تنتمي الى الوظيفة التوثيقية، للراوي المتماهي بمرويه[١]، حيث يعمد هذا الراوي لتقوية المروي، عبر توثيق الروايات من خلال ربطها بالرواة ، الثقات والمشهورين، ليحصّن الراوي نفسه ويحصّن المتن من الاتهام بالدس والوضع "وتطور الأمر، بمرور الزمن، فصارت أهمية الكتب تتحدد بأسانيدها"[٢]، ورغم ذلك فإن الأخبار لم تنجُ من الوضع حيث " أن نظام الإسناد نفسه لا يمكن أن يوفر حماية كاملة للمرويات، التي يقوم الرواة بحملها من مصدرها الى المتلقي الأخير، فهو نظام لا يملك الكفاءة المطلوبة منه، وقابل للإختراق لأسباب شخصية وعامة"[٣]. ما يهم البحث هنا أن التهذيب الذي أجراه ابن هشام على السيرة النبوية ، جاء بدافع ضعف سند الروايات ، على وفق اشتراطات البكائي.

هـ- مقاصد أدبية :

يقول ابن هشام : "وأشعاراً ذكرها لم ارَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها"[٤]. نقل رواة الشعر أشعار كثيرة دون تمحيص "ولعل ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية أشهرهم في هذا الباب"[٥]؛ فقد رووا أشعاراً ضمنوها أخبارهم ، حتى أن بعض الرواة رووا شعراً للأنبياء ، سيما تلك القصيدة التي رواها أبو زيد القرشي(القرن الثالث) ونسبها لنبي الله آدم

---

(٥) :م.ن:٨٩
(٦) :موسوعة السرد العربي، م. س:٣٦
(١) :ينظر: موسوعة السرد العربي، م. س :٢٠٧
(٢) : م . ن : ٣٦
(٣) : م . ن :٣٩
(٤): سيرة ابن هشام :٧
(٥) : العصر الجاهلي(تاريخ الأدب العربي ١)، د.شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، ط٣ :١٦١

(ع) بوصفها أول قصيدة في حياة البشرية[٦]، وقد رفض الباحثون هذا الإدعاء: "يذكر الثعلبي أن ابن عباس قال:(من قال إنَّ آدم قال الشعر فقد كذب). ما كان للأنبياء، وآدم واحد منهم، أن ينظموا الأبيات وغير لائق بنبي أن ينحط الى مرتبة الشعر...وينتج عن هذا أن القصيدة المنسوبة لآدم موضوعة مصنوعة"[٧]. والأمر يتعلق بقضية انتحال الشعر الجاهلي المروي شفاهاً وعوامل أسبابه : عامل القبائل التي كانت تبالغ في مفاخرها،وعامل الرواة الوضاعين[١]. وقد تصدى لقضية انتحال الشعر الكثير من المحققين للشعر العربي.

حذف ابن هشام(ت ٢١٨هـ) من سيرة ابن اسحاق شعراً منتحلاً، اتفق عليه بعد ذلك الرواة المحققون للشعر العربي ، فقد ذكر ابن النديم(ت:بعد ٣٧٧ هـ) أن ابن اسحاق" كان يعمل له الأشعار، ويؤتى بها ويُسئل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل ، فضمّن في كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر"[٢]. كما هاجم ابن سلّام الجمحي ابن اسحاق بقوله : "وكان مما أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غُثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار..وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر أوتي به فأحمله..ولم يكن له عذر. فكتب في السيّر أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط...ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة..والله تبارك وتعالى يقول :(فقطع دابر القوم الذين ظلموا).."[٣].

وهذا الاتفاق على عدم دقة ابن اسحاق في رواية الشعر ناتج من الأسباب المذهبية التي ذكرناها سابقاً ، التي تحاول إلصاق التهم به لتشيعه ، فضلاً عن المراجعات المتأخرة لمحققي روايات الشعر العربي ، فقد كانت هذه الروايات مقبولة في عصره ، مما أعطى لابن هشام مسوغاً لحذف أشعار أنكرها "أهل العلم"، وقد بالغ بعض المحققين في الشعر العربي حين ضيّقوا الباب على رواية الشعر، ورفضوا حتى تلك الأشعار التي أقرها ابن

---

(٦) : ينظر: جمهرة أشعار العرب،أبو زيد القرشي،تح:علي محمد البجاوي ،القاهرة،١٩٦٧ : ٢٤/١-٢٥
(٧) :لسان آدم،عبد الفتاح كيليطو،تر:عبد الكبير الشرقاوي،دار توبقال،الدار البيضاء،ط١٩٩٥/١ :٣٨،٣٧
(١) :ينظر: طبقات فحول الشعراء،ابن سلّام الجمحي،تح: محمود محمد شاكر،دار المعارف بمصر،(د.ت):٣٩
(٢) :الفهرست،ابن النديم(محمد ابن اسحاق أبو الفرج النديم)،دار المعرفة،بيروت،١٩٧٨ :١٣٦/١
(٣) :طبقات فحول الشعراء،م.س : ٩،٨

هشام ، فالدكتور طه حسين، رفض الكثير من الشعر، وهو يدرس قضية انتحال الشعر العربي و دور الدين في هذا النحل "متشككاً في الأشعار التي يقال أنها نُظمت في الجاهلية إرهاصاً ببعثة الرسول، مما رواه ابن اسحاق واحتفظ به ابن هشام في سيرته[٤]. ويبدو أن إصرار ابن اسحاق ومن بعده ابن هشام على تضمين السيرة النبوية شعراً، لوظيفة الشعر في تحقيق التوثيق للأخبار و التعضيد لها، لكن إثبات اختلاق هذا الشعر متأخراً قد ألحق الضرر في مصداقية أخبار السيرة النبوية ، لهذا تصدى ابن هشام ومن تابعه لتهذيبه وحذفه .

الأخبار والشعر

اشتملت أخبار السيرة النبوية على الكثير من الأشعار ؛الأمر الذي يدعو الى كشف مضامينه و وظائفه . ولم يكن الشعر حكراً على أخبار السيرة النبوية فحسب ؛ فقد كانت الأشعار ممتزجة بالأخبار" ويظهر أن الكتب الخاصة بالقبائل لم تكن تكتفي برواية الأشعار، بل كانت تضم إليها غير قليل من أخبارهم وأيامهم ، وربما كان هذا هو السبب في أننا نرى مؤرخيهم ينثرون في تاريخهم أشعاراً كثيرة كأنهم يرون أنها سنده وعماده"[١]، الأمر الذي جعل مصنفي الأخبار يستثمرون الشعر شاهداً تعضيدياً في ثنايا مؤلفاتهم. وتداخل الشعر في متون النثر العربي، "أنما يعني الوظيفة السردية التي يؤديها الشعر في بنية النص، مما يشكّل وحدة عضوية، لا يمكن معها فصل الشعر عن النوع الذي التحم معه "[٢].

اختلف الباحثون في قضية تداخل الشعر، مع نثر الخبر العربي القديم، فالدكتور محمد القاضي عدَّ الشعر من أكثر الفنون تأثيراً في نشأة الأخبار، فهو المثبت لصحتها، والمؤكد على واقعية الشخصيات، كما أنه المولد الحقيقي للخبر، أو ما أطلق عليه البلاغيون اسم "حلّ المنظوم"، أي سردية الشعر، و يؤكد القاضي، على أن الشعر يتخذ تكأة لإحداث الإنفعال في المتلقي[٣].

---

(٤) : العصر الجاهلي،م.س:١٧٣
(١) : العصر الجاهلي،م.س :١٦٢
(٢): المبتدأ في قصص الأنبياء،م.س:٣٦
(٣):ينظر : الخبر في الأدب العربي، م. س :٣٧٧-٣٨٠

وذهب بعض الباحثين الى المبالغة في وظيفة الشعر بوصفه مكوِّناً من "مكونات الوصف، يستعين به الراوي والسارد ، على إكمال ما لم يقله النثر...وحضور الشعر بكثافة..دليل على رغبة هؤلاء في التقريب بين جنسي الشعر والنثر"(٤)، والسبب أن "السرد لاقيمة له دون الشعر، ولعل ذلك يعود الى إلحاح المتلقين على سماع الشعر"(٥). الامر الذي يدل على أن تداخله مع السرد "لا يمثل عنصراً طارئاً على السرد، بل يكون قسماً من أقسام الخطاب، ملتحماً بالنثر داخل البنية السردية"(٦) ، من غير أن يشكل ذلك عائقاً داخل السرد، بحيث ينتقل التشكيل السردي "من النثر الى الشعر من دون ، أن تتعثر حركته"(١).

كما أن الشعر يقترب من السرد اذ " تقترب الموضوعات الشعرية دائماً من السرد حين تحتفي بحيزها الزماني والمكاني"(٢).

اتخذ الشعر في السيرة النبوية وظائف عديدة منها : "**التوثيق** "، فالشعر أحد مصادر الرواية ، فهو يؤدي عمل المؤرخ في تسجيل ما يطرأ على الإنسان من مواقف وأحداث وموقف الإنسان الوجداني من تلك المواقف ، " فإن الأبيات الشعرية التي تشير عرضاً، ودون انعكاسات معينه الى الحدث ، على نحو لا يُنكر، شهادة قيمة"(٣). فضلاً عن ذلك فإن الشعر ينقل الخبرَ الى مستوى التأثر الاجتماعي، و يحقق له بعداً وجدانياً، ينقله من أفق الأقناع الى أفق التأثير العاطفي ، وبالنتيجة يكسبه شيوعاً أكثر.

والوظيفة الأخرى :هي "**المشهدية الحوارية** " وهي أن يكون الشعر جزءاً من الحدث ، بحيث تكتمل خيوط سرد الخبر به ، ويؤثث الشعر هنا المشهد ، مما يمنحه بعداً تكاملياً، ينتقل بالسرد من قطاع سردي الى آخر من خلال نقل مقاليد الروي من راوٍ الى آخر، و بذلك يحقق الخبر حواراً ، تختلط فيه الازمنة: زمن الشعر، و زمن الواقعة، و زمن

---

(٤):السرد العربي القديم، د. ضياء الكعبي،م. س:١٤١-١٤٢

(٥):نظرة في أدبنا الشعبي :ألف ليلة وليلة وسيف بن ذي يزن،ألفة الأدلبي،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق/١٩٧٤: ١١٨

(٦):التداخل بين الأجناس الأدبية للمقامات، صالح بن رمضان،مجلة جذور،ج٤،مجلد٢،جمادي الآخرة،١٤٢١،سبتمبر/٢٠٠٠ :١١٠

(١): سرد الأمثال ، م. س :٧١

(٢) : الشعر والسرد والنص بصفته كتلة، د. علاء عبد الهادي، مجلة الشعر،مصر،عدد:١٣٤ صيف ٢٠٠٩ : ٢٩

(٣) : تاريخ القرآن، م. س : ٤٠٦

تدوينها، "لُيهيئ اختلاف المناسبتين الفرصة للتداخل الخبري الذي يشهد الخبر بموجبه تعدداً في الوقائع يُبنى عليه اختلاف زمني ملحوظ"(٤).

نلاحظ ذلك في خبر دعاء النبي في نزول المطر فعندما نزل قال :

"قال رسول الله:لو أدرك ابو طالب هذا لسرّه.فقال له أصحابه :كأنك يا رسول الله اردت قوله: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال :أجل"(٥).

والوظيفة الأخرى للشعر في نص السيرة هي: "**الوظيفة المعرفية** "،التي يستدل بها على المعنى، إذ أن الأشعار "لا تُستخدم لتزيين الخطاب وحسب، بل أيضاً لتقوية المضمون"(١)،كما أن هذا التوظيف الشعري "يهدف من خلال لغة الشعر الى شرح ألفاظ القرآن الغريبة وصيغها ومدلولاتها "(٢) .

كما استشهد بشعرالأعشى على معنى "العرم " بمعنى السد(٣) ، أو كما جاء في توضيح معنى "التباب" في قوله تعالى" تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"(٤)، " قال ابن هشام : تبت : خسرت. والتباب : الخسران. قال حبيب بن خدرة الخارجي أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة : لتوضيح بعض المفردات القرآنية:

يا طيب إنّا في معشرٍ ذهبت مسعاتهم في التَّبار والتَّبب :(٥)

وبالنتيجة فقد كان ابن اسحاق وابن هشام واعيين بهذه الوظائف التعضيدية للشعر في نسيج الأخبار لاكسابها فاعلية أكثر، و مصداقية وأثراً أكبر، بتهذيبها وتنقيتها، من الأشعار غير الموثقة وغير المعروفة.

---

(٤): استراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،م.س:٧٧.
(٥): سيرة ابن هشام :١٠٩.
(١) : تاريخ القرآن ،م . س : ٤٠٥
(٢) : م. ن : ٤٠٩
(٣): ينظر :سيرة ابن هشام :١٠.
(٤) : سورة المسد : آية١
(٥) :سيرة ابن هشام :١٣٩

ومن هنا فقد استحال "التهذيب" عند ابن هشام الى استراتيجية مارس خلالها "إعادة توجيه" سيرة ابن اسحاق لكي تتوافق مع الثقافة التي يحيا فيها بكل حمولاتها السياسية والفنية والأدبية.

٤- وظائف الرواة في سيرة ابن هشام

- وظائف تكفّل بها الراوي المتماهي بمرويه:

مارس الراوي المتماهي بمرويه – **و هو الراوي المقارب أو المشارك في الحدث، الذي يروي الحدث بنفسه، ويمتلك وظائف داخل نصية** – في أخبار السيرة النبوية، دوراً في البناء السردي لها، عبر وظائفه المعينة[٦] وهي :

أ- **وظيفة وصفية:** يقوم الراوي المتماهي بمرويه بتقديم عبارات تصف مشهداً ، أو تعبر عن الحالة النفسية للشخصية، كما نجد ذلك في خبر سيف بن ذي يزن مع كسرى :

"فقال : ما أصنع بهذا، ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهبٌ وفضة : يرغبه فيها.فجمع كسرى مرازبته، فقال لهم : ماذا ترون في هذا الرجل.."[١].

فجملة(يرغبه فيها) هي صوت الراوي المتماهي بمرويه ، حيث تصف – و قد قطعت جريان الحدث – حالة الشخصية/ابن ذي يزن ، وهي تحاور كسرى ، وهي شاهد على تدخل الراوي في السرد.

ب-**وظيفة توثيقية:** يعدُّ الإسناد آلية تنتمي الى الوظيفة التوثيقية، للراوي المتماهي بمرويه، حيث يعمد هذا الراوي لتقوية المروي، عبر توثيق الروايات من خلال ربطها بالمصادر التوثيقية و بالرواة الثقات والمشهورين، ليحصّن الراوي نفسه ويحصّن المتن من الاتهام بالدس والوضع ويقنع المتلقي بأنه يروي تاريخاً موثقاً.

ج-**وظيفة تأصيلية:** الوظيفة التأصيلية هي التي منحها الراوي المتماهي بمرويه لنفسه متأتية من تأصيل روايات أخبار السيرة النبوية في التاريخ والثقافة، فقد أصبح بإمكان

(٦) :ينظر :موسوعة السرد العربي،م. س: ٢٠٧
(١) :سيرة ابن هشام :٣٠

الراوي أن يحاول تأصيل الخبر، و ربطه بالمآثر العربية .فمثلاً في حديث الراوي حول "تَارِيخُ النّسْءِ عِنْدَ الْعَرَبِ" يقول:

"قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَانَ أَوّلُ مَنْ نَسَأَ الشّهُورَ عَلَى الْعَرَبِ فَأَحَلّتْ مِنْهَا مَا أُحِلّ وَحَرّمَتْ مِنْهَا مَا حُرّمَ الْقَلَمّس...وَكَانَتْ الْعَرَبُ إذَا فَرَغَتْ مِنْ حَجّهَا اجْتَمَعَتْ إلَيْهِ فَحَرّمَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ الْأَرْبَعَةَ رَجَبًا ، وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجّةِ وَالْمُحَرّمَ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحِلّ مِنْهَا شَيْئًا أَحَلّ الْمُحَرّمَ فَأَحَلّوهُ وَحَرّمَ مَكَانَهُ صَفَرَ فَحَرّمُوهُ لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ"[٢].في هذا الخبر يقوم الراوي المتماهي بمرويه بتوثيق مسألة النسيء في الأشهر الحرم .

– وظائف تكفّل بها الراوي المفارق لمرويه :

يمتاز الراوي المفارق لمرويه **بأنه راوٍ بعيد عن الحدث ، يروي عن غيره ، وله وظائف خارج نصيه لكونه يحيا ضمن شروط تاريخية ، أي أنه عنصر قصصي خارج نصي** . ويمتلك صلاحيات واسعة جعلت الدكتور محسن جاسم الموسوي يسميه : **راوي الرواة** فهو "يتدخل عندما يرى نفسه جامعاً لأخبار ونوادر لا يريد منحها لغيره"[١]. في السيرة النبوية ، اعتمد ابن هشام وظائف الراوي المفارق لمرويه[٢] ، مكنته من التدخل في مجريات الأحداث ، والوظائف هي:

أ– وظيفة اعتبارية :

حيث نجد في أخبار السيرة ، أن الراوي المفارق لمرويه ، يخلع صفات اعتبارية على أحداث وشخصيات معينة، في الأخبار التي يرويها، من ذلك، خبر خديجة و ورقة بن نوفل : " ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت الى ورقة... وكان ورقة قد تنصر، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله "[٣]. فجملة "كان ورقة قد تنصر" الى "فأخبرته"، هي جملة الراوي التي قطع بها الحكي كي يمنح الشخصية اعتباراً وموقعاً دينياً.

---

(٢) : م . ن :٢٢

(١) : سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ،م . س :٤٥

(٢) :ينظر: موسوعة السرد العربي :٢٠٣

(٣) :سيرة ابن هشام :٩٥

ب- وظيفة تمجيدية :

في بعض الأخبار، يبذل الراوي المفارق لمرويه جهداً في تمجيد بعض الشخصيات ، إبتداءً من شخصيات الأنبياء "ع" ، الى شخصيات الصحابة ، حيث يضع المؤلف جملة الدعاء الإسلامية المعروفة ، عند ذكر اسم النبي وهي : "صلى الله عليه وسلم" ، وجملة : "عليه السلام" لبقية الأنبياء ، و جملة : "رضي الله عنه" للصحابة. وهذه الوظيفة السردية الغاية منها الدعاء للشخصيات وتمجيدها من قبل الراوي.

ج - وظيفة بنائية :

وهذه الوظيفة تتضمن وظائف متعددة : المعرفية ، و الاستباق، والإلحاق ، و التوزيع.

١- **الوظيفة المعرفية** نجدها في بعض أخبار السيرة، مثل تدخل الراوي في انسيابية السرد و "التعليق" عليه، وإيقافه لحين إضاءة بعض الأمور الواردة في الخبر، مما يمنحه التماسك المعرفي المطلوب. وهذا مانجده بكثرة في أخبار السيرة، مثل الاستشهاد بالشعر، وهو كثير[١] ، أو التعريف بالشخصية وبالأماكن الواردة في الخبر، مثال ذلك خبر مسيلمة الكذاب : " وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب. قال ابن هشام : مسيلمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة "[٢] . فتعليقة "ابن هشام" عبر تعريفه لشخصية "مسيلمة"، هي وظيفة تحقق التنسيق المعرفي من أجل تماسك السرد وإضاءته وكشف المبهم منه.

٢- **وظيفة الاستباق**(prolepse)، التي تعني تلخيص الأحداث المستقبلية، من خلال القفز إلى الأمام والانتقال في الزمن المستقبل[٣] ؛ فإن الأخبار النبوئية قد تكفلت بهذه الوظيفة، التي تناولها البحث في الفصل الثالث .

---

(١) : ينظر: سيرة ابن هشام ، م . س : شعر حسان بن ثابت في رثاء النبي : ٥٨٢، وغير ذلك من الشعر المبثوث في أخبار سيرة ابن هشام .

(٢) : م . ن :٥٤٢

(٣): ينظر: بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د.سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية للكتاب،(د.ط)،١٩٨٤: ٤٣،٤٤

٣- **وظيفة الإلحاق** وهي من مهمة الراوي المتمثلة بالتعليق على خبر و إلحاقه بخبر آخر، مثال ذلك تعليق الراوي على صدق نبوءة الكاهنين شق وسطيح، في خبر سبق هذا الخبر الذي قطع سرده، ليذكر القارئ بنبوءة الكاهنين. وسنأتي على إضاءة هذا الخبر بالتفصيل.

٤- **وظيفة التوزيع:** وهي الوظيفة التي مارسها الراوي، التي تقوم على توزيع الأخبار حسب أماكنها، وعلاقتها بالأحداث والشخصيات ، التي أراد لها الراوي ذلك. نتلمس ذلك من خلال آليتين سرديتين هما : "**التأجيل**" و "**الحديث يجرُّ بعضه بعضاً**". فآلية التأجيل نعثر عليها من خلال العبارات، التي يطلقها الراوي، بين الحين والآخر، مثل :

" :"قال ابن اسحاق وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له : هبل.قال ابن هشام : سأذكر حديثه إنشاء الله في موضعه "(٤). وقوله :

" وسأذكر حديث ذلك المقام في موضعه إن شاء الله تعالى"(٥) . وقوله: " وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى"(٦).

أما آلية "**جرالحديث بعضه بعضا**"، فنلاحظها عندما يذكر الراوي خبراً ليس في تسلسله الزماني، وأنما جرى ذكره بسبب التداعي مع خبر آخر تشابه معناه مع معنى الخبر الذي بصدده السرد ، فيقوم الراوي بإيقاف السرد مؤقتاً لاستئناف سرد خبر آخر وهو مايسمى "**بالنسق المتناوب**" في السرد. مثال ذلك ما نجده في خبر وصف النبيّ "ص" الأنبياء "ع" :

" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لإصحابه إبراهيم وموسى وعيسى، حين رآهم في تلك الليلة، فقال : فلم أرى رجلاً أشبه قط بصاحبكم...، وأما موسى فرجل آدم طويل...، وأما عيسى ابن مريم فرجل أحمر، بين القصير والطويل.."(١)، وعند الإنتهاء من وصف النبي "ص" للأنبياء "ع"، يقوم الراوي/ابن هشام بذكر خبر فيه وصف للنبي "ص" نفسه حيث أن موضوع وصف الأنبياء، هيأ المجال لذكر وصف النبي "ص"، وكأنما شعر الراوي، بأن وصف النبي يجب أن يكون هنا داخل السرد ، وإن لم يكن

(٤) :سيرة ابن هشام :٣٧.
(٥) : م . ن : ٢٦٩
(٦) :م. ن : ٢٢٣
(١) : سيرة ابن هشام: ١٥٩

ترتيبه من حيث التدرج الزمني : "قال ابن هشام : وكانت صفة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فيما ذكر عمر مولى غفره عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام، إذا نعت رسول الله"صلى الله عليه وسلم" قال : لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القوم..، أبيضَ مشرباً، أدعج العينين..."[٢].

د – **وظيفة إبلاغية** : في هذه الوظيفة ينقل "الراوي المفارق لمرويه" حديث "الراوي المتماهي بمرويه"، بوصفه شاهداً على الحدث ، لتقوية الخبر، والوصول الى الاطمئنان على نقله. ففي خبر "قصة المعراج" ينقل الراوي الخبر عن النبي "ص"، كونه مشاركاً في الحدث، وشاهداً وحيداً له، عبر أبي سعيد الخدري القريب من النبي الذي سمع الخبر منه : "قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله "صلى الله عليه وسلم"يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس، أُتي بالمعراج...حتى انتهى بي الى باب من أبواب السماء، يقال له : باب الحفظة..."[٣].

هـ–**:وظيفة تأويلية:** وفي هذه الوظيفة يقوم الراوي المفارق لمرويه ، "بإيجاد علاقات، بين ما يروي والبنية الثقافية"[١]، من أجل شحن الخطاب بدلالته المطلوبة، في زمن روايته.إن أمرين اثنين يوفران للراوي أسباب وظيفته التأويليه أولهما :عدم وجود مؤلف ترجع إليه مُلكية السيرة ، وثانيهما:التداول الشفوي المتوتر للمرويات السيرية،الأمر الذي أتاح للراوي أن يتدخل في المرويات بما يناسب النسق الثقافي الذي يحيا فيه ،وإبداء وجهة نظره وموقفه الثقافي من المروي[٢].

هذه الوظائف السردية التي تكفل بها الراوي ، تتأسس من **الموقع الثقافي** الذي أعطاه السارد لنفسه، حتى أنها دخلت ضمن استراتيجيته في التهذيب ، الذي أجراه على سيرة ابن اسحاق التي تخترق الكتاب بإجمعه.

---

[٢]: م . ن : الصفحة نفسها
[٣]: م . ن :١٦٠
[١] : موسوعة السرد العربي ، م . س :٢٠٦
[٢] : م . ن : الصفحة نفسها

ومن هنا يأخذ مفهوم التهذيب الذي عمل عليه ابن هشام حمولات ثقافية ، جاءت عبر إعادة تدوين سيرة ابن اسحاق على وفق الثقافة التي يحيا ابن هشام داخلها ، وعبر ابتكاره مقاصد للتهذيب تعطي المشروعية الثقافية والفنية لإستراتيجيته في التهذيب ، كمـــا تمـــنح الرواة مساحة أوسع في رواية أخبار السيرة النبوية من خلال الوظائف التي مُنحت لهم.

المبحث الثانـي

أخبار النبوءات والعجائبيات

(تعالق السردي بالثقافي)

١- أخبار النبوءات

مثلت "الرؤى والأحلام والمنامات نصي الثقافة العامة والثقافة الشعبية"(١)، لتؤسس لها مركزية داخل الثقافة العربية،أعادت بناء الواقع الفكري والديني، واستطاعت البنى المعرفية للرؤيا أن "تخترق بنية الثقافة العربية،بدءاً من البنية الدلالية للّغة.لتتسرب في بنية النصوص السردية،ومنها الى نظرية المعرفة"(٢).

تحاول الرؤيا أن تمزج بين الحدس والمعرفة ، حيث يمتزج الواقعي بالمتخيل والسحري بالتاريخي،فالخيال"يستهدف دفع المتلقي الى إعادة التأمل في واقعة في رؤية فنية،لا تستمد قيمتها من مجرد الجدة والطرافة ، وإنما من قدرتها على إثراء الحساسية وتعميق الوعي"(٣) . أما الجانب الغامض والمجهول من الواقع ، فيحتاج ، لإزاحة الستارعن عوالمه الى رؤية شاملة ، من أجل إعادة بنائه وفهمه من جديد وتوطين مقولاته القادرة على التمفصل مع الحياة الثقافية الجديدة وأنساقها المهيمنة . "فالمركز الدلالي للنصوص يتمحور حول فكرة النبوءة ، التي تضفي قيمة على النصوص ، وتمنحها شرعية الاندراج في سياق النصوص التي قَبِلَها الإسلام ، وحملتها المصادر، وصارت جزءاً من الذاكرة الثقافية فيما بعد"(٤)

تضمنت سيرة ابن هشام أخباراً **نبوئيةً: حلميةً وتبشيريةً**، تندرج ضمن الاخبار التي كسرت المألوف لتشكل مكوناً عجائبياً أحدث تحولاً نوعياً في الفضاء السردي لتلك

---

(١) :السرد العربي القديم،د.ضياء الكعبي ، م . س :٧٢
(٢): الرؤيا في النص السردي العربي،نصر حامد أبو زيد،مجلة فصول،مجلد١٣،عدد٣،خريف ١٩٩٤ :٣٣٩
(٣): بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة،مصطفى مويقن،دار الحوار-سوريا،ط١/٢٠٠٥ :٩١
(٤): موسوعة السرد،م. س:٦٤

الاخبار، تتخلل هذه النبوءات سيرة ابن هشام،وتوجه منظومتها الخبرية، وتعمل على تنمية الاخبار وتطورها،بما تمنحها من دفق خيالي يزيد من فاعليتها،ويمنحها قدرةً وأفقاً معرفياً واسعين،بما يؤمّن للأخبار فرصة الانتقال الى مستوى **لا يمكن الحديث فيه عن "صدقها أوكذبها"**،حيث يعمد الخبر عندئذٍ الى تحصين نفسه ، بالسردي المتخيل ، بما يمتلك من خصائص بنائية،يكون للثقافة وموجهاتها فيه دور مركزي،للتسلل الى بنى هذه الأخبار،مما يُسهم في تكوين شبكة تستحيل الى موجّه نسقي يعمل على تثبيت الشخصية المركزية للسيرة وتأكيد فاعليتها في مجرى النص السيري ، وتشكل(الأخبار النبوئية)،الإعداد النصي لولادة الشخصية المركزية ، أي ولادة النبي(نصياً) ، من خلال: النبوءات:الحُلمية والتبشيرية ، فقد شكلت هذه النبوءات في سيرة ابن هشام ، تطلعاً للشخصية المركزية ، في ولادتيها:التاريخية والمعرفية، وهي تستطلع، على نحو نبوئي ، ولادة إنسان تُعدُّ حياته فاصلاً تاريخياً بين زمنين، مثلما تُعد ولادته المعرفية مع نزول الوحي و تحقق الرسالة المحمدية، لحظة الشروع التي أسست انطلاقتها حياة جديدة،قانونها:القرآن الكريم وسنة النبي"ص"؛ بحيث أصبحت مرتكزاً، وأساساً بنيت عليه "النبوة".

شغلت الاخبار النبوئية مساحة نصية، من كتاب ابن هشام، شكلت أحداثاً لها دلالات في المسيرة النبوية،"إن الأحلام التي تم اختيارهـا..كانـت تنحـو بالفعـل ، لأن تكـون وقائع،ولقد أدى موضوعها في الحكاية الى زيادة وتعريف قدرة هذه المكانة التي تحتلهـا الواقعة بحيث تخلقت الواقعة /العلامة":(١). كما رسمت تلك النبوءات صورة للواقع الثقافي والمعرفي في رؤيته للوجود والعالم المحيط به،ومدى تفاعل هذا الإنسان مع الحياة، ومـع اعتقاداته لما بعد الموت،حتى أصبحت هذه الأحلام والرؤى والبشارات جسـراً لمـرور وعي الإنسان الى ذلـك المجهـول، وسـجلت بـذلك حضـوراً ثقافيـاً، ومعرفيـاً، و وجودياً(انطولوجياً) انصهرت في بوتقة الاعتقادات، وموقف الانسان من هذه الاعتقادات، وإظهار مكبوتاته ، المسكوت عنها في عالم اليقظة المغمور ببؤس الحياة و قحل الطبيعة و تهدمها...كل ذلك أفرز سرداً أدبياً، سعى الى هدم الواقع ، وإعادة خلقـه وتقصـيه، ثـم

(١): بناء النص التراثي /د. فدوى دوكلاص،مشروع النشر المشترك،دار الشؤون الثقافية ، بغداد - الهيئة المصرية للكتاب(د.ت): ١٦٩.

حكايته بتغيير علائقه، واستحداث علاقات جديدة ، تمـلأ فجواتـه، واسـراره ، وعللـه "مخضعاً كل ما في الوجود.. لقوة واحدة فقط : هي قوة الخيال المبدع المبتكـر..يبتكـر التاريخ والواقع ابتكاراً..،ثم يدرجه في سياق التاريخي الواقعي ويمزجه بالسحري المتخيل "[١] ، ليغدو هذا السرد، بناءً على ذلك فضاءً نصياً صالحاً لاستنبات النبوءات، والبشارات والعلامات، التي تغذي "النبوة "،بوصفها المنظومة التي ترتكز عليها الثقافـة الإسـلامية، "فاشتراط دعم النبوة وخدمتها بوساطة التنبؤ بظهور الرسول،أمر نجده واضحاً في الخطب ونثر الكهان"[٢] حيث أنعش مفهوم النبوة بجرعات من الأحلام والبشارات بوصفهاعلامات على الأحداث القادمة ، كل ذلك من أجل تحصينه بآليات السرد؛ ما يجعل أخبار السـيرة النبوية تنظم حدث النبوة جمالياً، "ومن هنا تكون كل منظومة خبرية من هذه المنظومـات جملة في سياق سردي، يشكّل كل حدث من أحداثها، بما يميزه من فاعليه صياغية،توجيهاً يشحن السرد بظلال مضافة"[٣]. ويمنح الأخبار، مقبولية أكثر، والشخصية مركزية أعمق، حتى "أصبحت الرؤى، وسيلة للبرهنة، على صحة المذاهب الفكرية،والدينية،والسياسية..، فهي في معظم الأحيان تأتي لتمنح الشرعية للأحداث والأشياء، أو تكون الحافز المحـرك لها "[٤].

يجمع ابن هشام،استناداً الى ابن اسحاق،أخباراً عديدة ترتكز على الرؤى والنبوءات، تشتغل آيديولوجيا بأتجاه تثبيت "النبوة" وتوطينها في الثقافة.مما مكّـن السـردية الحديثـة وآلياتها النقدية،أن تضع اليد على مكامن السرد فـي هـذه الاخبار،وكشـف حضـورها الثقافي،بوصفها معياراً لمفهوم "النبوة" التي تسعى الثقافة الاسلامية لاستنباته، وهي "تعول على قدرة المكون العجائبي في أداء تجاربها..الذي يعالج مجالاً فوق طبيعي فـي رصـد الظاهرة الخارقة،وإعادة إنتاجها في الادب".[٥] ؛ كما أن تحليل عناصرالسرد وخطابه في تلك الاخبار النبوئية وصولاً الى مكامن السرد فيها ومعرفة فضائها الثقافي ، يمنح البحث

(١): الأدب العجـائبي والعـالم الغرائبي،فـي كتـاب العظمـة وفـن السـرد العربـي ، د. كمـال أبـو ديـب،دار الساقي(بيروت)- دارأوركس(بريطانيا)، ط٢٠٠٧/١ : ٨ وما بعدها.
(٢) :موسوعة السرد،م . س :٦٤
(٣): التطلع الى النبوة، م.س:٢٦
(٤): أطروحة بناء الحكاية التاريخية..تاريخ الطبري أنموذجاً،م.س:٢٢-٢٣.
(٥): التطلع الى النبوة ، م .س :٢٩.

الفرصة لكشف مركزية الأخبار النبوئية في رسم صورة المعرفة الاستشرافية ، التي بوساطتها يتشكل الوعي، و يتم فحص مؤسساته الآيديولوجية.

فالفضاء الثقافي للنبوءة ، يتطلع لقراءة التاريخ /المستقبل، قراءة نبوئية استشرافية، حيث تستعين الثقافة بتاريخها ، لتثبيت حضورها وفاعليتها وأصالتها ، وبذلك تسعى هذه الثقافة، الى استدعاء الماضي، لإضفاء المشروعية،على الحاضر والمستقبل، وإثبات ضرورته الحضارية. كما تسعى النبوءة الى محو الفواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وزحزحة المقولات بين الأزمنة والأمكنة، فحاجة الثقافة لما قبلها، يشكل نبوءة لما بعدها، وحضور "**النبوءة**" في السيرة النبوية، تعضيد "**للنبوة**" وصدق علاماتها،ورصد موقعها الثقافي في الوعي وتشكيل المعرفة، وتحصينها عبر الزمن،حيث تكتسب الرؤى دلالاتها من الفضاء المحيط بها، وإن "كان الحلم غرائبياً وفنتازياً، فإنه لا يكتسب دلالته إلا ضمن الأنساق الثقافية التي يتمثلها صاحب الحلم"(١)، فالرؤى والأحلام، هي مركبات صورية ترسم صورة ذهنية للحياة العقلية السائدة :التاريخي، المقدس،المتعالي(فوق التاريخي)، ولم يكن هدف قصاصي الرؤيا "توفير أدلة إقناع بحدوث وقائع وسرد شخصيات وانما هو إثبات حقيقة تشكل صورة مرئية من قرائن لامرئية،بمنظورات البصر الطبيعي"(٢).

وترسم كذلك صورة الشخصية المركزية في الزمن : "ما قبل"، و"ما بعد"، وتحولاتها،وهي الوظيفة السردية المركزية للنبوءات، حيث تغذي الصورة النبوئية الشخصية المركزية بطاقة تخييلية عالية ، مشحونة بالحمولات الدينية الغيبية،لكي تمنحها أبعاداً مضاعفة داخل الحقل الدلالي الغيبي،"بما يتناسب مع فرضيات المجتمع العربي / الإسلامي، وممارساته،وأنساقه ومرجعياته"(٣). فمثلاً نبوءة "ملك اليمن وتأويل شق وسطيح" في سيرة ابن هشام، –التي تنتمي الى "المبتدأ" من سيرة ابن اسحاق–هي مثال على النبوءة الحية،التي استطاعت، بما تحمله من حمولات ثقافية وتقنيات سردية، أن تنجح في المرور من "تهذيب" ابن هشام،رغم أنها تتضمن مكوناً عجائبياً يحطم المألوف :

(١): تمثيلات الآخر،م. س:١٤٩.
(٢): الحكاية الجديدة،محمد خضير،مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان،١٩٩٥،نشر وتوزيع دار أزمنة :٩٤
(٣): تمثيلات الآخر،م.س :١٦٠

"معرفة شق وسطيح بالرؤية قبل أن يتحدث بها الرائي" ثم صدق النبوءة بكل الحوادث التاريخية التي ذكرتها فابن اسحاق يروي النبوءة، ثم يأتي ابن هشام ليؤكد حصول حوادثها.. **والسؤال هنا : كيف تسامحت الثقافة الإسلامية مع هكذا نصوص تنتمي الى الأخبار العجائبية، حتى أضحت هذه الأخبار تقوي السيرة، بما في ذلك شخصية النبي(ص) ؟.**

لقد أغفلت هذه النبوءة شيئاً خطيراً وهو مدى صدق الكاهنين شق وسطيح بالغيب، وانشغلت بالفعل النبوئي الذي أرادت تثبيته ، فكيف يعقل لكاهنين أن يقصا رؤيا ملك من غير أن يخبرهما بها، ثم يشرعان بتأويل هذه الرؤيا ؟ أنه الفعل السحري للسرد الذي يستطيع أن ينفخ الروح في أي حدث أو شخصية!! . وحتى لو ذهب بعض الباحثين الى الشك في الروايات النبوئية اليهودية ، لبعثة النبي(ص) ، بوصفها روايات تؤسس للشخصية اليهودية العالمة والبصيرة ، وفي المقابل ترسم صورة جاهلة للشخصية العربية[١]؛ فإن هذا لا يعطي مسوغاً معقولاً لهذه المقبولية في الفضاء الثقافي، سيما و أن بعض النبوءات، غير اليهودية مثل "رؤيا عبد المطلب في بئر زمزم" أو "رؤيا عبد الله بن ثعلبة في الآذان"، قد أسست واقعاً جديداً في الثقافة الاسلامية، واعتُمِدت عقائدياً، الامر الذي يدل على مركزية الرؤى النبوئية ومشاركتها الغيب ، في رسم المعرفة الدينية وتثبيتها، أو قوة حضورها في الواقع ، فإن هذه النصوص السردية جاءت لتعلن "عن قدرة المتخيل في النهوض بالواقعي والإجابة عن الكثير من أسئلته الصعبة في تطبع الطبائع وتحول الأحوال"[٢]، حتى حملت القدرة التخيلية لهذه الرؤى المتلقي على قبول هذه النصوص، عندما أشبعت وبطريقة جمالية مدهشة، مزاجه وذوقه الأدبيين، وأسست لهويته العقائدية، من خلال سرد تاريخها الحضاري والثقافي، فالسرد يكون الهوية ، ويعيد صياغتها ويحصنها[٣].

---

(١): ينظر:ليس من سيرة الرسول الكريم،م.س:١٩
(٢): أستراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،م.س:٦٧
(٣): ينظر: الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، الهوية السردية،بول ريكور،م.س :٢٥١

وهكذا أصبحت الرؤى في أخبارسيرة ابن هشام،"مكوناً سردياً...إذ وجدنا أن السرد السيري بني على وفق العلاقة بين الرؤى،بوصفها محفزات سردية،وبين الوقائع"[٤]، لتصبح الرؤى، بعد ذلك، علامة على سردية نص السيرة النبوية ، وعلى قدرتها اختراق الحجب الزمانية لترسم للثقافة تطلعاً لاستكشاف المخفي والمحجوب ،الأمر الذي جعلها تمثل بنية معرفية عميقة .

٢- أخبار العجائبيات:

مارس المتن السيري آليات خبرية عبر توظيف "**المكونات العجائبية**" في بعض الأخبار؛ وإن شكلت جزءاً صغيراً، استطاعت أن تنجح في المرور من حواجز التهذيب التي مارسها ابن هشام عليها؛ مما أضفى على أخبار السيرة، تنوعاً سردياً مستقطباً ومثيراً حققت به الإدهاش والخارقية.

يعرف "تودوروف" العجائبي بأنه:" التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية،فيما يواجه حدثاً فوق طبيعي،حسب الظاهر"[١]. فإذا عدَّ هذا الحدث في ما يقبله الواقع فهو "الغريب"،أما إذا عدّه في باب ما لا يقبله الواقع، فهو "العجيب"[٢]، كما في الترسيمة الآتية :

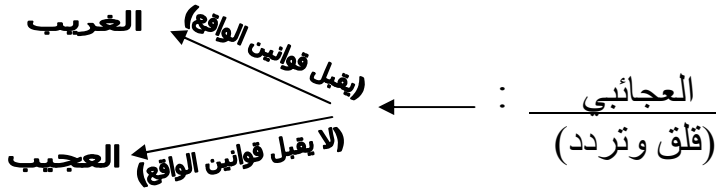

و العجائبي عند "تودوروف" له وظيفتان:

الوظيفة **الاجتماعية:** وهي التي تصف مالا يمكن وصفه، أي أنه يتيح للنص أن يدخل الى المساحة، التي يحتلها الممنوع في العرف الاجتماعي، وهذه الوظيفة تكون خارج النص. والوظيفة الأخرى هي **الأدبية**، وتكون داخل النص .ولها وجوه متعددة تؤدي الى

(٤): الرؤيا مكوناً سردياً،سعيد عبد الهادي المرهج،مجلة مسارات العراقية،العدد ٣،خريف وشتاء ٢٠٠٦ :٦٤

(١) :مدخل الى الأدب العجائبي،تزفيتان تودروف، تر:الصديق بو علام،دار شرقيات،القاهرة،١٩٩٤ :٤١

(٢) : ينظر: م. ن : ١٠٢

اثارة القارئ ، أما بتخويفه، أو عبر تزيين النص بطاقة جمالية ، أو من خلال إغناء السرد بالتوتر، أو طرد الرتابة عن النص وإنعاشه بالحيوية[٣].

ويضيف الدكتور لؤي خليل، وظائف أُخر، مثل : الوظيفة **المعرفية** ،التي يحقق العجائبي فيها تثبيت المعارف والإعتقادات،و الوظيفة **النوعية**، التي تساعد النص على تثبيت موقعه داخل النوع الذي ينتمي إليه.والوظيفة الأخرى قدرته على تحطيم الحقيقة،بوصفه بؤرة يمتزج فيها الواقعي باللاواقعي[١].

ويبدو أن آلية الأسلوب العجائبي لم تمت الى اليوم، فالوريث لهذه الآلية السردية، هو أدب الفنتازيا، و الواقعية السحرية، اللذين اشتهرا في الأدب الروائي، كما نجد ذلك عند: "كونراد"، و"أدغار الن بو"، و"كافكا"، و"ماركيز"، و"بورخس".، وفي هذا الأدب لا تتطلب الوقائع والأطر أو الشخصيات الفنتازية، "تصديق القارئ، لأن التعامل معها سوف يكون على أساس أنها طروحات منهجية. وتضطلع الصفة المميزة لغرائبيتها بمهمة التعليق على الأفكار المطروحة بشتى السبل...، واعتماد طرائق غير معروفة في التعامل مع الوقائع"[٢]. وهنا يتداخل الخيال بالواقع، حيث" أن تجذير المتخيل الخوارقي في التاريخي–هو فعل على درجة كبيرة من الوعي،يوهم أنه يقوم على غياب الوعي–آلية عريقة في السرد الإنساني...يرفع ويوتر مستوى التأثير والفعل، أو يشترك المتلقي نفسه، في كل من الدوائر في آلية السرد،وشبكيات المسرود،ويخضعه بقوة،لمجال تأثيره ويتحول بذلك كله،الى فعل أشد قدرة على الإقناع"[٣].

وبالرجوع الى متن سيرة ابن هشام ، نجد أن الثقافة الإسلامية قد تعاملت مع "**العجيب**"، بوصفه يقبل قوانين الواقع، استناداً الى منظومة هذه الثقافة القائمة على القدرة الغيبية الإلهية، فلم يعد هذا العجيب "عجيبا" ، بل عدَّ "**غريباً**"، فالثقافة هي التي تقرر– بناءً على مفهوم التردد عند تودوروف– هذا الخبر أو ذاك عجيباً أو غريباً. وهنا ينتقل الخبر من الصياغة اللفظية الى مرجعياته الآيديولوجية ، أو الى المنظومة الثقافية ، و"اشتغال

---

(٣) :ينظر: م . ن : ٩٥

(١) :ينظر: عجائبية النثر الحكائي،أدب المعراج والمناقب،د.لؤي علي خليل،دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر،دمشق/٢٠٠٧ :٩٥،٩٧، ١٠٤

(٢) :أدب الفنتازيا ، مدخل الى الواقع، ت.ي.أبتر، تر:صبار سعدون السعدون، دار المأمون،بغداد،١٩٨٩ :١٢،٣٢

(٣) :الأدب العجائبي والعالم الغرائبي :٢٠، ٣٣

هذا الخبر ضمن منظومة ، يمنحه فرصة للحركة والتحول من(الإخبار) ، الى(التمثيل) و(التخييل)"[٤]. و(الإخبار) مسؤول عن نقل معلومة معينة ، أما(التمثيل) و(التخييل) في "يكونان مسؤولين بدرجة واضحة عن انتظام مميزات النصوص، فالمساحة الصياغية التي يشغلها كل من(التمثيل) و(التخييل) تبدو أوسع..من مساحة(الإخبار) ؛ بما يؤمن لها مجالاً دلالياً يمكنها من تقديم وصفاً إثنولوجياً(بانورامياً) لمكوناتها الثقافية ، ويؤمن لها حواراً أعمق مع أنساقها..ويسهم بإعادة قراءة وقائعها؛ لتغدو تدويناً آيديولوجياً للعصر..لتخضع حركة العناصر والمكونات، عندئذ، لاستراتيجية ثقافية"[١].

حينها يتعالق(السردي) بالثقافي، ويقيمان حواراً،يكتسب فيه الخبر التاريخي فاعلية متأتية من انتقاله الى المساحة التخييلية ، "فالخبر سريعاً ما ينحرف من التاريخ الى التخييل ليخلق مساحته السردية بناءً على فاعلية المكون العجائبي"[٢].

وهذه المكونات العجائبية ليست حكراً على أخبار السيرة النبوية ، بل نجدها متلازمة مع نصوص التراث الإسلامي، وقد شكلت مرتكزاً أساسياً في السردية العربية،وعلة هذا التلازم بينهما هي:"وقوع كل منهما على حافة الحقيقة، بين الممكن والمستحيل أو بين الحقيقي وغير الحقيقي؛ ففي العجائبي ثمة حيرة أمام الحدث الخارق،بين تفسيره بما يلائم نظم الحقيقة الواقعية،أو تفسيره بما يخالفها"[٣]، فالتفكير العجائبي مترسخ في البنية الثقافية العربية، والبوابة التي دخلها العجائبي الى التراث العربي، فتحها القصاصون الذين كانوا يخترعون الوسائل الحكائية على القصص التي يقصونها،لتحقيق الإدهاش والتسلية لدى المتلقي،"فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم،ويستدرون ماعندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث،ومن شأن العوام القعود عند القاص،ما كان حديثه عجيباً،خارجاً عن فطر العقول"[٤].

ثم تسلل هذا العجائبي الى رواية الأخبار، لاسيما الأخبار الشفاهة كالحكايات التعليلية الخرافية ، فضلاً عن القصص القرآني "الذي أخضعوه لتحويل نصي كبير، من

---

(٤) :التطلع الى النبوة،م.س :٢٤
(١) : التطلع الى النبوة،م.س : ٢٤،٢٥
(٢) : م . ن :٣١
(٣) :عجائبية النثر الحكائي،م.س :٧
(٤) :السرد العربي القديم،د.ضياء الكعبي،م. س :٣٦٣

حيز العظة والاعتبار،الى حيز الكذب والمبالغة وتجاوز حدود المعقول"[٥]. عمل ابن هشام على حذف أخبار "المبتدأ" لابن اسحاق،الذي يزخر بأخبار عجائبية واسعة ، الأمر الذي يدعو الى التساؤل: إذا كان المكون العجائبي، آلية سردية فاعلة في أخبار السيرة ، لماذا عمد ابن هشام الى حذفه، والابقاء على أخبار قليلة تمتلك ذلك المكون في سيرته؟.

يبدو أن الأمر يتعلق بإستراتيجية التهذيب، التي اعتمدها ابن هشام في كتابه ، التي ترتكز على التباين الثقافي بينه و بين ابن اسحاق، وبين المهيمنات السياسية والمذهبية في عصريهما، لا سيما وأن ابن هشام أعاد كتابة السيرة، انسجاماً مع المرجعية السياسية التي ينتمي لها لإرضاءً للسلطة العباسية التي كانت تسعى الى تثبيت مركزيتها السياسية العربية.

يأخذ مفهوم "**التردد التودوروفي**"، الذي عرّف به العجائبي ، بُعداً "**ثقافياً**" فبعض الأخبار "الغريبة" عند ابن اسحاق، أصبحت "عجيبة" عند ابن هشام؛ وبعضها استمرعجيباً مثل "خبر المعراج" ، الأمر الذي جعل ابن هشام يحترس من بعض الأخبار و يقصيها جانباً، ويتخذ من ذلك مسوغاً للتهذيب، بوصفه آلية من الآليات السردية، التي اعتمدها في استراتيجية التهذيب لأخبار السيرة النبوية . حيث أن الذائقة الثقافية ، في عصر ابن هشام، لا تستطيع أن تتقبل سرد بعض أخبار النبي"ص"، بهذه الكيفية العجائبية . بل وصفت هذه الآلية بالسرد الاختلاقي أو الافترائي، "وأياً تعددت وتنوعت وظائف السرد الاختلاقي أو الافترائي، فإن واحدة أساسية منها هي، دونما شك، التحكم التلاعبي والسيطرة والتأثير على المتلقي"[١].

وتأسيساً على ذلك فإن البنية العجائبية في الثقافة الإسلامية التي تشكل السيرة النبوية إحدى ركائزها، متأتية من طبيعة الثقافة نفسها المؤسسة على الغيب ، الذي تكفلت بعض أخبار السيرة بالحديث عنه أو عن الواقع المتماس معه ،وهي تصف-أي الأخبار- العالم الآخر وعلاقته بعالم الدنيا. الأمر الذي جعل الأخبار العجائبية في نص السيرة النبوية تأخذ بعداً "واقعياً" لم يمنعها من توظيف الآليات السردية التي توسلت بها وصولاً الى الإقناع والتأثير.

---

(٥) : م. ن : ٣٦٣، ٣٦٤

(١) :الأدب العجائبي والعالم الغرائبي،م. س :٤٤

"المعراج" العجائبي: الاحتماء بالمقدس

لم تكن صفة العجائبية في الأخبار السيرية–مثل تلك التي تصف حادثة خارقة أو فوق طبيعية– تعمل على تكذيبها،بل،أحياناً يحدث العكس، فقد تعمل على تثبيتها في الثقافة، نتلمس ذلك بوضوح، في خبر "قصة المعراج"(ص:١٦٠)،الذي هو خبر عجائبي بامتياز،وهذه العجائبية أسهمت في تثبيته في الثقافة الإسلامية،ومنحته أفقاً من الإقناع،كون الأمر صادر من لدُن القدرة الإلهية،حتى أن هذه القدرة قد صرحت بتعجبها من الأمر بصيغة التعجب السماعي: "سُبحان"(*).وقد منحه هذا التصريح القرآني تعضيداً حصّنه من ممارسات التهذيب،التي قد تطاله وأكسبه ثباتاً في تحولات الأنساق الثقافية. لذلك فإن "الإسراء والمعراج" لا يمكن النظر إليه خارج موقعه الثقافي/ موقع النص داخل الثقافة الإسلامية ؛ فالمعراج/النص يحتمي بالثقافة التي تكفلت بتفسيره ؛ لينتقل من"العجيب"، الى "الغريب"؛ بالمعنى التودوروفي ، لكنه يبقى محتفظاً بعجائبيته ، لأن قوانين الواقع لا يمكن أن تفسره ، حيث تفردت القدرة الإلهية بتفسيره ، ورغم هذه الخارقية ، إلا أن الثقافة الإسلامية تعاملت معه،بوصفه حدثاً ممكناً، كونه يتعلق بالقدرة الإلهية.

ونتيجة الابتكار العجائبي الذي امتاز به "المعراج"؛ فقد عُدَّ نواةً سردية مولدة في السردية العربية، نُسجت من خلالها الكثير من النصوص السردية، ذات الحكايات المعراجية،مثل:رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد،و رسالة الغفران للمعري وكتاب التوهم للمحاسبي ومنامات الوهراني،وهو ما كان مسؤولاً عن "تشكل النوع"،حيث أصبحت أخبار السيرة النبوية نواةً مولدة لأنواع سردية مختلفة.وستكتفي الدراسة بذكر هذا المقطع من نص "المعراج" :

" ثُمّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، قَالَ ثُمّ أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ الثّانِيَةِ فَإِذَا فِيهَا ابْنَا الْخَالَةِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيّا، قَالَ ثُمّ أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ الثّالِثَةِ فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ صُورَتُهُ كَصُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ قَالَ قُلْت : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذَا أَخُوك يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ. قَالَ ثُمّ أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ الرّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ فَسَأَلْته : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ هَذَا إدْرِيسُ – قَالَ يَقُولُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيّا – قَالَ ثُمّ

(*) : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }الإسراء١

أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ الْخَامِسَةِ،فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية،عظيم العثنون،لم ار كهلاً أَجْمَلَ مِنْهُ ؟ قَالَ قُلْت : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذَا الْمُحَبّبُ فِي قَوْمِهِ هَارُونُ بْنُ عِمْرَانَ. قَالَ ثُمّ أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ السّادِسَةِ " فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ أَقْنَى كَأَنّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ فَقُلْت لَهُ مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذَا أَخُوك مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ. ثُمّ أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ السّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا كَهْلٌ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيّ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، يَدْخُلُهُ كُلّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ أَرَ رَجُلًا أَشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ وَلَا صَاحِبُكُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْهُ. قَالَ قُلْت : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذَا أَبُوك إبْرَاهِيمُ. قَالَ ثُمّ دَخَلَ بِي الْجَنّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً لَعْسَاءَ فَسَأَلْتهَا : لِمَنْ أَنْتِ ؟ وَقَدْ أَعْجَبَتْنِي حِينَ رَأَيْتُهَا ؟ فَقَالَتْ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَبَشّرَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَمِنْ حَدِيثِ(عَبْدِ اللّهِ) بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنّ جِبْرِيلَ لَمْ يَصْعَدْ بِهِ إلَى سَمَاءٍ مِنْ السّمَوَاتِ إلّا قَالُوا لَهُ حِينَ يَسْتَأْذِنُ فِي دُخُولِهَا : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ مُحَمّدٌ ؟ فَيَقُولُونَ أَوَقَدْ بُعِثَ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ ؟ فَيَقُولُونَ حَيّاهُ اللّهُ مِنْ أَخٍ وَصَاحِبٍ حَتّى انْتَهَى بِهِ إلَى السّمَاءِ السّابِعَةِ ثُمّ انْتَهَى بِهِ إلَى رَبّهِ فَفَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلّ يَوْمٍ"[١]

يتحقق المكون العجائبي لخبر "الإسراء و المعراج"،من خلال كسر حاجزي الزمان والمكان، عبرالانتقال من مكان الى آخر في عالم الدنيا/الاسراء. والانتقال من عالم الدنيا،الى العالم الآخروي/المعراج،والمرور بالسماوات والأرضين السبع والإلتقاء بالأنبياء والملائكة ومشاهدة أهل النار وأهل الجنة، ثم الرجوع الى عالم الدنيا.مما رسم "مساحة واقعية لأحداث،تظل خارج كل تفسير واقعي،وهي تتحرك بالزمان،من الزمن الطبيعي الى الزمن الباطني"[٢].

ترتبت أمور عديدة مهمة على رحلة الإسراء والمعراج ، فمن الناحية التشريعية، يتحقق وجوب "الصلاة"، و هي في الثقافة الإسلامية "عمود الدين" ؛ ما يعطي للمعراج مركزية في بنية الثقافة الإسلامية،كذلك يضيء المعراج،عقائدياً، مصير الناس في الآخرة،

---

[١] :سيرة ابن هشام :١٦١، ١٦٢
[٢] :التطلع الى النبوة،م. س :٣٠

ويمنح النبي"ص" مقاماً رفيعاً،عبر هذه "الكرامة" التي انفرد بها دون سائر الأنبياء"ع". وكل هذه الأمور عملت على تعظيم قدرة الله في نفوس الناس.

أما من الناحية السردية، فإن نص "المعراج" قد امتلك ذكاءً سردياً هائلاً ، عبر الآليات السردية المبتكرة ، التي لم يعرفها السرد من قبل، وهو يقص الرحلة العجائبية، وهي تشبه تلك الآليات التي تحدث عنها "الدكتور كمال أبو ديب" ، في دراسته لكتاب "العظمة" لعبد الله بن سلام[١]، و بعض هذه الآليات، تدخل ضمن وظائف العجائبي:"الإجتماعية والأدبية والمعرفية والنوعية" وهي:

١-مزج التاريخي والواقعي، بالغيبي الماورائي، وهو بذلك ، يمارس كسر المألوف والمنطقي والمحدود،والدخول الى تخوم لايمكن ارتيادها إلا عبر العروج العجائبي:" قَالَ ثُمّ دَخَلَ بِي الْجَنّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا جَارِيَةً لَعْسَاءَ فَسَأَلْتهَا : لِمَنْ أَنْتِ ؟ وَقَدْ أَعْجَبَتْنِي حِينَ رَأَيْتُهَا ؟ فَقَالَتْ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ"

٢-إثراء النص بالقيم الجمالية،عبركسر أفق التوقع بتقديم صورة أخرى للحقيقة ، ولو بطريقة الفنتازيا،التي ينبغي النظر إليها "ليس على أساس أنها تهرب من الواقع،بل استغوارٌ له"[٢]: " قَالَ ثُمّ أَصْعَدَنِي إِلَى السّمَاءِ الثّالِثَةِ فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ صُورَتُهُ كَصُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟"

٣-تحقيق المكون العجائبي لخبر المعراج متوالية خبرية، كما عمل على تقطيع وتداخل السرد،،من خلال مسرحة النص بالحوار وبالوصف،وتوزيع السرد على المساحات الزمانية والمكانية،توخياً للتأثير في المتلقي،كل ذلك يتم عبر تعدد الراوة،واقتحام بعضهم بعضاً،وكأن هناك لعبة سرد تتم عبر تقنية "المناقلة في الروي"؛ فأبو سعيد الخدري يروي الحدث، ثم يسلم مقاليد الروي للنبي"ص"، ثم يقوم النبي"ص"، بنقل الحوار، الذي جرى بينه وبين الملاك، حول المشاهد التي يراها وهكذا،وكان باستطاعة الراوي الأول/الخدري، أن يروي لنا المعراج بطريقته،كما كان بمقدور النبي"ص"، أن يروي أيضاً الرحلة، دون أن ينقل لنا الحوار، الذي دار بينه وبين الملاك: "قَالَ قُلْت : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذَا أَبُوك إبْرَاهِيمُ ".

---

[١]: ينظر:الأدب العجائبي والعالم الغرائبي،م. س :٨ وما بعدها .
[٢] : أدب الفنتازيا ،م. س :١٣

فـ(قال):صوت الراوي الأول/الخدري وهو مفارق لمرويه ، أما(قلت): فهي صوت الراوي الثاني/النبي"ص" وهو متماهٍ بمرويه ، أما(قال) الثانية : فهي صوت الملاك/ الراوي الثالث العليم المتماهي بمرويه.

كما يمارس نص"المعراج" الإقناع والتشويق في آلياته السردية من خلال عرض حوار النبي"ص" مع رفيقه في الرحلة ، وهو الملاك جبرائيل "ع" ، كما يتحول الراوي/النبي، الى شخصية من شخصيات النص : " قَالَ قُلْت : مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَذَا أَخُوك يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ".

٤- عدم اهمال نص "المعراج" الواقع فمهما يحلق عبر العوالم العجائبية؛فأنه يرجع الى أرض الواقع،ويحاول التأثير فيه،من خلال مغزى "ثيمة" الرحلة المعراجية،/رؤية الآيات الكبرى؛ فالرحلة موجهة كلها لغرض عقائدي وأخلاقي،للواقع الأرضي ولتقويم السلوك الإنساني اليومي المألوف.

٥- تحقيق خبر "قصة المعراج" قدرة تنويعية ، عبر إثراء السرد بالحكايات المتداخلة وهي:-

- **حكاية الإطار:** وهي قصة المعراج التي رواها أبو سعيد الخدري، على لسان النبي"ص"، التي تبدأ من عروج النبي حتى رجوعه،وهي تؤطر الأحداث والحكايات التي تقع داخلها.

- **حكايات تضمينية:** يتداخل السرد في خبر المعراج ، ويلجأ السارد إلى "**تسق التضمين**" الذي يعرف بأنه:"تضمين حكاية داخل حكاية أخرى"[١] وهذه الحكايات المتعددة تدخل ضمن حكاية الإطار. وللتضمين دلالات مضمونية وفنية، "ويذهب تودوروف الى أن هذا النسق بمعناه وما يؤديه من وظائف، يكون وجوده أساساً في كل حكاية، فمن أهم الوظائف التي يؤديها، علاوة على كونه محاولة لملء الفراغ في العمل ووسيلة للتنويع، إنه يقوم بوظيفة الإرصاد...هو أن تتمرأى القصة الكبيرة في القصة الصغيرة، وتقدم القصة المضمنة تنبؤاً بنهاية أحداث القصة الكبيرة أو القصة الأم"[٢]. وترتبط الحكاية

---

[١]:مقولات السرد الأدبي، تودوروف، تر:الحسين سحبان وفؤاد صفا،مجلة آفاق المغربية،ع٨-٩، ١٩٨٨ : ٤٣

[٢] :ثلاثية يوسف القعيد(شكاوى المصري الفصيح)،دراسة في البنية السردية،خالدة حاتم علوان الدليمي،رسالة ماجستير،جامعة بغداد،كلية التربية-ابن رشد/٢٠٠٥ :٧١

المضمنة مع حكاية الإطار بعلاقات أما أن تكون علاقة سببية توضح أسباب الارتباط بين معنى الحكايتين ، أوعلاقة وحدة الموضوع ، أي تشابه المعنى بين القصتين ، لزيادة التشويق و الإقناع والتأثير[٣] ، وفي قصة المعراج نجد تحقق العلاقتين بين الحكاية المضمنة وحكاية الإطار. فالمناظر التي شاهدها النبي في العالم الآخر لأصحابها حكاية محددة، يتعرف عليها النبي"ص" عبر الراوي الثالث العليم/الملاك، ثم تنتقل عبر الراوي الثاني/النبي، وهو راوٍ متماهٍ بمرويه،داخل الحدث،الى الراوي الأول/أبو سعيد الخدري، وهو راوٍ مفارق لمرويه، خارج الحدث.

هذه الحكايات التضمينية، تسهم في إنتاج دلالة حكاية الإطار، وتمنح الحدث تأثيراً كبيراً، كما تعمل على تزيين السرد وتأليقه فنياً، مثال على ذلك : "قَالَ ثُمّ رَأَيْت رِجَالًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ ثَمِينٌ طَيّبٌ إلَى جَنْبِهِ لَحْمٌ غَثّ مُنْتِنٌ يَأْكُلُونَ مِنْ الْغَثّ الْمُنْتِنِ وَيَتْرُكُونَ السّمِينَ الطّيّبَ. قَالَ قُلْت : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الّذِينَ يَتْرُكُونَ مَا أَحَلّ اللّهُ لَهُمْ مِنْ النّسَاءِ وَيَذْهَبُونَ إلَى مَا حَرّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُنّ"[١]، فحكاية الزناة هذه، هي حكاية تضمينية داخلة ضمن حكاية الإطار الكبرى.

- حكاية خارج حكاية الإطار:

تتضمن "قصة المعراج" حكاية أخرى تقع خارج حدث المعراج ، ولكنها تدل عليه وتؤكده، ولها وظيفة إقناعية ، و رفعها لايؤثر على أحداث القصة الفعلية ، ولكنه يؤثرعلى مصداقيتها، وهذه الحكاية هي الشاهد الذي أورده النبي"ص"، على حصول رحلة المعراج، عندما شكك بعض الناس فيها: "فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى النّاسِ أَخْبَرَهُمْ فَعَجِبُوا وَقَالُوا : مَا آيَةُ ذَلِكَ يَا مُحَمّدُ ؟ فَإِنّا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا قَطّ؛ قَالَ آيَةُ ذَلِكَ أَنّي مَرَرْت بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا. فَأَنْفَرَهُمْ حِسّ الدّابّةِ فَنَدّ لَهُمْ بَعِيرٌ فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا مُوَجّهٌ إلَى الشّامِ. ثُمّ أَقْبَلْتُ حَتّى إذَا كُنْتُ بِضَجَنَانَ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا، وَلَهُمْ إنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ،ثم غطيت عليه كما كَانَ؛ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنّ عِيرَهُمْ الْآنَ يَصُوبُ مِنْ الْبَيْضَاءِ ثَنِيّةِ التّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا

---

[٣] :ينظر :البنية السردية في أدب المعراج عند ابن العربي ، مها فاروق عبد القادر، رسالة ماجستير،جامعة بغداد-كلية التربية،١٩٩٩ :١١٠

(١) :سيرة ابن هشام :١٦١

جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ إِحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ وَالْأُخْرَى بَرْقَاءُ. قَالَتْ فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثّنِيّـــةَ فَلَـــمْ يَلْقَهُمْ أَوّلُ مِنْ الْجَمَلِ كَمَا وَصَفَ لَهُمْ وَسَأَلُوهُمْ عَنْ الْإِنَاءِ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُـــوءًا مَاءً ثُمّ غَطّوْهُ وَأَنّهُمْ هَبّوا فَوَجَدُوهُ مُغَطّى كَمَا غَطّوْهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً. وَسَأَلُوا الْـــآخَرِينَ وَهُمْ بِمَكّةَ، فَقَالُوا : صَدَقَ وَاَللّهِ لَقَدْ أُنْفِرْنَا فِي الْوَادِي الّذِي ذَكَرَ وَنَدّ لَنَا بَعِيرٌ فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إلَيْهِ حَتّى أَخَذْنَاهُ "[١]. تشكل هذه الحكاية خاتمة ثانية، بعد الخاتمة الأولـــى، التي تقفل قصة المعراج برجوع النبي"ص" الى أرض الدنيا.

يمنح الموقع الثقافي "للمعراج"، مركزية له في الثقافة الإسلامية، فمن خـــلال الثقافـــة التي يستظل النص المعراجي داخلها، "نصل بالحكاية الى معناها الثقافي الكبير"[٢]. هـــذا المعنى الذي يأخذ عدة مظاهر للحقيقة في نص "المعراج"، منها مايكون نابعاً من الـــنص، ومنها ما هو متعلق بموقع النص داخل المنظومة المعرفية للحضارة الإسلامية،ومنها مـــا يعد "المعراج" مصدراً لتلقي المعرفة[٣]، عمل المكون العجائبي على منحه بعـــداً مركزيـــاً مضاعفاً.

عجائبية الشيطان: الصورة بوصفها بلاغة

يتحقق المكون العجائبي أيضاً، من خلال خبرين في سيرة ابن هشام،يرد فيهما ذكـــر إبليس، متجسداً بهيئة رجل ماكر. والخبران هما: "هجرة النبي"،و " إبْلِيسُ يُغْـــرِي قُرَيْشًـــا بِالْخُرُوجِ الى غزوة بدر".

في الخبر الأول: " قَالَ لَمّا أَجْمَعُوا لِـــذَلِكَ وَاتّعَـــدُوا أَنْ يَـــدْخُلُوا فِـــي دَارِ النّـــدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ غَدَوْا فِي الْيَوْمِ الّذِي اتّعَـــدُوا لَـــهُ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يُسَمّى يَوْمَ الزّحْمَةِ فَاعْتَرَضَهُمْ إبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، بَتْلَةٌ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدّارِ فَلَمّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا، قَالُوا : مَنْ الشّيْخُ ؟ قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْـــلِ نَجْـــدٍ سَـــمِعَ بِالّذِي اتّعَدْتُمْ لَهُ فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ وَعَسَى أَنْ لَا يُعْدِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًـــا وَنُصْـــحًا، قَالُوا : أَجَلْ فَادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ.."[٤].

---

(١) : سيرة ابن هشام : ١٦٠

(٢) : المساحة المختفية،قراءات في الحكاية الشعبية، ياسين النصير،المركز الثقافي العربي،ط١/١٩٩٥ :٣١

(٣) :ينظر:عجائبية النثر الحكائي،م. س : ٤٧ ومابعدها

(٤) :م. ن :١٩١،١٩٢

أماالخبر الثاني : إبْلِيسُ يُغْرِي قُرَيْشًا بِالْخُرُوجِ الى غزوة بدر:" قَالَ ابْـنُ إِسْـحَاقَ وَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ، قَالَ لَمّا أَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ الْمَسِيرَ ذَكَرَتْ الّذِي كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ فَكَادَ ذَلِكَ يُثْنِيهِمْ فَتَبَدّى لَهُمْ إبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْـنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيّ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ فَقَالَ لَهُمْ أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِـنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَخَرَجُوا سِرَاعًا"[١]

يقع الخبران ، استناداً الى تودوروف ، ضمن الأخبار العجائبية. فالخبران هما حدثان فوق الطبيعي، يواجههما المتلقي، بما وفر هذان الخبران، من طاقات تخيلية عجائبية عالية، ليؤمّن لصورة "إبليس" غير المرئية، فرصة الانتقال الى المرئي والمسموع ، عبر قدرة المكون العجائبي في تحطيم الرؤية المألوفة ، وتأسيس رؤية أخرى ودفعها الى مناطق عميقة لإكسابها تأثيراً وبعداً. الأمر الذي يجعل هذا المتلقي، يقرر فيما إذا كان هذان الخبران- انسجاماً مع المنظومة الثقافية التي ينتمي لها- من الأخبار الغريبة أو من الأخبار العجيبة، التي "تهدم المسلمات الراسخة في المجال الثقافي العام"[٢].

لكن الخبرين استطاعا أن يقدما صورة لمعتقدات العصر الذي دونا فيه، بانتقالهمـا من وظيفة الإخبار، الى مستوى التمثيل والتخييل، أي من الصياغة اللغوية، الى المنظومة الثقافية،التي تقيم علاقة مع النصوص ، وتشتبك معها. وبالنتيجـة ، فـإن"خبـر صـورة الشيطان"، يلتقي بالأنظمة العقلية/المعارف، والأنظمة الآيديولوجية، التـي تهـيمن علـى المجتمع، وتوجه ثقافته، الأمر الذي يؤكد على التعالق بين النص والفضاء الثقافي المحيط به.

يحقق الخبران عناصر العجائبي في متنيهما، ومن عناصـر العجـائبي ضـرورة التعامل مع عالم الشخصيات داخل النص بوصفها عالماً حقيقياً..وأن يتجاور في العجائبي المألوف مع اللامألوف والواقعي مع اللاواقعي،تجاوراً متوتراً؛ فهذا يجعل النص صـادماً ومثيراً ، لأن الذي يفاجئ المتلقي ، هو ظهور أحداث استثنائية خارقة ، داخـل الإطـار الواقعي والطبيعي للنص[٣]. الخبران، على وفق ذلك،يحققان إدهاشاً في القارئ،ويشـحنان

(١) :سيرة ابن هشام :٢٥٢
(٢) : موسوعة السرد العربي،م. س :١٢٥،١٢٦
(٣) : ينظر :عجائبية النثر الحكائي،م. س : ٣١، ٤٤

المشهد،بالتأثير الدرامي المتأتي من تجسيد الشيطان بصورة حسية، يمارس الأفعال البشرية من حوار، وغير ذلك. كما أن النظر الى العمل الفني بوصفه " مشهداً بصرياً مرئياً..يتم تشكيل السرد من خلال..تحديد البؤرة..أي التركيز على القصة من خلال عوامل فاعلة نوعية"[١] وهذه العوامل النوعية تحقق في هذه الصورة وظيفة إبلاغية مكثفة موجزة استثنائية لأن الإيجاز "يبقى الركيزة الرئيسة في عملية التحول بالكلام من مستوى التعبير العادي الى المستوى الاستثنائي"[٢].

كما يحقق الخبران وظائف العجائبي؛ خارج النص، حينما يكسران المألوف في العرف الاجتماعي لصورة الشيطان غير المرئية، وداخل النص عندما يمارسان الوظائف الأدبية من إثارة للقارئ وإغناء للسرد بالاحتدام والتوتر والترقب، حين يتعلق الأمر بخداع الشيطان، وهو بهذه الهيئة المثيرة .

كما تثبت آلية المكون العجائبي،وظيفة معرفية،عندما ترسخ في أذهاننا واعتقاداتنا، الصورة الشيطانية الحاضرة لإغوائنا وخداعنا في ممارساتنا اليومية، وكأن الشيطان هو أحد هؤلاء المخادعين الذين نتحسسهم بالقرب منا، إن هذه الصورة تقدم نفسها على أنها " تمثيل لوضعية إنسانية عادية يحق لكل فرد التماهي فيها وإدراكها وتحديد عمقها الاجتماعي"[٣] وهي تنتقل من السردي الى الثقافي.

أما الوظيفة النوعية التي يحققها الخبران، فهي محاولة تثبيت المكون العجائبي في أخبار السيرة النبوية ، التي تساعد النص على تثبيت موقعه داخل النوع الذي ينتمي إليه، مما يمنح العجائبي فرصة الحضور ضمن البنية الخبرية لأخبار السيرة ، بوصفه آلية سردية ، يشتغل عليها المتن السيري، في ظل الموقع الثقافي،الذي يمنحه أفقاً واسعاً،كما تمنح ثقافة الصورة/صورة الشيطان الخبر بطاقة دلالية إلماحية، إشهارية، تقول بأن الشيطان بوجوده المادي والمعنوي، حاضر بالقرب من الكفرة والمشركين، كل ذلك، من أجل تقوية الإقناع والإبلاغ في خبر السيرة.

---

(١) : عصر الصورة، السلبيات والإيجابيات، د. شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة(٣١١)،٢٠٠٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت : ١٨٥

(٢) :المستويات الجمالية في نهج البلاغة ،دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف ،دار الشؤون الثقافية – بغداد،ط١/ ٢٠٠٨ :١٢٧

(٣) : سيميائيات الصورة الإشهارية، الإشهار والتمثلات الثقافية، سعيد بنكراد، افريقيا الشرق- المغرب،٢٠٠٦،(د.ط): ٤٥،٤٦

وبالنتيجة فإن **المركزية الثقافية لسيرة ابن هشام** تحققت عبر التدوين و التهذيب المؤسسين على دوافع ثقافية تمثلت بالعناية بسيرة النبي"ص" وتوثيقها ،و توثيق الهوية العقائدية والثقافية للمجتمع الإسلامي. كما تحققت عبر العناية بأخبار النبوءات والعجائبيات التي تبشر بالنبوة وتتطلع لها ؛مما منح السيرة النبوية أولوية عند ابن هشام في إعادة تدوينها و تهذيبها ، على وفق اشتراطات الثقافة المحيطة به ، وأنساق الذوق الثقافي السائد ،مجتهداً في إبداع آليات فنية في استراتيجية التهذيب التي عمل عليها.

كما أن مرور أخبار السيرة النبوية عبر أزمنة متباينة سهلت للرواة أن يمارسوا دورهم في التدخل في توجيه الأخبار، والاهتمام بشخصية النبي "ص" وتحصينها بمقصديات سردية .

الفصل الثاني

تنوعات السرد في سيرة ابن هشام

المبحث الاول: الخبر وموقعه من الأجناس الأدبية

- الأجناس الأدبية في الثقافة العربية

المبحث الثاني : تنوعات الإِخْبار في سيرة ابن هشام

السيرة : خبر

- الخبر والتاريخ

- الخبر السيري

السيرة : قصة

- المكونات السردية الأساسية لقصص السيرة

- تقنيات السرد في قصص السيرة النبوية

السيرة : حديث

- معنى الحديث – الخبر

السيرة : "ذكر" - "أمر"

المبحث الاول

الخبر وموقعه من الأجناس الأدبية

- تعريف الجنس وأصوله

الجنس لغة:"الضرب من الشيء، وهو أعم من النوع، ومنه المجانسة، والتجنيس"[١]، وهو ما ذهب اليه الشريف الجرجاني في "كتاب التعريفات" مؤكداً أن الجنس" اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع "[٢] فالجنس أعم من النوع وأشمل. أما أبو هلال العسكري فقد حاول أن يجد الفرق بين "الجنس"، و"النوع"، و"الصنف" بقوله:"إن الجنس على قول بعض المتكلمين أعم من النوع،...لأن الجنس هو الجملة المتفقة من جنس مالا يعقل، ويقولون في الأشياء المتماثلة أنها جنس واحد...والفرق بين الجنس والصنف، أن الصنف ما يتميز من الأجناس بصفة"[٣].

ونجد التهانوي يقدم تعريفاً ملائماً للجنس اذ يقول "والجنس هو ضرب من كل شيء،وهو أعم من النوع يقال:الحيوان جنس والإنسان نوع"[٤].

أماالجنس "اصطلاحاً" فقد انتقل هذا المصطلح من حقل البايولوجيا الى حقل الأدب، ومن مفردة الجنس البايولوجية "جاءت الأنواع الأدبيـة أو الأجنـاس الفنيـة، كالروايـة والمسرحية والشعر، وبقية التفريعات السـلالية المعروفـة[٥]. إلا أن أصـول النظريـة الإجناسية تمتد في الزمن أبعد من ذلك، حيث نجد أن نظرية المحاكاة الأرسطية و"تقسيمه الشعر أو الأدب عامة الى أنواع وضروب"[٦]، دليل على أصالة هذه النظريـة، وإثبـات اختلافها في "أسلوبها،فمنها ما يحاكي عن طريق القصص كما في الملحمـة، ومنهـا مـا

---

[١] : مختار الصحاح،محمد بن ابي بكر الرازي، دار الرسالة - الكويت، مادة "جنس":١١٣

[٢] :كتاب التعريفات،الشريف الجرجاني،دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥ :٥٧

[٣]:الفروق في اللغة، ابو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة - بيروت - الدار البيضاء ط١/١٩٩٤:١٥٧

[٤] : كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي،م. س: مادة(جنس)

[٥]: دليل الناقد الأدبي،م.س:١٥٠

[٦]:قواعـد النقـد الأدبي،لاسـل آبركرومبـي، ت:د.محمـد عـوض محمـد، دار الشـؤون الثقافيـة - بغداد،ط٢/١٩٨٦:٦٩

يحاكي الأشخاص وهم يفعلون كما في المأساة والملهاة"[٧]، حتى إن أرسطو لـم يجـنس بعض الأدب ولم يسمّه يقول : "أما الفن الذي يحاكي بواسطة اللغة وحدها،نثراً او شـعراً فليس له اسم حتى يومنا هذا"[١]،ما يؤكد "بأن الأصول الكلاسيكية لنظرية الأجناس تتمثـل في ارسطو وهوراس، ويرجع لها الفضل في الفكرة القائلة بأن التراجيديا والملحمة همـا الصنفان المتميزان"[٢]،وهذه النظرية الكلاسيكية تسعى الى "نقاء النوع" الأدبي، ولا تسمح بامتزاجه أو تداخله، خلافاً للنظرية الإجناسية الأدبية الحديثة، التـي ولـدت مـع القـرن العشرين، وفيها يبرز موقف "تودوروف" وقد عمل على اعادة تأسيس الأجنـاس و ذلـك عبر مرحلتين: "الأولى في كتابه:(مدخل الى الأدب العجـائبي) الصـادر ١٩٧٠، وكـان يحاول من خلاله موقعة العجائبي بين الأجناس الأدبية. والكتاب الثـاني هـو(الأجنـاس الخطابية..الصادر ١٩٧٨، ومن خلال توازنه يتضح أن تودوروف كـان ينـاقش صـيغ الخطاب وأجناسه"[٣].

ففي كتابه الأول يؤكد على أن الأعمال الأدبية تتوزع على أنواع وأنماط ، من خلال ثلاثة مظاهر لفظية، وتركيبية ودلالية. أما في الكتاب الثاني فيستنتج أن أجناس الأدب ترتبط بالمحيط الثقافي، وبالآيديولوجيا المهيمنة، ولهذا يؤكد تودوروف أن لكل حقبة أجناسها الخاصة[٤].

وفي النصف الثاني من القرن العشرين دعت الناقدة الألمانية "كايت هامبورغر" الى إعادة تأسيس الأجناس وهي تدرس الشعر، فقد قسمته على قسمين "قسم ينتمي الى عالم القصص ، وقسم ينتمي الى عالم المنطق الحقيقي"[٥].

أما تصور جيرار جنيت للأجناس فيقوم على "توسيع مفهوم النوع وإعادة دمج الأنواع والأشكال بعضها ببعض،وإحداث تفريعات وتطويرات...وبلورتها ضمن إطار

---

[٧] :النقد الأدبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال،دار الثقافة - دار العودة ، بيروت،١٩٧٣: ٥١،٥٢
[١]:فن الشعر،ارسطو طاليس،ت: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة - بيروت، ١٩٧٣: ٥
[٢]:نظرية الأدب، أوستن وارين ورينية ويليك،ت:محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر - بيروت، ط١١/١٩٨١: ٢٣٨
[٣]:الخبر في السرد العربي،م . س :٥٨
[٤] :ينظر:م.ن : الصفحة نفسها.
[٥]:مفاهيم نقدية:رينيه ولك، ت: د.محمد عصفور،سلسلة عالم المعرفة(١١٠) - ١٩٨٧: ٣٨٦

جامع النص"[٦] ، التي هي الأنواع الشعرية المشرفة ، بطريقة تراتبية على مجموعة من الأنواع المتفرعة، من تلك الأجناس الجامعة التي هي على ثلاثة مبادىء : الموضوع والصيغة والشكل . فالصيغ هي مقولات تنتمي الى اللسانيات، وهي ما تعرف اليوم "بالتداولية"، وهذه المبادىء بقدر ما هي ثابتة فإنها تتأثر بالبيئة الثقافية ؛ وبالنتيجة فإن جينيت قد أوجد مصطلح(جامع النص) ، ليعني به "مجموعة الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي اليها كل نص على حدة مثل أصناف الخطابات وصيغ تعبير الأجناس الأدبية"[١].

أما الشكلانيون الروس فقد ذهبوا الى "أن تنظيم العناصر يتحقق حسب نمطين أساسيين: فإما أن تخضع لمبدأ السببية فتراعى نظاماً وقتياً معيناً..وإما أن تُعرض دون اعتبار زمني_أي في شكل تتابع لا يراعي أية سببية داخلية"[٢]، و بالنتيجة فقد رفضوا فكرة "أن الأجناس الأدبية تتطور في خط تراكمي متواصل وأحلّوا محلها القول بأن التطور ينبغي أن يدل ههنا على ظاهرة التتابع الأدبي"[٣] ، وهذا يعني أن تطور الأجناس هو نسبي ومنقطع عن تاريخه.

- الأجناس الأدبية في الثقافة العربية:

أما نظرية الأجناس الأدبية في الثقافة العربية ، فأن ممارساتها قد سبقت التنظير لها أيضاً، "والحق فالنقد وتاريخ الأدب يكشفان ضآلة العناية بهذا الموضوع..، والصعوبات الجمّة التي تعترضه ، لا تقتصر على الأدب العربي ، إنما يمثل مشكلة مزمنة في تاريخ الآداب العالمية"[٤].

والمتفحص لكتب "الجاحظ"(ت:٢٥٥هـ) وبالتحديد كتابه "البيان والتبيين" يجد أن الجاحظ كان يمارس تجنيس الأدب ، من غير أن يفكر في تأسيس نظرية له ، فقد كان "من خير من يحسنون تأسيس النقد على أصول نظرية وتطبيقية ، ولكنه شُغل عنه بشؤون

---

[٦]:موسوعة السرد العربي:١٤

[١] : مدخل لجامع النص،جيرار جينيت،ت:عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية،بغداد - دار توبقال، الدار البيضاء،ط١/ ١٩٨٥:٥

[٢]: نظرية المنهج الشكلي،نصوص الشكلانيين الروس،تر:إبراهيم الخطيب،مؤسسة الابحاث العربية(بيروت)-الشركة المغربية،ط١/١٩٨٢ :١٧٩

[٣] :الخبر في الأدب العربي،د.محمد القاضي،م. س :٢٤

[٤]:موسوعة السرد العربي،م.س:١٤

أخرى كثيرة، واقتصر في الميدان النقدي على وقفات قصيرة"[٥]، وعند استقراء كتب الجاحظ المهمة مثل "الحيوان والبيان والتبيين"،نجد تقسيمات إجناسية أدبية ، ففي كتابه "الحيوان" نعثر على حدود أجناسية، عندما يصنف(المُلَح) التي هي "وحدة سردية مستقلة بذاتها، تجسم فعلاً أو حدثاً ما.."[١]، مميزاً إياها عن الحكايات التي تنتشر في كتابه، فإنه في عمله هذا يمارس تحديداً إجناسياً لأنواع سردية تندرج ضمن التقسيم المعروف: المنثور والمنظوم.

أما في "البيان والتبيين"، فإنه "يكاد يطور مفهوماً للسرد يتجاوز فيه ما كان سائداً ..في ضوء تعددية النظرة وتنوع الصوت من جانب ، وكذلك في ضوء غاية السرد وفعله من جانب آخر"[٢] .فإننا نجد فيه :(الشعر، المواعظ ،القصص ، الرسائل ، الكلام،النوادر، الأخبار، و الخطب..الخ)"[٣] . غير أن التأمل الدقيق في هذه التسميات "يبيّن عدم انسجامها وتماسكها ، وغياب المعيار المنطقي المضبوط لهذا التصنيف"[٤]، لكنها تبقى محاولات تطبيقية إجناسية مبكرة، كان لها أثرٌ في النقد العربي في القرن الرابع الهجري. أما في كتابه "البخلاء" "فيبدو مفهوم السرد أكثر غنى ودعوة الى قراءة أخرى تخرج كتابة الجاحظ من المتداول والمألوف لتضعه باتجاه تفكيك نصوص المرحلة"[٥] . مثل ذلك نجد محاولة "ابن وهب الكاتب" في كتابه "البرهان في وجوه البيان" الذي وسّع مفهوم السرد أيضاً وجعل المنثور على أربعة أصناف. يقول ابن وهب : "اعلم أن سائر العبارة في لسان العرب، إما أن يكون منظوماً أو منثوراً...المنظوم هو الشعر، المنثور هو الكلام. فالشعر ينقسم أقساماً منها...وأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أو ترسلاً، أو احتجاجاً أو حديثاً"[٦]، ونلاحظ ، استناداً الى كلام ابن وهب ، أن الثنائية التقليدية : المنظوم والمنثور، ما زالت مهيمنة على الفكر النقدي العربي القديم.

---

[٥] :تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري،د.إحسان عباس، دار الشروق - الأردن ط٢ /١٩٨٦:٩٥

[١] : ، بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ ، خولة شخاترة،دار أزمنة،الاردن،ط٢/٢٠٠٦ :٦٩

[٢] : سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ،م . س :٥٥

[٣] :ينظر:البيان والتبيين،الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)،تح:عبد السلام هارون،دارالجيل ،بيروت،ط١/١٩٩٠

[٤] :الخبر في السرد العربي، سعيد جبار،م.س:٧٠

[٥] : سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ،م . س :٥٥

[٦] :نقلاً عن: الخبر في السرد العربي :٧١، ٧٢

أما الفكر النقدي الحديث ، فإننا نجد طائفة من النقاد قد درست السرد العربي و أجناسه الأدبية الحديثة و "حاولت أن تُرجع هذه الأجناس الى أصول تراثية ، فألحقت بعضها بالمقامة،والبعض الآخر بالسيّر أو حكايات ألف ليلة وليلة"[٧]. ويمكن أن نعد محاولات الدكتور "طه حسين" في كتابيه "من حديث الشعر والنثر" و"في الأدب الجاهلي"، وانتقاده تقسيم القدماء للكلام بأنه منظوم ومنثور، وحديثه عن النثر الفني، الذي يشمل "الكتابة" و"الرسائل"[١]، كل ذلك يعد مؤشراً على التفكير في مسألة الأجناس الأدبية.

في الثقافة العربية المعاصرة، نلاحظ أن جهوداً متميزة قد أثمرت في دراسة الأجناس الأدبية العربية، سيما جهود سعيد يقطين و عبد الفتاح كيليطو،ومن تابعهم من الباحثين المعاصرين.

ففي التسعينيات من القرن العشرين وضع الباحث المغربي "سعيد يقطين" مشروعاً لدراسة الأجناس في صورة متكاملة،بالنسبة لدراسة التراث السردي العربي،، وكان هدف يقطين " تأسيس سرديات تهتم بالمادة الحكائية، أو ما أسماه بسرديات القصة واختزل هذه السرديات في مفهوم الحكائية"[٢]. وذلك من خلال مقالة له نشرت في مجلة "فصول" عام ١٩٩٦، ثم بعد ذلك بعام أصدر كتابه المعنون:"الكلام والخبر" خصَّص فيه فصلاً عن الجنس والنص في الكلام العربي. وتقوم قراءة يقطين في هذا الكتاب على "مقترب منهجي يسعى الى تعميق الوعي بالمنجز السردي التراثي، وبناء معالم سردية بديلة تكون بمثابة مدخل لفهم تشكل أنواع الخطاب السردي العربي القديم، واستيعاب مبادئ أجناسه، وتجليات أنماطه"[٣].

يتحدث يقطين في مقالته :"المجلس، الكلام،الخطاب:مدخل الى ليالي التوحيدي"[٤]،عن الصيغ، بعد أن يتحدث عن الكلام وأجناسه وأنواعه ،استناداً الى نص ليالي التوحيدي، ويحدد تلك الصيغ على نوعين : "صيغ نوعية" وتتمثل بـ: أنشدنا، حدثنا، قال، حكى، حدثني،أخبرنا. و"صيغ مرجعية"،تتصل بمصدر الكلام، وتتمثل بـ:رأيت، سمعت من،

---

(٧) :م. ن :٧٥

(١) :ينظر : في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف - مصر،ط١٠/١٩٦٩ :٣٢٥ وما بعدها

(٢) : الخبر في السرد العربي، م. س: ١٥٠

(٣) :ترويض الحكاية،م.س :٢١

(٤) :المجلس، الكلام، الخطاب: مدخل الى ليالي التوحيدي: سعيد يقطين: مجلة فصول/مج ١٤/العدد٤،شتاء ١٩٩٦

كنت مع، قرأت، رويت[٥] ، وهذه الصيغ، كما يؤكد يقطين ، تحدد جنس الكلام وأنواعه وأنماطه.

والنتيجة التي يخلص إليها أن الكلام يتحدد بصيغتين:"قال، وأخبر، والكلام إذن أما قول أو خبر، فالقول يتصل عادة بالزمن الحاضر، وبالصوت المباشر الذي يقدم لنا المتكلم من خلاله ملفوظه الخاص..أما الخبر، فيرتبط في الغالب بالزمن الماضي، وبالصوت غير المباشر، حتى وإن كان المتكلم هو صاحب الملفوظ، لأنه يقدمه لنا وهو منه على مسافة"[١]. فالقول والخبر هما الجنسان الأصليان للكلام العربي.

بعد ذلك يستبدل سعيد يقطين تسمية "القول" "بالحديث"، بوصفه أكثر شيوعاً في التراث العربي، ثم يلتفت الى جنس الشعر فتصبح الأجناس ثلاثة:"الخبر والحديث، والشعر" الذي يمتلك خصائص تختلف عن الجنسين النثريين[٢]. إلا أن يقطين يعدُّ "الخبر" نوعاً لجنس كبير وشامل هو "السرد"، وهذا يحتضن أنواعاً أخرى، مثل الحكاية لكنه يركز على حدث ، غير قابل لأن يحذف منه أي جزء أما الحكاية ، فإنها اكثر اتساعاً من الخبر، وهي تضم مجموعة أخبار، والحكاية تهتم بشخصية الحدث اكثر من الحدث نفسه[٣]. والخلاصة في هذه التفريعات عند يقطين هي : إن الكلام ينقسم على ثلاثة أجناس هي: الحديث والشعر والسرد. والسرد ينقسم على نوعين: الخبر والحكاية.

في كتابه "الكلام والخبر" يواصل سعيد يقطين بحثه في الأجناس الأدبية ويفصّل فيها، مركزاً بحثه حول بنيات الكلام والخبر، الثابتة والمتحولة ، الى أن يؤسس نظريته على ثلاثة عناصر: المبادىء والمقولات والتجليات[٤]. و"المبادىء" أما صفات ثابتة، بها نميز ماهية الشيء عن غيره، أو متحولة وهي الصفات البنيوية القابلة للتحول ، والصفات الأخرى للمبادىء هي الصفات المتغيرة التي تعتري الكلام وتنقله من حالة الى أخرى بفعل الصيرورة الزمنية[٥].

---

[٥] :ينظر: م . ن:٢٠١
[١] : المجلس، الكلام، الخطاب م.س :٢٠٢
[٢] :ينظر م.ن:٢٠٣
[٣] :ينظر: م. ن :٢٠٤
[٤] :ينظر: الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين،المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء،ط ١ /١٩٩٧م :١٧٩
[٥] : م . ن : ١٨١،١٨٢

أما "المقولات" فهي مقولات "الجنس" الثابتة ومقولات "النوع" المتحولة، ومقولات "النمط" المتغيرة[٦]. و "التجليات" فهي التي تربط الجنس بالنص، وهي لا تخرج أيضاً عن "الثبات والتحول والتغير"، فالثابتة تكون في معمارية النص ، أما المتحولة ، فتتمثل في التناص بكل صوره ، أما المتغيرة فتشمل أنماط التفاعل النصي[١]. "رابطاً الأجناس بالمبادئ الحكائية على اعتبار تضمنها لقيم الثبات،واصلاً الأنواع بالمقولات الخطابية، نظراً لاحتوائها على قيم التحول،ومؤلفاً بين الأنماط والتجليات النصية لإيهامها المطرد بقيم التغير"[٢].

يرجع يقطين الأنواع السردية العربية الى"النص الأكبر"،يقول بهذا الصدد:" إن ما أسميناه النص الأكبر..هو ما ساهم فيه كل منتج بالعربية بغض النظر عن نوعه وقصده.أما التجليات النوعية القابلة للتقاطب الى ثنائيات كيفما كانت طبيعتها أو وظيفتها،وفي أي عصر فليست سوى تجليات ملموسة، تتجسد من خلالها بعض مقومات النص الأكبر"[٣].وبالنتيجة فإن النص الأكبر يدل على " قيمة علاقات الترابط والتركيب والتكامل، ذات الخاصية النسقية المتصلة بكل ما يفترض أن يتضمنه التراث القديم : سرداً وشعراً وخطاباً "[٤] .

إذن هذا التصور الإجناسي للسرد العربي عند سعيد يقطين، يعـدُ ناضـجاً، قياسـاً لغيره أو كما يقول هو:"حاولنا في الكلام والخبر...تقديم تصور أردناه متكـاملاً لدراسـة السرد العربي، بعد أن وضعناه،في نطاق محدد لأجناس الكلام العربي"[٥]، أو كما يقـول سعيد جبار:"تعتبر هذه المحاولة بحق رائدة، في الدراسات النقدية العربية الحديثة...فسعيد يقطين تعامل مع النص التراثي من داخله، لأنه حاول أن يستوعب طبيعة هذه النصـوص والعلائق القائمة بينها، وتعامل معه من خارجه لأنه حاول أن يصـنفه ضـمن منظومـة إجناسية صورية تحتاج الى معايير دقيقة"[٦].

---

[٦] : الكلام والخبر: ١٨٢-١٨٤
[١]: ينظر: الكلام والخبر :١٨٥ -١٨٧
[٢] :ترويض الحكاية ، م . س :٢٢
[٣] : الكلام والخبر، م . س : ٦٤
[٤] : ترويض الحكاية،م.س : ٢٦
[٥]: :قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية،سعيد يقطين،المركز الثقافي العربي،ط١/١٩٩٧ :٧
[٦]:الخبر في السرد العربي،م.س:٨١

تتكامل قراءة سعيد يقطين مع قراءة باحث آخر هو عبد الفتاح كيليطو الذي يرى التراث العربي " بوصفه نصاً كلياً متكاملاً..وبذا فإن التراث سيتحول من موقعه ذاك،حسب عبد الفتاح كيليطو، الى تشكيلة نوعية متساندة لا تحتمل التجزئ"[١]

اهتم كيليطو بالنصوص التراثية السردية، وهو يرى أن هذه النصوص قد أُهملت، يقول كيليطو:"ما أكثر الكتب التي تُعنى بتاريخ الشعر العربي! أما السرد فلا أحد أهتمّ بتتبع مراحله...أنه لم يخطر لباحث ببال أن يكتب تاريخاً للسرد"[٢]، ولهذا فإنه نذر نفسه لقراءة التراث السردي العربي ومعرفة أنواعه، وكشف الصلات بين هذه الأنواع: "فهناك خيوط كثيرة تشد الأنواع فيما بينها، وعلى عدة مستويات، بحيث لا يجوز لمن يدرس(الف ليلة)،مثلاً أن يتجاهل تاريخ الطبري ورحلة ابن بطوطة وكتب التراجم"[٣].

في كتابه "الأدب والغرابة"[٤] حاول كيليطو أن يعالج في القسم الأول من الكتاب المفاهيم العامة للأدب مثل : النص الأدبي،تصنيف الأنواع الأدبية، وقواعد السرد، ففي فصل تصنيف الأنواع، يؤكد كيليطو بأن "النوع يتكون عندما تشترك مجموعة من النصوص في إبراز نفس العناصر"[٥]، متشابهة ومتكررة ومتواترة لكن هذه العناصر في النصوص تنقسم، كما يؤكد كيليطو، على عناصر(أساسية) وأخرى(ثانوية)،فتعديل العناصر الثانوية وحرفها لا يؤثر على تغير النوع،أما تجاوز العناصر الأساسية في الجنس الأدبي وتعديلها فإنه يخرجها من دائرة نوع ما، ويدخلها في دائرة نوع آخر، لإنتاج نوع جديد[٦].

وبالنتيجة فإن دراسة خصائص الجنس الأدبي تصبح ذات أهمية كبيرة لمعرفة النوع الأدبي وتحديده ، وكشف تنوعات الإِخْبار في النص السيري .

---

(١) : ترويض الحكاية،م.س، في هامش:٣٨

(٢) :الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي،عبد الفتاح كيليطو،دار توبقال الدار البيضاء ط٢/١٩٩٩، المقدمة:٥،٦

(٣) : م. ن :٦

(٤) :الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي،عبد الفتاح كيليطو، دار الطليعة -بيروت،١٩٩٧

(٥) : م . ن :٢١

(٦): ينظر: م.ن :الصفحة نفسها

في نهاية كلامه عن تصنيف الأنواع ، في كتابه "الأدب والغرابة" يتطرق الى كلام القدماء حول النظم والنثر، ليؤكد: أن علاقة المتكلم بالخطاب لا تتعدى أنماطاً أربعة:[٧]

١.المتحدث يتكلم بأسمه نحو: الرسائل، الخطب، انواع شعرية تقليدية.

٢.المتكلم يروي لغيره نحو: كتب الأخبار،الحديث.

٣.المتكلم ينسب لنفسه خطاباً لغيره.

٤.المتكلم ينسب لغيره خطابا يكون هو منشؤه.

وهذه الأنماط الأربعة من الخطاب، يمكن أن تجتمع بنمطين أساسيين: خطاب شخصي وخطاب غيري، بنسبة تكون صحيحة أو زائفة أو خيالية،أو بدون نسبة[١].

إن كيليطو وهو يدرس النص التراثي يرى أن له "مدلولاً ثقافياً"، وأنه لا بد له من مفسر أو مؤول يوضح جوانبه المظلمة"[٢]، فالنوع السردي هو بالمحصلة يقبع تحت هيمنة الأنساق الثقافية التي تمنحه تأويلاً منسجماً مع شروطها الثقافية،أو تُعرّيه في بعض الأحيان من بعض خصائصه، لنجد بعد ذلك، أن "سمات الأصل قد تغيرت على مر الزمن"[٣]. إن مفهوم النوع عند كيليطو، يتأسس إذن من خلال "مفهوم (أفق الانتظار) عند ياوس، فقراءة نص واحد، كفيل بأن يخلق لدى القارىء أفقاً للانتظار يقرأ من خلاله جميع النصوص الأخرى التي تندرج تحت نفس النوع.وإذا ما تكسر هذا الأفق؛ فإن القارىء سيشعر لا محالة أنه خرج من نوع الى نوع آخر"[٤].وهذا يدعو الى تمفصل النوع السردي مع شبكة الثقافة السائدة." إن كيليطو يؤسس،كما هو الشأن مع يقطين،لمفهوم النص الثقافي المتكامل،وتبقى الغاية في عملهما معاً هي الربط بين مكونات النص التراثي الكلي وتحليلها من منطلق ائتلافها الثقافي وتجانسها اللغوي والدلالي"[٥].

---

[٧] :م. ن :٢٥

[١] :ينظر : الأدب والغرابة م. س : ٢٦،٢٥

[٢] :تحليل الخطاب الأدبي،على ضوء المناهج النقدية الحداثية،(دراسة في نقد النقد)، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق/٢٠٠٣:٦٠

[٣] :المقامات، السرد والأنساق الثقافية، عبد الفتاح كيليطو،ت:عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال - المغرب،ط٢/٢٠٠١:٥

[٤] :الخبر في السرد العربي،م.س:٧٩

[٥] : ترويض الحكاية،م. س :٣٩

تابع بعض الباحثين المعاصرين منهج يقطين في الاهتمام بالتراث السردي العربي. فالباحث المغربي سعيد جبار يضع في كتابه "الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات" تصوراً جديداً فيه تطوير لتصور يقطين في دراسته لموقع الخبر ضمن نظرية الأجناس. فقد ذهب هذا الباحث الى المديات القصوى لنظرية يقطين، في تجنيس الخبر، عندما وازن بين النتائج التي حصل عليها يقطين، وتوصل الى نتائج مهمة في تجنيس الخبر،والحكاية،والقصة، في التراث العربي.

فإذا كان يقطين قد اختزل الأجناس في الكلام العربي بالصيغ التي تحدث عنها: أخبر(الخبر) – حدّث(الحديث) – أنشد(الشعر)، ثم عد "الخبر"و"الحكاية" نوعين يجمعهما جنس كبير هو السرد ؛ فإن الباحث سعيد جبار قد أضاف "القصة" و"السيرة" ، بوصفهما نوعين من أنواع جنس السرد على وفق الترسيمة الآتية[١]:

السرد
- الخبر
- الحكاية
- القصة
- السيرة

"فالخبر" عنده هو"كل حدث تميز ببساطة فعله ووحدته، فلا يتفرع الى تعدد الأفعال والأحداث،وتنويع الشخصيات"[٢]. أما "الحكاية" فهي "ترتكز على الحدث الذي يكون في الغالب مركباً، أي يتفرع عبر عدة أخبار متعددة"[٣] أما "القصة" عند جبار فهي: تأخذ من معانيها المعجمية:"الخبر المقصوص، وتتبع الأثر"، فالقصة توازي الحكاية وترتبط بالشخصية اكثر من ارتباطها بالحدث خلافاً للحكاية التي ترتبط بالحدث أكثر، إلا أن الحكاية و القصة، يرتبطان بالنواة المركزية لكل عمل سردي وهي "الخبر"[٤].لكن جبار قد اختلف قليلاً عن يقطين، حيث أن يقطين قد عد القصة مجموعة من الحكايات، وليس نوعاً موازياً للحكاية كما يذهب جبار. أما السيرة فلم يعتنِ بها كثيراً، سوى أنه عدّها نوعاً

---

[١] :ينظر: الخبر في السرد العربي،م.س:٩٨
[٢] : م . ن :٩٩
[٣] : م.ن: الصفحة نفسها
[٤] :ينظر: م . ن : ١٠٠

سردياً،تتتبَّع المراحل المختلفة لحياة الشخصية، وقد اتخذت طابعاً دينياً منذ سيرة النبي(ص)، لتتحول بعد ذلك الى سيرة الشخصيات التاريخية أو المتخيلة التي دخلت بنوع السيرة الشعبية[٥].

وهكذا يخلص هذا الباحث الى أن الخبر والحكاية والقصة والسيرة، تملك من البنى ما يرقى بها أحياناً الى مستوى الجنس ويلتقيان في الطبيعة الحكائية كما إن الثبات منحها القدرة على الاستمرارية، أما بساطة الخبر فقد "تستدعي حضور تقنيات ومقومات معينة تمكنه من التواصل مع المتلقي بصورة موجزة ومتكاملة"[١].

أما الدكتور محمد القاضي في دراسته للسرد العربي، فقد حاول أن يدرس "الخبر في الأدب العربي" على وفق "مراوحة أخرى بين منهجين: تاريخي وإنشائي.فإزاء تعدد المداخل..لابد لنا أن نستضيء بمعطيات التاريخ الأدبي من جهة،وأن نستعين بطرائق التحليل الإنشائي من جهة أخرى. ذلك أن فهم الظاهرة الأدبية لا يكون دون إدراجها في سياقها التاريخي"[٢]. إلا أن الخبر عند القاضي بقي دون تخصيص إجناسي " حيث لم يعمل على تمييزه عن الحكاية والقصة وما شاكلهما، فأنه وقف بصورة إجمالية عند المميزات السردية والحكائية للأخبار"[٣].درس القاضي وظائف الخبر،لا سيما أخبار كتاب الأغاني وقصص الحب العذري، وتوصل الى أن هذه الأخبار تمتلك بنية سردية ثابتة "تحمل في جوهرها قوة التطور والتحول...كما تحمل قوة الاختزال الى بنية حكائية بسيطة"[٤].

ودرس الدكتور عبد الله ابراهيم، صاحب "موسوعة السرد العربي" السردية العربية من خلال المنظومات الكبرى قائلاً : " راعى البحث استنطاق الأصول المعرفية"[٥]، ولم يغفل الفضاء الثقافي في التأثير فيها لأن السرد "بوصفه مظهراً تمثيلياً، تكوّن في محضن الثقافة العربية–الإسلامية، و تكيّف بفعل الموجهات الخارجية التي صاغت أنظمته"[٦].

---

[٥] :ينظر: م . ن : الصفحة نفسها
[١] :الخبر في السرد العربي،م . س :١٠١
[٢] : الخبر في الأدب العربي، م. س،المقدمة : ٦
[٣] : الخبر في السرد العربي،م. س : ١٥٢
[٤] : م. ن : ١٥٣
[٥] : موسوعة السرد العربي،م . س ، المقدمة : ١٧
[٦] : م. ن : الصفحة نفسها .

وهذه الأصول هي : الحكاية الخرافية ، والسيرة ، والسيرة الشعبية ، والمقامة ، ولم يدرس المكونات الصغرى ، التي تشكل الأخبار نواتها، كذلك لم يدرس مؤسسات هذه الأخبار وبناها، التي هي بالنتيجة تشكل المنظومات الكبرى ، فالأخبار هي التي تحافظ على التشكلات السردية، بوصفها نواة مركزية ثابتة ، حتى وإن طرأت على النوع السردي رياح التغير والتحول.

أخذت بعد ذلك الأخبار ، عند بعض الباحثين آفاقاً أبعد ،تأسيساً على مفهوم "**المدلول الثقافي للنص التراثي**" الذي تحدث عنه "عبد الفتاح كيليطو" ، عندما دُرست منظوماتها الصغرى:بنية الأخبار ومؤسساتها، فضلاً عن منظوماتها الكبرى التي منحتها مقبولية ضمن فضاء الثقافة، كما تحولت هذه الأخبار من كونها صياغات لغوية الى منظومات ثقافية، نقلت الوقائع من التاريخ الى الثقافة، "وهي تُنتج عبر شبكة معقدة من النصوص، يمكن لهذه الشبكة أن تنشغل بالإجابة عن أسئلة جزئية تتعلق بمعيارية النصوص نفسها، وهي تكشف نوعاً أو تحدد إتجاهاً، مثلما يمكن لها الإنشغال بالإجابة عن أسئلة تتعلق بالفاعلية الثقافية وتحولاتها وهي تقيم حوارها مع أنساق عصور إنتاجها"[١].الأمر الذي يدعو الى أن الخبر "يعمل باستجابته لهذا السياق على إنتاج نصيته"[٢]. فالسياق الثقافي له أثر في حركة الخبر وفاعليته ضمن المنظومة الثقافية وانتقال الأخبار من وظيفة "الإخبار" الى وظيفة "التمثيل" و"التخييل" مما يمنح النصوص حواراً أعمق ومساحة دلالية أوسع[٣].

وبالنتيجة يمكن أن نستنتج أن موقع الخبر من نظرية الأجناس الأدبية في التراث النقدي العربي ، بدأ يتشكل شيئاً فشيئاً عند الباحثين وصولاً الى تأصيله وتجذيره ، عبر تتبع تاريخه ومراحله ، انتهاءً الى القول أن الخبر هو فرع من شجرة السرد الكبيرة ، التي ضمت الأنواع الأخرى ، كما امتلك الخبر من الخصائص ما جعله يتميز عن بقية الانواع الأخرى لا سيما بساطة أحداثه وشخصياته ، لكنه يشترك معها في الطبيعة الحكائية ، كما يشترك معها في التعالق مع الفضاء الثقافي المحيط بها .

---

[١]: التطلع الى النبوة،م س :٢٣، ٢٤.
[٢] :إستراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،م. س:٦٦
[٣] : ينظر : سرد الأمثال، م. س : ٢٠٦

المبحث الثاني

تنوعات الإِخْبار* في سيرة ابن هشام

يقسّم ابن هشام تنوعاته الإخبارية في السيرة النبوية على : متن و استهلال . تحقق بنية الإستهلال منبهاً نصياً ينبغي الإنصات له وتأمل دلالاته، ويتوزع تأثير الاستهلال على"مدارين:نفسي استقبالي يبرزأهميةالاستهلال،ودوره في الجذب،والاستقطاب..،وبنيوي أسلوبي،يتمثل في البعد البؤري الذي ينهض به "(١)، يقترح الاستهلال في بنية الأخبار صيغتين:

١- **العناوين الداخلية** بوصفها صيغاً استهلالية لمتن السيرة، تمارس دور العنونة والتجنيس بما تشكل عتبات للحكي،تبدو خيطاً يربطها بجسد المتن تضطلع بوظائف كبيرة،بحيث، تستطيع أن توزع متن السيرة النبوية على أنواع متعددة :(خبر، قصة، حديث،..) و"تحافظ على قوة استجابتها للعنوان الذي يشكل بنية مولدة تنهض على أساسها الاخبار"(٢).

٢- **صيغ الإسناد الاستهلالية**، التي تحاول أن تمنح النص المروي: القيمة والمصداقية والأمانة والاحتفاظ بالنص دون تغيير، لكن حين الدخول الى طبقات النص، ستبدو بصمات الراوي واضحة في قراءة الواقعة/التجربة، وإعادة إنتاج الخبر، من خلال تدوينه له، "إننا بذلك نتأمل(موقعاً) لتشكيل الصياغة السردية..،لا تبدو فيه مسافة فاصلة بين(التجربة) وبين(اعادة إنتاجها)"(٣).

---

* : الإخبار مصدر(خبر) وليس جمعاً له.

(١): بنية السرد في القصص الصوفي،المكونات،والوظائف،والتقنيات،د.ناهضة ستار،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط٢٠٠٣/١ :٨٤.

(٢): سلوان السرد دراسة في كتاب(سلوان المطاع في عدوان الاتباع)لأبي عبد الله بن ظفر الصقلي(ت:٥٦٨هـ)،د.لؤي حمزة عباس،الموسوعة الثقافية،عدد(٦٠)، دار الشؤون الثقافية، بغداد:٣٧.

(٣): سرد الأمثال،م.س :٤٦

تضم سيرة ابن هشام(**ثلاث مائة وأربعة وخمسين**) **تنوعاً إخبارياً**. يمكن إجمال العناوين الداخلية لها،على مجموعتين وعلى النحو الآتي :

الأولى:**عناوين تختصر الحدث:** وهذه العناوين تشمل معظم الكتاب، ومجموعها(مائتان وثلاثة واربعون)عنواناً مثل:(وفاة ابي طالب وخديجة ص:١٦٥)،(علي يكتب شروط الصلح ص٤٣٢)،(شعر حسان في ذي قرد ص٤١٧)،(ولادة رسول الله"ص" ورضاعته ص٦٦)...الخ.

وهذه المجموعة هي أخبار السيرة الأساسية.

الثانية:عناوين تندرج تحت **ألفاظ تجنس الخبر** الذي يورده ابن هشام،وهي تشمل عناوين تضم(خمسة) أجناس سردية:

أ – عناوين تندرج تحت لفظ(**خبر**) ومجموعها(خمسة عناوين)،مثل :(خبر الكهان من العرب ص٨٢)،(وخبر الصحيفة ص١٣٩)...الخ.

ب – عناوين تندرج تحت لفظ(**قصة**)،ومجموعها(عشرون عنواناً)، مثل :(قصة سد مأرب ص١٠)،(قصة المعراج ص١٦٠)...الخ.

ج – عناوين تندرج تحت لفظ(**حديث**)،ومجموعها(تسعة عناوين)،مثل :(حديث بنيان الكعبة ص٧٧)،(حديث تزويج رسول الله ص٧٦)...الخ.

د – عناوين تندرج تحت لفظ(**ذكر**)،ومجموعها(أربعون عنواناً): مثل(ذكر سرد النسب الزكي من محمد"ص" الى آدم"ع" ص٧) ،(ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي والأسود العنسي ص٥٥٢)

هـ– عناوين تندرج تحت لفظ(**أمر**) ومجموعها(سبعة وثلاثون عنواناً):مثل(أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ص٣٩)،(أمر سقيفة بني ساعدة ص٥٧٨)...الخ.

كان هذا التحديد للتنوعات الإخبارية في السيرة النبوية لابن هشام بمثابة الخطوة الأولى من البحث. أما الخطوة الثانية ، فهي دراسة الخصائص السردية لهذه التنوعات في المجموعة الثانية التي أعطت للمؤلف / ابن هشام المسوغ كي يمنحها هويتها الإجناسية ، و يهبها هذا التنوع الإجناسي، وسنعتمد في ذلك على الحدود والفوارق الإجناسية للأنواع السردية،انطلاقاً من جهود الباحثين المعاصرين ، الذين اشتغلوا في

حقل تجنيس الكلام العربي، وصولاً الى تحديد موقع النوع السيري ضمن نظرية الأجناس العربية ، وستواجهنا حزمة من الأسئلة الملحة خلال البحث ابتداءً من المجموعة الأولى وهي:

- ما معنى "خبر"،" قصة"، "حديث"، "ذكر"،"أمر"، لغةً ودلالة و اصطلاحاً ؟

- ما الخصائص السردية، التي تم بموجبها الإعلان عن تجنيسها، بهذه الصيغة؟ وماحدود التداخل فيها ؟

- هل نجح ابن هشام ، في منح الخبر السيري -استناداً الى خصائصه السردية- تنوعاته الإجناسية ؟

تتطلب الإجابة عن هذه الأسئلة ، الرجوع الى المكونات السردية الأساسية للأخبار، بوصفها مؤسسات الخبر السيري ، وتقنياتها السردية ، التي بموجبها نمنح هذا الخبر أو ذاك هويته الإجناسية التي يستحقها ، غير مهملين ما اختار لها المؤلف /ابن هشام، من عناوين ، فالعناوين من الأهمية حتى أنها تعد "أجراساً سياقية تنبه الى موضوع الأخبار،فتكون وظيفتها، تبعاً لذلك، إشارية ، إذ تحدد مجال القول والكتابة.إنها – باختصار– تعيين مكثف..وإعلان أولي لوجهة السرد والحكي؛..التي توضع أمام المتلقي الحصيف إشعاراً لهُ، وإخطاراً بأن عليه أن يستشرف مسار الأخبار"[١].

واستشراف مسار أخبار السيرة يتطلب دراستها على أساس تجنيس ابن هشام لها، وسنبدأ بدراسة تنوعات الإخبار،في السيرة النبوية، التي عنونها ابن هشام بـ "الخبر".

---

[١]: عتبات المحكي القصير، م.س :١٢٣

السيرة : خبر

- معنى الخبر:

أورد ابن هشام في سيرته "خمسة" أخبار جنسها بـ "خبر"، وهي : "أخبار الكهان العرب، والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى"(ص:٨٢)، "خبر الصحيفة"(ص:١٣٩)، "خبر الآذان"(٢٠٤)، "خبر الإفك"(ص:٤٢٢)، " خبر غزوة غالب بن عبدالله الليثي"(ص:٥٥٧). ويبدو أن هناك خصائص منحت هذه الأخبار هويتها الإجناسية تلك.

يتابع اللغويون معنى "الخبر"، ليؤكدوا أن دلالته، متطورة ومتنامية، فقد جاء في لسان العرب والقاموس المحيط أن: الخبار من الأرض: ما لان واسترخى،أما "الخبر" : فهو مزادة الماء، و"الخبرة ": العلم بالشيء و"الخبر" :ما أتاك من نبأ عمن تستخبر[١].

كما وردت لفظة "خبر" في القرآن الكريم أربع مرات،جاءت بمعنى "العلم بالشيء"[٢]. وقد جاء في "تاج العروس"، بأن الخبر هو: "معرفة كبراء أهل الزمان وسيرهم وأسمائهم وأيامهم والوقائع التي دارت بينهم ، وهذا العلم هو المسمى بعلم التاريخ[٣].

أما في الإصطلاح : فإن الخبر هو"الوصف الشفوي للواقعة، والتاريخ بالخبر في اصطلاحنا، هو تاريخ الأحداث المبني على المرويات المتوارثة شفوياً جيلاً عن جيل"[٤]، وصحيح أن الخبر نشأ في أحضان التاريخ، إلا أنه "استقل عن التاريخ، و اكتسب قيمة أدبية خالصة"[٥].

ويقسّم الدكتور "محمد القاضي" الأخبار على "أدبية مقصودة بذاتها للامتاع، وتاريخية تهدف الى الإعلام والإخبار "[٦]، ويبدو بأن تلك الأخبار التاريخية تمتلك

---

[١] :لسان العرب، م. س: مادة خبر.والقاوس المحيط للفيروز آبادي، م. س: مادة خبر
[٢] تنظر الأيات :الكهف :٩١،٦٨ - النمل :٧ - القصص:٢٩
[٣] : تاج العروس ، م . س : ١ / ١٢٥ ، ١٣٢
[٤] :مفهوم التاريخ ، م. س :٩٩
[٥] : فن الخبر في تراثنا القصصي، شكري محمد عياد، مجلة فصول المصرية مج٢، ع٤ - ١٤٠:١٩٨٢
[٦] :الخبر في الأدب العربي، م.س :٦٨٧،٦٨٦

رصيداً من الإمتاع أيضاً، ما دام هناك تنظيم في أساليب بنائها ، وفي بنيتها الجمالية ، حيث ينظر الخبر الى نفسه، ليعيد ترتيب ذاته. لكن الدكتور " القاضي" يصرح بقوله :"يعسر علينا أن نعد الخبر جنساً من أجناس الأدب، لأنه من جهةٍ، ضم في أجناسه أجناساً متعددة، فالأقرب الى حقيقة الأمور أن نعدّه شكلاً؛ ولأنه من جهة أخرى لم يتمحّض للأدب، بل كان مشتركاً، بينه وبين مجالات معرفية أخرى، لعل أهمها التاريخ"[١]. و المتتبع للخبر العربي فيجد أن هذه الأجناس ضمت الخبر وأحتضنته ، وليس العكس .

والخبر يدخل في مكونات بعض الأجناس استناداً الى معناه المعجمي الذي يدل على العلم بالشيء ، لا سيما عندما يكون هناك وصف حكائي لحادثة ما. فالقصة والحكاية والسيرة تدخل في مكوناتها تلك الوحدة الحكائية الصغيرة ، بسبب طبيعتها الحكائية ؛ أما نص السيرة النبوية ، فيُطلق عليه "أخبار السيرة" ، رغم أنه يضم الأنواع السردية الأخرى،وهو من باب تسمية الكل بالجزء.

- الخبر والتاريخ :

ويبدو أن هذا التداخل بين الخبر والتاريخ، والخبر وبقية الأنواع السردية، جاء من التشويش الذي اعترى النظرية الإجناسية العربية ، ومن شيوع الطابع الموسوعي للتراث العربي،الذي ضم أنواعاً متداخلة من الأدب ؛ ولهذا فإن الخبر أصبح "ملتقى لمعان مختلفة،حتى أنه تضخم وصار من الكلمات التي تستعمل في مجالات متعددة تضم الى النص القرآني الحديثَ النبوي، والتاريخ والجغرافية والأمثال والحكم وغيرها"[٢].

ويتساءل الدكتور "رضوان سليم" عن السبب الذي جعل التاريخ الإسلامي يدوّن على شكل "أخبار"، دون أن يكون تاريخاً متصلاً وموحداً،ومنسجماً في نسيج واحد ؟ يقول:"إن بنية الخبر المعرفية، أي طبيعته وشكله وأسلوب روايته، ومظهره العلني...لم ينقطع تأثيرها في الأنماط التاريخية العربية،وأشكال التدوين،بل ظلت حاضرة،وأن تلك الأنماط نفسها، بقيت وفية لأسلوب التدوين المتسم بصورة الخبر"[٣]، هذا يعني إن أسلوب "أيام العرب" قد ألقى بظلاله على تدوين المغازي، أي سيرة النبي،وهذا ما يؤكده

---

[١] : الخبر في الأدب العربي، م.س :٥٩٢
[٢] : م . ن :٨٨
[٣] :نظام الزمان العربي، م.س:٣٤،٣٣

المستشرق "غرنباوم" الذي يلاحظ "أن أسلوب الرواية في المغازي هو نفسه بالنسبة الـى أيام العرب"[١]، إذا عرفنا أن أسلوب "أيام العرب" الذي يعتمد الأخبار المنضدة ، لا تعتمد الزمن في تسلسلها التاريخي،حيث " تتميز بلا زمنيتها وانغلاقها على ذاتها وثباتها في وجه كل تحول "[٢]،ويلاحظ الدكتور "سليم"،أن أيام العرب والمغازي تسمي الأيام بالأمكنة التي جرت فيها المعركة، والغزوات بالمواقع التي دارت فيها، ولهذا يؤكد على أن "الانتقال من الخبر الى التاريخ ، لم يكن ليتحقق، لولا هذا الإدراك الجديد للزمن من جهة ، وأسـلوب تقويمه من جهة ثانية"[٣].

أما الموضوعات التي تسجلها الأخبار فقد ارتبطت بمعنى "الخبر" أثناء مدة نشـأته ، الذي ارتبط برواية قصص المعارك وأحاديث الغزوات[٤]، لكن الأخبار- وبسـبب مـن التهويل الذي ينتقل إليها عبر تراكمات الرواية الشفوية وانتقالها من جيـل الـى آخـر- أصبحت تتجاوز وصف التجربة الواقعية في الحروب والغزوات ، "وعندما يتجاوز الخبر التجربة ويفوقها، يتم خلق عوالم جديدة ، تقوم على التخيّل، وذلك من اختـراع أشـياء لا حقيقة لها،بخروجها عن عوالم التجربة الواقعيةالعادية"[٥].

وبالنتيجة فإن هذه الأخبار احتوت على الواقعي أو الأليف، والغريب الذي يتأسـس على التخييل، والعجيب الذي يرتكز على التخيّل[٦].

والتخييل هو مستوى وسط بين الواقع والخيال،لكن "الواقع الذي يقدمه لنا الخبر، لا يخلو من تخييل،كما أن الخيال، الذي يصفه لنا لا يخلو من تدجين"[٧].

وبتعدد موضوعات الخبر تتعدد وظائفه ، ولعل الوظيفة التوجيهية هي رهان العديد من مدونات الأخبار، لكن توازيها وظائف أخرى، من قبيل: توصيل المعرفـة وإعمـال الفكر، كما في أخبارالأذكياء مثلاً، و وظيفة التسلية والإضحاك ، كما نجدها فـي أخبـار

---

[١] :نقلاً عن: نظام الزمان العربي، م.س :٣١
[٢]:م . ن :٣٢
[٣]: م . ن : الصفحة نفسها
[٤] :ينظر: م . ن :٣٣
[٥] :الكلام والخبر،م . س:٢٠٠
[٦] :ينظر: م . ن : الصفحة نفسها
[٧] : الخبر في الأدب العربي، م.س:٦٤٠

الحمقى، أو تحصيل اللذة لدى المتلقي،مثال ذلك،أخبار العشاق. وقد يؤدي الخبـر وظيفـة تعليمية،كتلك التي ترسخ ظواهر لغوية وفنية[٨].

ويضيف القاضي الى تلك الوظائف ، وظيفة آيديولوجية لترسيخ الإيمان بالعقيـدة أو القبيلة أو القوم ، أو لتمجيد شخص أو الحط منه[١]. لكن أين نضع وظائف الخبر السيري، من هذه الوظائف ؟.

- الخبر السيري:

يأخذ الخبر السيري وظيفته المركزية من غايات ومقاصد أدب السيرة ، الذي يُعنـى بشخصية مركزية ويتابعها ويضيء ما حولها، من أجل غايات عقائدية آيديولوجية ، كمـا في سيرة النبي"ص"، من أجل تثبيتها واستلهام أفعالها تشريعاً، و أحكاماً، وآداباً، ما يعرف إسلامياً بمفهوم "الأسوة الحسنة"، الذي يدخل في دائرة القيم ودائرة الوضـع الاعتبـاري للشخصية السيرية المُعتنى بها، حين يكون كلامها وتقريرها وسلوكها، حجةً شرعية يجب الالتزام به وتطبيقه.

تمتاز أخبار السيرة **بالسند** ، بوصفه مكوناً استهلالياً، والسند "ألصق بـالخبر مـن غيره من الأنواع الأخرى"[٢]، وقد "انبثق كنظام حفظ وتواصل؛ ليكون المرتكـز الأكثـر أهمية في المشافهة.دعمته الممارسة النبوية وحماه المحدّثون ، وسرعان ما اكتسب صـفة القداسة"[٣].

"فالعبارة التمهيدية للاسناد، التي تتبني على عنصري التحمـل :النقـل(السـماع – القراءة)،والأداء:(القول – الإنشاد – الحكي..)،أما وظائفها بذاتها،فلها بعدان: بُعد واقعـي تاريخي ويشمل إلقاء العهدة على الغير... وبُعد فني يضم استمالة المتلقي والتـأثير فيـه وتقييده،أي أنها تتحول الى إستراتيجية خطابية"[٤].واستراتيجية السند تحافظ علـى تقاليـد

---

[٨] :ينظر:عتبات المحكي القصير،م.س:٩١،٩٢
[١] :ينظر:الخبر في الأدب العربي،م.س:٦٦٠ وما بعدها
[٢] :السرد العربي القديم،الأنواع والوظائف والبنيات،م.س:١٧٣،١٧٤
[٣] :موسوعة السرد العربي،م.س:٣٥
[٤] :عتبات المحكي القصير،م.س:٩٠

قول سابق، كما إنها تمنح الإمكانية من الإفادة من متونها عبر الحذف والإنتقاء[٥]. فضـلاً عن وضع الخبر في إطاره الزمني ، لأن "كل رجل في سلسلة الإسناد ، إنما هو قطعة من الزمن تتصل بقطعة..حتى يتهيأ من ذلك، مسلك التاريخ ويتضح نهجه، كأنك تبصره على رأي العين ويقين الخبرة"[١].

والسند هو من بقايا الثقافة الشفاهية التي كانت سائدة ، ثم استمر تقليداً لنقل الخبـر العربي ، سيما وأنه نشأ في "أحضان الدين وفي بيئة المحدّثين والفقهاء"[٢]، والحفاظ علـى صدق الحديث،يتطلب معرفة رجاله، ومن هنا نشأ "علم الرجال" الذي يهتم بفحص السـند، والتأكد من ثقة أو عدم ثقة أصحابه؛ "لذلك كانت وظيفة الإسناد الأولى التي تكـاد تكـون بديهية، أنه يقوم بدور الشاهد، على أن الخبر مروي غير مخترع "[٣]، وبهذا احتل السـند مكاناً مرموقاً في التراث العربي، حتى أنه يعدُّ "عنصراً ثابتاً يمكن اعتباره مقوماً أساسـياً من مقومات الخبر"[٤]، ويؤكد ذلك معناه المعجمي الذي يدلُّ علـى: الـدعم والارتقـاء والتعضيد[٥].

وبالرجوع الى أخبار سيرة ابن هشام ، التي وضعها تحت عنوان :(خبر)، ومن أجل دراسة خصائصها السردية، التي أعطته المسوغ ، لتجنيسها بهذه الكيفية ؛ سـنعمل علـى تحليل "خبر الصحيفة" – و الصحيفة هي العهد الذي كتبته قريش لمقاطعـة بنـي هاشـم لاحتضانهم النبي،ومساندتهم له – لمعرفة مكوناته البنائية التي منحته هويته الإجناسية.

"خَبَرُ الصّحِيفَةِ"

"قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : فَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا أَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنّ النّجَاشِيّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إلَيْهِ مِنْهُمْ وَأَنّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، فَكَانَ هُوَ وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ اجْتَمَعُوا وَائْتَمَرُوا(بَيْنَهُمْ) أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى

---

[٥] : ينظر: سرد الأمثال ، م . س : ٤٥

[١]:تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت ط١٩٧٤/٤ ج١: ٢٨٨

[٢] :صاحب الأغاني أبو الفرج الأصبهاني الراوية، محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٢:٢٧٠

[٣] :الخبر في الأدب العربي،م . س :٣٢٧

[٤] :م.ن:١٥٨

[٥] :ينظر: لسان العرب،م . س : مادة (س - ن - د)

بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ عَلَى أَنْ لَا يُنْكِحُوا إلَيْهِمْ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ فَلَمّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ ثُمّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمّ عَلّقُوا الصّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانَ كَاتِبُ الصّحِيفَةِ مَنْصُورَ بْنَ عِكْرِمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ – قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ النّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ – فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَشُلّ بَعْضُ أَصَابِعِهِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَلَمّا فَعَلَتْ ذَلِكَ قُرَيْشٌ انْحَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطّلِبِ إلَى أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ وَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ وَخَرَجَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبُو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزّى بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، إلَى قُرَيْشٍ، فَظَاهَرَهُمْ"[١].

استناداً الى العنوان فإن موضوع الصحيفة يقع تحت نوع "الخبر"، والنـــوع، كمـــاهو معروف،يقع تحت "الجنس"،الذي يمثل شجرة "السرد" التي تتفرع الـــى أنـــواع:الخبـــر – الحكاية – القصة..[٢].

عناوين ابن هشام الداخلية تحقق غايتين: **الأولى العنونة ، والثانية التجنيس** ، فالعنونة تضيء النص "فإذا كان النص نظاماً دلالياً، وليس معاني مبلّغة ، فإن العنوان كذلك نظـــام دلالي رامز، له بنيته السطحية ومستواه العميق،مثله مثل النص تماماً"[٣] ، ولا عجب فـــي ذلك إذا كان العنوان نصاً موازياً، أو عتبة للنص الأصلي، يمتلك مخزونـــاً باذخـــاً مـــن الوظائف[٤]، لكن لبساطة الخبر السيري ، فإنّ العنوان الداخلي له ، يذهب مباشـــرة الـــى الخبر ليعمل على "تعيين هويته النصية"[٥] ، بما يؤمّن صلة مع العنوان الرئيس:(ســـيرة). في إشارة تلميحية الى أن السيرة هي مجموعة من الأخبار، مثلها مثل أي نوع سردي.

---

[١] :سيرة ابن هشام :١٣٩

[٢] :ينظر: الخبر في السرد العربي،م.س:٩٨

[٣] :سيمياء العنوان في الدرس اللغوي، عيسى عودة برهومة، المجلة العربية للعلوم الأنسانية،جامعة الكويت،ع٩٧،س ٢٠٠٧/٢٥:١٤٨

[٤] :ينظر: عتبات(جيرار جينيت من النص الى المناص) عبد الحق بلعابد منشورات الإختلاف(الجزائر) - الدار العربية للعلوم ناشرون(بيروت) ط ١ /٢٠٠٨ :٧٨

[٥] :سلوان السرد،م.س:١٧

وبالنتيجة فإن العنونة تحقق "عتبة دلالية"، و"عتبة منهجية" متمثلة بتجنيس الخبر، وهذا المكون العنواني يمنهج النص ويشير الى دلالاته من جهة والى صيغته البنائية بما ينسجم مع صيغ العنونة المألوفة في عصره من جهة أخرى.

ولما كانت علاقة العنوان بالنص "علاقة جدلية : تنازلية من العنوان الى النص، وتصاعدية من النص الى العنوان"[٦]؛ فإن النص سيكون أمام عنوانين: العنوان الرئيس "الخارجي" وهو "السيرة" والعنوان الداخلي وهو "الخبر"، أو كما في تصور جينيت في كتابه "العتبات" الى: "عناوين مضمونية(Thematique) بتجلياتها المختلفة: الموضوع الرئيس...، وعناوين تجنيسية أو تصنيفية(Rhematique)"[١]، ويعني بها العناوين الداخلية، "وهي على خلاف العناوين الخارجية، تتوجه الى القارىء الفعلي...، وقد تكون مضمونية وتجنيسية في الآن نفسه"[٢].

يُستهل الخبر "خبر الصحيفة" بسند مرسل:"قال ابن اسحاق" والسند في الخبر العربي هو من مؤسسات البنية ، كما أنه يرصد الحراك الزمني للخبر، وصولاً الى زمن وقوعه، وهنا يذهب "خبر الصحيفة" الى زمن الواقعة عبر زمن تدوينها /زمن ابن اسحاق، يمثله الشكل الأخير لها، الذي يحافظ عليه ابن هشام كما هو:" قال ابن اسحاق"،ليمارس دور الراوي المفارق لمرويه، عبر وظائفهِ "البنائية" للحفاظ على تنسيق وتوزيع الحكي ، ومسك خيوط الروي بصورة متوازنة وعادلة، كذلك عبر الوظيفة "التمجيدية"، عندما يثبّت "الصلاة والسلام" في كل مرة يذكر فيها اسم النبي(ص) . فضلاً عن ذلك نجد الراوي المفارق لمرويه /ابن هشام، يتدخل في الخبر،عندما يصحح للراوي المتماهي لمرويه/ابن إسحاق المعلومة عن كاتب الصحيفة، فابن اسحاق قال هو "منصور بن عكرمة" لكن ابن هشام يتدخل، ليشكك في الأمر ليقول : "يقال : النضر ابن الحارث".

عمل النص على تقديم حدث واحد هو كتابة صحيفة مقاطعة ضد النبي"ص". وهذا الحدث يمثل نواة الخبر. والخبر يقدم الحدث بطريقة متضافرة ، بحيث يمكن تقسيمه –

---

[٦] :الشعر العربي الحديث : دراسة في المنجز النصي، رشيد يحياوي، افريقيا الشرق - الدار البيضاء /١٩٩٨:١١٣

[١] :ورد في :مدخل الى عتبات النص،دراسة في مقدمات النقد العربي القديم عبد الرزاق بلال. تقديم ادريس الناقوري، إفريقيا الشرق -الدار البيضاء/٢٠٠٠:٨٢،٨٣

[٢] :م. ن :٢٧١- ٢٧٤

استناداً الى ذلك – على ثلاثة أجزاء: السبب والنتيجة والأبعاد: فالسبب أن:(المسلمين قد أصابوا أمناً وقراراً بنزولهم يثرب وإن عمر قد أسلم، وأن الإسلام بدأ يفشو بين القبائل)، كل هذا جعل التوصل الى النتيجة الآتية: إن قريش يجتمعون ويأتمرون بينهم لكتابة صحيفة المقاطعة. ثم بعد ذلك يصور الخبر أبعاد هذا الحدث بانحياز بني هاشم، وخروج ابي لهب وتظاهره مع قريش، ليكتمل هذا الحدث وينغلق به الخبر، لكن هذا الحدث الواحد البسيط وغير المركب وغير المتحول، قد كثّف الخبر، وجعل حركة السرد تتجه صوب نواة واحدة هي "الصحيفة"، حتى أن بنية الفضاء الزماني والمكاني،قد انصهرت فيه، كما أن الخبر لا يسلط الضوء على شخصية بعينها، بقدر ما يسلط الضوء على الحدث، فكأنما الحدث لبساطته ومركزيته قد ابتلع الفضاء والشخصيات، وهذه هي خصائص بنية الخبر: الإيجاز، والتمركز حول الحدث الواحد، وقلة تنوع الصيغ وهيمنة صوت السارد فيه[١]، كل ذلك أعطى مسوغاً للراوي، لأن يمنح هذا الحدث،هويته الخبرية وهو مؤشر على أن النظرية الإجناسية العربية بدأت بممارسات مبكرة. وإن كانت هذه الممارسات مرتبكة ومشوشة بعض الشيء. الأمر الذي يؤكد إن الثقافة العربية " لم تقدم لنا نظرية للأجناس متكاملة المعالم ، ثابتة المقاييس والمعايير ولكن ما نصادفه في المصنفات الجامعة..لا يقدم في غالبه إلا مواقف فردية ذاتية تعتمد أساساً على التقسيم التقليدي للأدب الى نثر وشعر"[٢] ، حتى أن "التردد في إستخدام كلمة الخبر عند الأصبهاني ليدلّنا على صعوبة تعريف هذه الكلمة وضبط حدودها[٣]، لكن هذه الممكنات السردية في أخبار السيرة ، قد أعطت لابن هشام،ومن قبله ابن اسحاق ، الإذن لتجنيس متن السيرة النبوية ومنح هذه التنويعات الإجناسية لها. الأمر الذي يدل على أن الخبر السيري امتلك مركزية من كونه يهتم بأخبار الحوادث الإسلامية وشخصيتها المركزية ، وقد وفر لنفسه تعضيداً عبر الاستهلال الذي هو من مقومات الخبر العربي ، وكان خبراً واعياً حين نظر الى ذاته تعبيراً عن نفسه .

---

[١] :ينظر:الخبر في السرد العربي :١٣٥
[٢] :م. ن : ٦٣
[٣] :الخبر في الأدب العربي :٣٥٤

السيرة : قصة

الحديث عن السيرة، بوصفها أخباراً،تتدرج ضمن نوع القصة،كما جنسها ابن هشام عندما عبر عناوين الأخبار. مما يأخذ بأيدينا الى مسألة التداخل بين "الخبـر التـاريخي" و"الفن القصصي،".

فالخبر التاريخي معنيٌ، بنقل الحادثة كما هي، "ذلك أن الوظيفة الأساسـية للخطـاب التاريخي هي الإبلاغ والإفادة ، في حين أن الخطاب الأدبي لا يريد أساسـاً إلا الإثـارة الفنية والإمتاع"[١].

يذهب محمد القاضي الى أبعد من ذلك حين يفرق بين الخبر الأدبي والخبر التاريخي، عندما عدّ الخبر الأدبي معنياً بثبات الوظائف دون الشخصيات، ولهذا نجد مؤلفي كتب الأخبار لا يهتمون بإيراد الخبر الأدبي منسوباً الى شخصيات عديدة ، ، ويزيد على ذلك: "ولربما كانت هذه الخصيصة وقفاً على الأخبار الأدبية. فلا يمكن لراوية الأخبار التاريخية مثلاً أن ينسب الحدث الواحد الى اكثر من شخصية،لأن غاية المؤرخ أن يقدم صورة قريبة من الواقع"[٢]،وهذا صحيح، انسجاماً ووظيفة الخبر التاريخي، لكن هذا لا يعني أن الخبر "التاريخي" لا يُعنى بالحدث، مثل عنايته بنسبة الحدث الى الشخصيات،لأن الخبر أصلاً هو "سرد يتمركز بالأساس حول الحدث الواحد والبسيط"[٣]. ربما فض ابن هشام هذا الاشتباك الإجناسي، عندما زاوج بين الخبر التاريخي والخبر الأدبي، واضعاً "القصة" عنواناً أدبياً لبعض أخباره التاريخية ، في إشارة مبكرة منه الى أن الخبر التاريخي لا يمكن أن يكون بمعزل عن التأثير الأدبي ، ولا يمكن للمؤرخ إلا أن يستعين بالسرد لتقوية أخباره .

تضم السيرة النبوية لابن هشام عشرين عنواناً، تتدرج تحت لفظ : قصة ، بما يشكل حضوراً إجناسياً لتلك الأخبار. واستناداً الى مبدأ " التراكم " الذي تحدث عنه سعيد يقطين سابقاً، الذي عدَّ السيرة بوصفها تراكم مجموعة من القصص، تأخذ هـذه القصـص فـي

---

[١] :الخبر في الأدب العربي :٣٧٤
[٢] :م.ن:٣٧٣
[٣] :الخبر في السرد العربي :١٣٥

السيرة معانيها المعجمية والإصطلاحية، بما يوفر لها الخصائص التـــي بموجبهـــا يمكـــن فحص بنية هذه الأخبار المعنونة "بالقصص".

فالقصة "لغة"، تعني الحديث والخبر. قصصت الشيء:إذا تتبعت أثـــره شـــيئاً بعـــد شيء[١]، ومنه قوله تعالى:"وقالت لأخته قصيه"[٢]. أي اتبعي أثره..

وفي الاصطلاح تدل القصة على حادثة ، أو مجموعة من الحوادث خيالية أو حقيقية تُجرى لشخصية أوعدة شخصيات مختلفة، تتباين في اساليب عيشها وأنماط تفكيرها في الحياة، مثلما تتباين حياة الناس على الارض[٣]. وللقصة تقاليدها الخاصة كبنيتها الشديدة الإحكام، وحدود مغزاها، وافتقارها الى تطور الشخصية، وعنايتها بشخصية واحدة في موقف واحد في وقت واحدة[٤]. أما بناء القصة، فهو "مجموع العلاقات التي تربط عناصر العمل الفني المختلفة"[٥].

وبالنتيجة فإن القصة هي فاعلية إعادة الحوادث الواقعية أو المتخيلة وتقصيها ثم حكايتها بابتكار علائق جديدة لها ،باضفاء التشويق والخيال والتصرف الشخصي عليها وخلق الحادثة خلقاً فنياً مؤثراً وممتعاً. أما القصص السيري فإن حدثها خبراً تاريخياً واقعياً أُعيد بناؤه بأسلوب سردي تضمن التخييل ومراعاة الوسائل الفنية والأدبية التي سيُعنى البحث في معاينتها وتحليلها.

---

[١] :ينظر: لسان العرب،م. س :مادة(قص)

[٢] :القصص :١١

[٣]: ينظر : فن القصة القصيرة، رشاد رشدي مكتبة الانجلو المصري، المطبعة الفنية الحديث، ط٣، القاهرة، ١٩٧٠ :١١

[٤]: ينظر : معجم المصطلحات الادبية، ابراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضدية العمالية، ط١، تونس، ١٩٨٦ : ٢٧٥

[٥] : بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ،م. س : ١٦٧

- **أسلوبا السرد**

يقدم القاص شخصياته بالاستعانه بأسلوبي السرد ، وهما "**السرد الموضوعي والسرد الذاتي**". "ففي السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعاً على كلّ شيء ، حتى الأفكار السرية للأبطال، أما في السرد الذاتي ، فإننا نتبع الحكي من خلال عيني الـراوي ، (أو طـرف مستمع) ، متوفرين على تفسير لكل خبر: متى وكيف عرفه الراوي أو المسـتمع نفسـه ؟"[١].

وفي السرد الموضوعي يكون الراوي الذي يعرف خفايا شخصياته وأسرارها، مطلعاً على كل جوانب الحدث القصصي، ويتمثل هذا السرد في تقديم الحدث القصصـي عبـر رؤية شخصية قصصية مشاركة في الحدث او مراقبة له[٢]. حيث يختار السارد في بعض الاحيان ان يكون المتكلم بلسانه، أو السارد أحد أشخاص العمل القصصي[٣]. فـلا يقـدم الأحداث الا من زاوية نظرها فهي تخبر بها، وتعطيها تأويلاً معيناً تفرضه على القـارئ، وتدعوه الى الاعتقاد به[٤]. يعتمد السرد الموضوعي على الرؤيـة الخارجيـة والـراوي العليم[٥] ، كما يقوم "بوصف شامل لمكان الحدث ومكوناته ، و يختزن معلومـات كثيـرة عن تاريخه"[٦]. وتكون وظيفة الراوي في السرد الموضوعي "الإبلاغ أو الإخبـار، أو لا يكون في هذا النمط إحدى الشخصيات المشاركة في صنع الأحداث"[٧].

ويبدو أن طبيعة القصص السيري انسجمت وأسلوب السرد الموضوعي لأن أحـداث هذه القصص واقعية تحتاج توثيق شامل للواقعة التاريخية ولملابساتها، كما لا تحتاج الـى الغموض في مسار الأحداث مثل ذلك الذي يكثر في القصص الأدبية المتخيلة.

---

(١): نظرية المنهج الشكلي، م. س : ١٨٩.

(٢): ينظر : الصوت الاخر– الجوهر الحواري للخطاب الأدبيّ، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد –العراق، ط١/ ١٩٩٢ :١٨٢.

(٣): ينظر : النقد التطبيقي التحليلي ، مقدمة لدراسة الأدب وعناصره في ضوء المناهج النقدية الحديثة د . عدنان خالد عبد الله،دار الشؤون الثقافية - بغداد،ط١٩٨٦/١ : ٨٧.

(٤): ينظر : بنية النص السردي : ٤٧.

(٥):المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، د.عبد الله ابراهيم ،المركز الثقافي العربي، ط١/، ١٩٩٠ :١٢٠

(٦) :السرد عند الجاحظ ،م.س:١٥٦

(٧):السرد في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، جابر حسن هرم،رسالة ماجستير، جامعة الموصل - كلية التربية /٢٠٠٥:٢٦

المكونات السردية الأساسية لقصص السيرة

تشكل الحادثة والشخصيات والفضاء الزماني والمكاني، مؤسسات البنية القصصية لأخبار سيرة ابن هشام، و امتلاك أخبار سيرة ابن هشام على المكونات الحكائية ، يأخذ بهذه الأخبار، من كونها أخباراً ، وظيفتها الإبلاغ والإفادة ، الى كونها أخباراً تمتلك من الوظائف الجمالية الشيء الكثير،وبناءً على ذلك يمكن أن نعطي المسوغ لابن هشام في تجنيسه لها بأنها: "قصص". وهذه المكونات تمثل حجر الأساس في التشكيل القصصي، وتمثل أيضاً مؤسسات الخبر السيري ، ومرتكزاته الحكائية،التي يمكنه ، بواسطتها أن يحقق وظائفه. وتمثل قصص سيرة ابن هشام قصصاً تاريخية " اذ تختلف القصص التاريخية عن القصص الخيالية بكونها تشير الى وقائع حقيقية ، لا الى وقائع متخيلة. لكن القصص التاريخية(الحقيقية) لم تكن لتختلف عن الوقائع التاريخية من حيث ملامحها الشكلية "[١]. الأمر الذي دعا البحث الى دراسة الملامح الشكلية في البناء السردي لقصص سيرة ابن هشام ومكوناتها، بوصفها قصصاً لاتختلف عن القصص المتخيلة وهذه المكونات هي:

- **الحادثة:**Incident

الحادثة عنصر مهم؛ فهي "العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية..الزمان، المكـــان، الشخصيات"[٢]. فالقاص ينقل لنا من ضمن أحداث الحياة وضجيجها حدثاً معيناً ، ويتمثـــل إبداع القاص في طريقة نقل هذه الحادثة الى القارئ، لتبدو مقنعة ولافتة للنظر. فالحادثـــة في العمل القصصي مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة، ومنظمة علـــى نحـــو خـــاص يسمى "الحبكة"، التي هي "تسلسل الحوادث الذي يؤدي إلى نتيجة في القصة.ويكون ذلـــك أما مترتباً على الصراع الوجداني بين الشخصيات، أو تأثير الأحـــداث الخارجيـــة علـــى

---

[١] : الوجود والزمان والسرد،(ميتافيزيقيا السردية،الزمان والرمز في فلسفة التاريخ عند ريكور)، هايدن وايت، م. س :١٨٦

[٢] : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ١٩٩٧ : ٢٧.

إرادتها"[١].وتختلف الحبكة من قصة إلى قصة أخرى، بحسب الحوادث في هذه القصة أو تلك، وتبدو أهمية الحُبكة في ارتباط حوادث القصة، وشخصياتها ارتباطاً منطقياً يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محدودة[٢].

والحبكة القصصية تبدأ "بالعرض" ثم الأزمة "العقدة" ثم "الحل" أو الخاتمة، ففي العرض يقدم القاص المعلومات الأساسية، عن الفضاء وعن الحدث وعن الشخصيات، أما في العقدة فيصور القاص المديات القصوى للحبكة حيث تصل الأحداث وما ترافقها من انفعالات الى الذروة . أما الخاتمة فتسجل نتائج الصراع أوالحدث ، بحيث تصل الأمور الى غاياتها. ويمكن للقاص أن ينظم الحبكة باللجوء الى عدة أساليب فنية أخرى مثل: "الزمن التاريخي" وفيه تنتظم الحبكة من نقطة زمنية ثابتة وتنتهي في نقطة زمنية معينة أخرى، أو "الزمن النفسي" المرتبط بتيار الوعي..أو "الارتجاع الفني" وهو الأسلوب السينمائي..أو أسلوب التنبؤ القصصي،حيث يلجأ القاص الى اضفاء جو معين على حدث لتهيئة القارىء للأحداث القادمة[٣]. والحبكة ، تأسيساً على ذلك هي الخيط الذي يشدُّ الحادثة ، ويمنحها وجوداً مؤثراً ، كما أن الحبكة في الحادثة القصصية تجعل فارقاً بينها وبقية الحوادث اليومية الواقعية التي تكثر فيها التفاصيل الزائدة الرتيبة ، إذ أن الحبكة القصصية تكثف الحدث وتهذبه لكي توتره وتعمل على تماسكه ، في الخبر السيري نجد أن الراوي قد تخلص من حوادث جزئية هامشية تؤثر على الخبر ودقته ، كما حافظ على تتابع الحدث وارتباطه بشخصياته ارتباطاً منطقياً .

- **الشخصية:** character

تكتسب الشخصية أهميتها، بوصفها عنصراً أساسياً من عناصر العمل القصصي، فهي المحور الذي تدور حوله القصة كلها[٤]. حيث تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الافعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي[٥]، فهي "مدار المعاني الإنسانية

---

[١] : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، بيروت – لبنان، ١٩٧٩ : ٨١.

[٢] : ينظر : الأدب وفنونه، دراسة ونقد، د.عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ودار الثقافة العربية للطباعة، ط٤، ١٩٦٨ : ١٨٥.

[٣] : ينظر : النقد التطبيقي التحليلي،م. س:٧٩،٨٠

[٤] : ينظر : فن كتابة القصة، حسين القباني، مكتبة المحتسب، ط٢، عمان، ١٩٧٤ : ٦٨

[٥] : ينظر : قال الراوي،م . س : ٨٧.

ومحور الافكار والأراء العامة، ولهذه المعاني والافكار المكانة الأولى في القصة"[١]. فهي بالنسبة الى القصة مكونات تربط عناصر القص فيما بينها[٢].وعبر حوار الشخصية يمكن أن نكشف انتماءها الثقافي والاجتماعي وظرفها النفسي، فليست مهمة الحوار أن يروي ما حدث للأشخاص، ولكن مهمته أن يجعلهم يعيشون حوادثهم أمامنا مباشرة دون وسيط، وأن يوضح لنا الشخصيات، فعن طريقه نعرف طبائعها وكوامنها[٣]. كما أن هذه الحوادث هي حركة الشخصية من خلال بنية مكانية وسقف زماني ما[٤].

تمتاز القصص السيري بأنها قصص تاريخية، ترفد أخبارها شخصية مركزية هي شخصية النبي"ص" ، وفي الوقت ذاته فإن لكل قصة شخصية تمثل محوراً للأحداث ، لا سيما وأن القصص السيري هي "قصة حدث" الغاية منها "التوثيق" عبرالواقعة التاريخية ، و "التأثير" عبر الصياغة السردية للواقعة ، والقصة السيرية لا تفيض على مساحات أخرى مثل تلك التي تفيض عليها القصص الأدبية لكن تبقى الشخصية فيها العنصر الحيوي التي يمكن معرفة مرجعياتها الثقافية والاجتماعية والنفسية ، وما تنطوي عليه من أفكار.

- الفضاء السردي

<u>الفضاءالزماني:</u>

يمنح الزمن الأحداث وجوداً عبر تحقيقه التعاقب الذي يشدُّ نسيج الأحداث ، ويكسب العلاقات بين الشخصيات تسلسلاً منطقياً.

والزمن في الأدب ينشطر على نوعين: **الزمن النفسي** أو الزمن الداخلي،و**الزمن الطبيعي** التاريخي وهو زمن خارجي. فالزمن النفسي هو البعد الأهم في الأدب فهو يمثل لحمة النص، ولأن الناس يعيشون داخل زمنهم الخاص المنفصل عن الزمن الخارجي،

---

(١) : النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال،م.س: ٥٦٣

(٢) : ينظر:القراءة والتجربة(حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب)، سعيد يقطين، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٥. : ٦٩

(٣) :ينظر: الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية، عمر الطالب، ط١، دار العودة بيروت، ١٩٧١: ١٧٣.

(٤) : ينظر :فن كتابة الرواية، ديان دوات فاير، تر: عبد الستار جواد، مراجعة : عبد الوهاب الوكيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨. : ٣٥ ـ ٣٨

فبذلك فقدت التواريخ، في النص الأدبي، معناها المعياري الحقيقي[١]. والزمن الباطني هو زمن الذاكرة والرؤى والاحلام والتداعيات التي تحصل للشخصيات داخل الأحداث.

أما الزمن الطبيعي فيمثل الخطوط العريضة التي تُبنى فيها الأحداث المروية، فهو يجعل "من الزمن شيئاً مادياً آلياً، هو زمن المعدود بالدقائق والساعات"[٢]. كما يحقق وظائف عديدة، فهو يرتبط بالتاريخ، ويمثل ذاكرة البشرية ويختزن خبراتها عندما يتجسد في استخدام الوقائع التاريخية التي تقع في الفترة الزمنية التي اختارها المؤلف إطاراً لأحداثه[٣]، هذا الزمن هو الذي يشير الى الوقت الذي تقع فيه الأحداث أو المدة التي يتم فيها وقوعها.

و أول من أدخل الزمن في نظرية الأدب، وجعله عنصراً مستقلاً، هي المدرسة الشكلانية. فقد قسّمت العمل الأدبي على(المتن الحكائي والمبنى الحكائي)[٤]. فالمتن الحكائي هو"مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل،..حسب النظام الطبيعي، بمعنى النظام الوقتي والسببي للأحداث وباستقلال عن الطريقة التي نظمت تلك الاحداث"[٥]، أما المبنى الحكائي فإنه "يتألف من نفس الأحداث، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا"[٦]. فالمتن الحكائي هو"زمن القصة"، عند جيرار جينيت الذي يختلف عن "زمن السرد"[٧] . أما المبنى الحكائي فهو مستوى "زمن الأحداث" أو زمن السرد.

نستنتج من ذلك أن لبناء الزمن في القصة السيرية علاقة في بناء الحدث ، حيث يتم الحدث عبر التحكم بإيقاع الزمن في أحداث القصة السيرية ، لا سيما في قصص الأخبار النبوئية ، التي توظف الاستباق أو الزمن النفسي ، و توظف بعض القصص الزمن الخارجي وبالتحديد التي توثق الأحداث التاريخية وهنا يكون للزمن في القص

---

(١) : ينظر:بناء الرواية، م. س : ٤٥

(٢) : الثابت والمتحول في الاتباع والابداع عند العرب، أدونيس، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٩٧٩: ٢٣٥/١.

(٣): ينظر: بناء الرواية،م.س:٤٦-٤٨.

(٤): ينظر: نظرية المنهج الشكلي،م. س : ١٧٩.

(٥): م . ن :١٨٠.

(٦):م . ن : الصفحة نفسسها.

(٧) : ينظر:بنية النص السردي.م.س:٧٣

السيري مفهومان: الأول زمن وثائقي حيث تتم الإشارة الى تاريخ الحدث و الثاني زمـن سردي زمن الرواة /زمن الذاكرة أو زمن الرؤيا.

الفضاء المكاني:(Space)

هوالعنصر القصصي الذي لا غنى عنه، حيث ترتبط الشخصيات والأحـداث بـه " فالمكان لا يتشكل الا باختراق الشخصيات له. ومن خلال الأحداث التي تقـوم بهـا هـذه الشخصيات تتشكل الأمكنة ، فيما يلخص "جون بلان" علاقة المكان بالحدث حين يقـول: حيث لا توجد أحداث لا توجد أمكنة"[١].

وللفضاء المكاني أبعاد أخرى فضلاً عن الأبعاد الفنية منها: "الاجتماعية والتاريخية والعقائدية التي ترتبط بالمكان ولا تفارقه، حتى انه يتم استرجاع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه أو ما يرتبط به"[٢]. وينقسم المكان الى مكان واقعي ومكان تخييلي، فالمكان الواقعي، يعد مكاناً مهماً، لأنه يؤطر القصة، وينقل الواقع بطريقة فنية تصور للمتلقي المكان الذي تنتجه القصة، فهو مكان يحيل على المرجعي بكل لوازمه، ويمنح الإحساس بصدق المكان، أو صدق واقعيته[٣]. ويرسم المكان الواقعي أماكن تاريخية جغرافية مثل المدن والأنهار وغيرها.

أما المكان التخييلي ، فهو مكان يؤثثه السارد إطاراً للأحداث ، فهو ليس مكاناً حقيقياً، بل مكان لفظي متخيل صنعته اللغة انصياعاً لأغراض التخيّل القصصي و حاجاته[٤]. فالنص القصصي "يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً. له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة"[٥]. وبناءً على ذلك فإن الفضاء المكاني للقصص السيرية يمثل المكان الواقعي الذي حصل فيه الحدث . فمثلاً في "قصة سد مارب" ، أو "قصة تملك النجاشي

---

(١) : نقلاً عن : أطروحة ثلاثية يوسف القعيد، م. س : ١٨١

(٢): الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ابراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة(آفاق عربية)، ط١- بغداد، ٢٠٠١ .: ١٧٣.

(٣): ينظر: السرد عند الجاحظ،البخلاء أنموذجاً، فادية مروان أحمد،رسالة دكتوراه، جامعة الموصل - الآداب /٢٠٠٤ :٧٧

(٤):ينظر:النقد البنيوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، محمد سويرتي، افريقيا الشرق، ط٢، ١٩٩٤ : ٨٣/٢.

(٥):بناء الرواية : ١٠٠.

على الحبشة"(ص:١٣٤) ، أو "قصة ملك الحضر"(ص:٣٣") نجد أن "مارب" و"الحبشة" و" الحضر" أماكن واقعية جغرافية . كما يتضمن الفضاء المكاني للقصص السيري أماكن خيالية حُلمية وعجائبية مثل تلك الأماكن االتي تتضمنها القصص النبوئية التي تمتلك رصيداً من الأبعاد العقائدية . كما نجد ذلك في "قصة المعراج" وغيرها من القصص النبوئية الأخرى .

وبالرجوع الى أخبار السيرة، التي جنسها ابن هشام بالقصص ، يمكن العثور على هذه المكونات السردية، التي بموجبها يمكن إضفاء الطابع القصصي عليها ، إبتداءً من أسلوب السرد الموضوعي، حين يكون الكاتب مطلعاً على الأفكار السرية للأبطال ، وانتهاءً بأسلوب الحبكة الذي استعمله السارد ، وهو أسلوب "الزمن التاريخي" في أغلب القصص، ماعدا بعض أخبار القصص النبوئية ، وهذا الأسلوب يُعدُّ بدائياً، انسجاماً و طبيعة أخبار السيرة التي تجمع بين الأدب والتاريخ.

في "قصة الشاة المسمومة"، يوظف الراوي أسلوب السرد الموضوعي حين يطلع على أسرار الشخصية ، يُتلمس ذلك من الجملتين الآتيتين: " فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة "[١] ، الأمر الذي يؤكد معرفة الراوي بخفايا الأحداث وتقديمها بإسلوب "كلي العلم" ، حين يكون وضع السم مستوراً وغير معلن.

أما أسلوب الحبكة فيتم عبر الزمن التاريخي، فتنتظم الحبكة في قصة الشاة المسمومة بعرض الحدث الذي يبتدىء من نقطة زمنية ثابتة :" فلما اطمأنّ رسول الله(ص) أهدت له زينب بنت الحارث،امرأة سلام بن مِشْكم شاةً مَصْلية"[٢]وتستمر القصة وترتبط الأحداث السابقة واللاحقة للرواية بمنطق السبب والمسبب، بحيث يؤدي كل حدث الى حدث آخر وصولاً الى العقدة وهي: أكل النبي(ص) الطعام المسموم ومعه صاحبه "بشر بن البراء". ثم تبدأ هذه العقدة بالحل حين يُنبأ النبي(ص) بالسم : "إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم"[٣]، و بعد ذلك تعترف هذه المرأة بوضع السم ويموت "بشر بن البراء" الذي لم

---

[١] ،[٢]، [٣]: سيرة ابن هشام،م .س :٤٤١

ينتبه الى تحذير النبي"ص" من وضع السم..وتبدو شخصية النبي "ص" هي محور الحدث التي تتمركز حولها القصة .و يتشابك الحدث مع الفضاء الزماني والمكاني، فـ"خيبر" هي المكان الواقعي بوصفه إطاراً للحدث:" فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادي القرى"[١] ، وهذا المكان يمتلك بعداً اجتماعياً وعقائدياً يهودياً ، في زمن تاريخي محدد ، كما يُلمس الزمن النفسي للشخصيات وهي تعيش داخل الحدث.

أما في أخبار القصص النبوئية فإن الحبكة تنتظم على وفق التنبؤ القصصي والاستباق الزمني ، حيث تعمل الرؤيا على ترتيب الأحداث وعرضها قبل وقوعها، كما نجد ذلك في "أمر ربيعه بن نصر ملك اليمن وقصة شق وسطيح الكاهنين معه"(ص:١١) وغيرها من قصص الرؤيا. كما نلاحظ رسم الشخصية في الأخبار السيرية/القصص ، فإن هذه "القصص" نراها تتقصى أثر الشخصية وتتتبعها، وهي تقوم بالحدث ، وبالنتيجة فإن ارتباطها بالشخصية يفوق عنايتها بالحدث ، كما نجد ذلك في قصص "سد مارب" و"قصة ملك الحضر" و "قصة بحيرى"(ص:٧٣) و "قصة تملك النجاشي على الحبشة و "قصة عثمان بن مضعون" (ص:١٤٦) و"قصة أبي سلمة" (ص:١٤٧) و"قصة إسلام الطفيل"(ص:١٥١)..الخ . و يتناوب أسلوب السرد فيها بين الموضوعي و الذاتي . كما أن القصة السيرية تقدم الشخصية بطريقة معينة ، إذا عرفنا أن تقديم الشخصية هو " مجموعة من الطرائق الفنية"[٢] ، يوظفها السارد من أجل إضاءة شخصياته واظهار موقفه الآيديولوجي منها . نجد ذلك بوضوح في "قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر(ص:٥٣٨) ، حيث قدمت القصة شخصيتي "عامر و أربد" بطريقة آيديولوجية ، منذ الإرسال الأول :" وكان هؤلاء..رؤساء القوم وشياطينهم .فقدم عامر بن الطفيل عدو الله"[٣] . فالسارد ياخذ موقفاً عقائدياً منهم منذ البداية ، حتى أنه يؤول موتهم بأنه انتقام من الله تعالى :" حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله "[٤] ، أما في "أربد" فيقول :" فأرسل اللهُ تعالى عليه وعلى

---

[١] : سيرة ابن هشام :٤٤٢
[٢] : تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية ، دراسة فنية ،أثير عادل شواي ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، سلسلة أكاديميون جدد ، ط١/٢٠٠٩: ٢٧٢
[٣] : سيرة ابن هشام : ٥٣٨
[٤] : م. ن : ٥٣٩

جَمله صاعقة فأحرقتهما"[٥] . وتقديم الشخصية بهذه الصورة الانفعالية من قبل السارد هو نوع من العلاقة بين السارد والمسرود أو ما يسمى **بالنسق الانفعالي** "حين يكون السارد خارج مجال الحدث لكنه يحرص على إظهار موقفه من قيمة ما يتحدث عنه ، بتدخله في السياق وإبراز ما يراه فيما يصفه أو يسرد فعله على أساس انفعالي"[١] .وهذا النسق يدخل في وظائف الراوي في متن سيرة ابن هشام .

وهذه القصص تتمركز حول الشخصيات ، "فلا يمكن للأثر أن يكون مجرداً عن صاحبه. ولذلك فالقصة ترتبط بالشخصية أكثر من ارتباطها بالحدث ، وهذا ما يفسر تواتر هذا اللفظ في القرآن، لأن من خلاله نتبع آثار الأولين من أنبياء وصالحين وكفار، بغية إعطاء العبرة بهم، فليس الهدف هو الحدث ، وانما العبرة بمن وقع عليه الحدث"[٢]، سيما وإن هذه القصص داخلة ضمن فضاء السيرة وإطارها ، و السيرة كما هو معروف ، تُعنى بحياة الشخصيات وتتبع مراحلها المختلفة.

وتأسيساً على ذلك ، يمكن أن نعد محاولة مدوني السيرة النبوية : ابن اسحاق ، ومن بعده ابن هشام ، محاولة مبكرة في تجنيس الأخبار، وإن كانت مرتبكة بعض الشيء، فهناك من الأخبار في سيرة ابن هشام بدا تجنيسها مشوشاً كما في "خبر الإفك"(ص:٤٢٢)، ليعود ابن هشام ، بعد ذلك الى تجنيسه بـ"قصة الإفك"(ص:٤٢٥) ، وكأنما استشعر بخصائصه السردية الحكائية ليمنحه جنسه الأخير، حيث إن هذا الخبر/القصة ، يمتلك تقنيات سردية ناضجة ، ابتداءً من الراوي "المتماهي بمرويه" وهو السيدة عائشة زوج النبي(ص) التي تروي الحدث:

"عن عائشة..قالت:..فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرُجع اليَّ. قالت فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل..."[٣]، أما الفضاء الزماني فهو السنة السادسة للهجرة، وهو زمن طبيعي مرتبط بالتاريخ، يمثل المبنى الحكائي الذي يمثل مستوى "زمن الأحداث" وعندما تقوم السيدة عائشة بسرد قصة

---

[٥] : م . ن : الصفحة نفسها
[١] : أنساق التداول التعبيري ، م. س :٢١٧
[٢] :الخبر في السرد العربي،م.س:١٠٠
[٣]: :سيرة ابن هشام :٤٢٣

الإفك يُسجل زمن نفسي هو زمن السيدة عائشة "إِلّا أَنّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – بَعْضَ لُطْفِهِ بِي، كُنْت إذَا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي، وَلَطَفَ بِي، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ فَأَنْكَرْت ذَلِكَ مِنْهُ"(١)، وهذا الزمن هو زمن التداعيات وزمن الذاكرة ، أو ما يسميه الشكلانيون "المبنى الحكائي" و يسميه جينيت "زمن السرد"، كما أوضحنا سابقاً، وهذا الزمن يتوقف أحياناً في المشاهد الوصفية أو الحوارية: "قَالَ مَا خَلّفَك يَرْحَمُك اللّهُ ؟ قَالَتْ فَمَا كَلّمَتْهُ ثُمّ قَرّبَ الْبَعِيرَ فَقَالَ ارْكَبِي، وَاسْتَأْخَرَ عَنّي"(٢).

. أما الفضاء المكاني فهو فضاء متنوع يبدأ من خروج النبي "ص" من المدينة، والمرور بديار بني المصطلق ثم الرجوع الى المدينة، "قَالَتْ فَلَمّا فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ وَجّهَ قَافِلًا، حَتّى إذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ"(٣). وهذه الفضاءات التي ترد في القصة هي فضاءات مكانية جغرافية لها أبعاد مرتبطة بالحدث : "اتهام السيدة عائشة"، وملاحظة التمركز حول شخصيتها من غير ذكر سبب الرحلة وهي "غزوة بني المصطلق"، فلا يسجل الخبر أية معلومة عن هذه الغزوة ، كون السرد موجه الى قصة الإفك دون غيره. ثم يستمر الحكي الى نزول القرآن وتبرئة السيدة عائشة ، ومن خلال هذا الحكي نكتشف الحبكة التي تشد المتلقي وصولاً الى الخاتمة، وانحلال الأزمة ، مما يؤكد الطابع القصصي لهذا الخبر السيري ، وامتلاكه كل وسائل السرد القصصي في بناء المكونات الحكائية الأساسية له.

تقنيات السرد في قصص السيرة النبوية

لكي يوازن الخبر السيري، بين "تاريخيته"من جهة ، و"أدبيته" من جهة أخرى ،عمد الى تقنيات سردية في تدوينه القصص في متن السيرة النبوية ، مما منحها خصائص بنائية ، عدّها السارد أخبارَ قصصٍ ، ومن هذه التقنيات:

(١)، (٢)، (٣) :سيرة ابن هشام :٤٢٣

١ – أنساق البناء القصصي:

النسق(Systeme) يمثل طريقة انتظام الحدث وكيفية بنائه وتطويره، بناءً على تناوب إيقاع الزمن وتذبذبه في سرد الحدث ، "فالسارد غالباً ما يعمد إلى تنظيم الأحداث وترتيبها ليس حسب تسلسها الطبيعي في القصة، بل اعتماداً على تصور جمالي أو فكري يجعله يتصرف في تنظيم الأحداث وترتيبها في نطاق نصه القصصي.. وعليه فان تكسير زمنية القصة يعد لعبة فنية يتعمدها السارد ليخلق فضاءً خاصاً بمسروده، وليسهم في تحقيق الغايات الجمالية كالإثارة و التشويق، والتماسك والإيهام بالحقيقي"[١].

ويعمل النسق أيضاً على " بلورة منطق التفكير الأدبي في النص ، كما يحدد الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرؤية "[٢]. وقد حدد "تودوروف" الأنساق بثلاثة أنماط سماها: نسق المتتابع ونسق التناوب و نسق التضمين[٣]*.

– النسق المتتابع:

يُعرَّف النسق المتتابع بأنه "توالي الأحداث في النص تواليا زمنياً، حسب ترتيبها في الوقوع، دون أي خرق زمني، ويقتصر دور السارد هنا على النقل،الذي يوحي للقارىء بأن عمله يقف على المشاهدة والتوثيق المضبوط"[٤]، وهذا النسق أقدم الأنساق وأكثرها بدائية، كما يمكن عدُّ " القصص التي يقسم الحدث فيها الى مراحل وأقسام حسب نموه وما يطرأ عليه من تغيرات واضحة أنموذجاً متطوراً لنسق التتابع "[٥]، وقد تم توظيفه في قصص السيرة النبوية، و"ربما يعود ذلك، فيما يعود ، الى تأثير فن الخبر التاريخي في الفن القصصي ، فمن أخص خواص الخبر تأكيده على نقل الواقعة الإخبارية ، نقلاً متتابعاً ، دون إجراء أية انحرافات تخلخل بنية متنها ، وربما تعد السيّر العربية الكبرى ، مثالاً

---

(١) : أطروحة السرد عند الجاحظ ،البخلاء أنموذجاً،م. س:٨٣

(٢) : معجم المصطلحات، د.سعيد علوش،م. س :٢١١

(٣) : ينظر: الشعرية، تودوروف،م. س : ٧٠

* : توجد أنساق أخرى غير تلك التي حددها تودوروف ،يمكن دراستها في النصوص مثل: النسق الدائري والإيقاعي والإنشادي وغيرها .

(٤) :التحولات السردية في النثر العربي القديم،مقامات بديع الزمان الهمذاني أنموذجاً، عقيل عبد الحسين خلف،أطروحة دكتوراه،جامعة البصرة -الآداب /٢٠٠١:١٦

(٥) : البناء الفني في الرواية العربية في العراق،د. شجاع العاني،دار الشؤون الثقافية ،بغداد،١٩٩٣ : ١٣

متقدماً لنظام التتابع في الأدب العربي القديم"[٦]. و النقل المتتابع للأحداث في الزمان هو البناء الخاص لحدث القصة الذي يبدأ من نقطة محددة ، ويتتابع وصولاً الى نهاية معينة، دون ارتداد أو عودة الى الماضي[٧].

أخبار ابن هشام التي منحها هوية إجناسية قصصية، كان مسوغ ذلك ، على ما يبدو، تلك الخصائص السردية التي امتلكتها، والتي أعطتها صفة القصة، حيث أن "ما يعنينا في القصة هو ترتيب الأحداث..،وقبل كل شيء حين نرى في العمل قصة، فنحن ننظر إليه على أنه ذو توالي زماني يعتمد على منطق السبب والنتيجة"[١]، وهذا المنطق هو الذي ينتظم عبر النسق المتتابع، أي إن "المتن فيه يترتب في الزمان، على نحو متوالٍ، بحيث تتعاقب مكونات المادة السردية جزءاً بعد آخر،دونما ارتداد أو التواء في الزمان. ولهذا عد هذا النسق في الخطابات السردية من أبسط أشكال النثر الحكائي التخيلي "[٢].

وهذا التتابع السردي منسجم مع قصص السيرة النبوية، التي تعتني بشخصية واحدة وحدث واحد لأن " تتابعاً صارماً لا يمكن إيجاده إلا في القصص ذات الخط المفرد أو حتى ذات الشخصية المفردة "[٣].

في "قصة ملك الحضر"(ص:٣٣) ، نلاحظ أنها تختزن في داخل نسيجها حادثة متنامية رتبت بطريقة النسق المتتابع المنجز: "وفي الإنجاز تكتمل الجملة الأساسية دون تعطيل"[٤]، أي أن الحدث رُتب على أجزاء متوالية،وكل جملة، تحيل على الجملة التي بعدها :"وكان كسرى سابور ذو الاكتاف غزا ساطرون ملك الحضر،فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطرون يوماً، فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً فدست عليه"[٥]، نلاحظ هنا أن الجمل ترتبت في الزمان بصورة متعاقبة، كما نجد ذلك في : "فحصره–فأشرفت– فنظرت–

---

[٦]: المتخيل السردي،م. س : ١٠٨

[٧] : ينظر : البناء الفني لرواية الحرب في العراق، م. س: ٢٨

[١] :السيمياء والتأويل،روبرت شولز،ترجمة سعيد الغانمي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١/١٩٩٤: ١١٠،١١١

[٢] : المتخيل السردي،م. س:١٠٨

[٣] : التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة، شلوميت ريمون كنعان، تر:لحسن أحمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١/ ١٩٩٥ :٣٢

[٤] : أطروحة التحولات السردية في النثر العربي القديم، م.س:١٩

[٥] :سيرة ابن هشام :٣٣

فدست"،بحيث تتابع الأحداث جزءاً بعد جزء، دون تأجيل أو تعليق، سوى بعض المشـــاهد الوصفية والحوارية، التي علقت تدفق السرد.

– النسق المتناوب:

وهو تناوب في سرد أحداث مختلفة في المكان أو الزمان، في قصة واحدة. أو سرد أحداث مختلفة في قصتين مختلفتين، ويعدُّ من أرقى أنواع السرد و أكثرها جمالاً[١]. ولا يراعي هذا النسق التتابع الزمني المتسلسل، فتكون الأحداث متداخلة ومتقاطعة[٢]. والتناوب يختلف عن "نسق التوازي" لأن الأخير يعني سرد قصتين تدور أحداثهما في زمن واحد[٣] ، وهو غير موجود في أخبار السيرة النبوية ، بينما لا يشترط في النسق المتناوب أن تكون القصتان حدثتا في وقت واحد.

في سيرة ابن هشام نجد أن النسق المتناوب قد تحقق عبر إيراد خبر بعد إيقاف سرد القصة المعنية ، أي أن هناك **تنازع على السرد بين القصة والخبر** الذي تم سرده ، كما في "ذكر الإسراء و المعراج"(ص:١٥٧)، حيث تم ذكر خبر وصف النبي"ص" للأنبياء ، و خبر وصف الإمام علي"ع" للنبي ، بعد إيقاف سرد حدث الإسراء والمعراج ، ثم استئناف سرده من جديد بعد الانتهاء من سرد خبر الوصف . وهي نفس الآلية السردية التي تعرض لها البحث سابقا وسماها بآلية "الحديث يجر بعضه بعضاً". كما نجد ذلك أيضاً في "قصة عمرو بن لحيّ وذكر أصنام العرب" (ص:٣٥)، حيث نجد أن السرد يتنازع بين قصة عمرو وذكر الأصنام ، فيترك الراوي القصة وينشغل بإعطاء تقرير مفصل عن الأصنام ومن أول من بدأها ، لكن دون الرجوع الى القصة الأولى المعنية.

أما النسق الثالث فهو **نسق التضمين** الذي يعني تضمين قصة داخل قصة، فقد وظف هذا النسق في قصص سيرة ابن هشام، لا سيما في قصة الإسراء والمعراج وتضمينها حكايات من عالم الجنة والنار، وقد تناولها البحث سابقاً بالتفصيل.

---

[١] : ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق، م . س :٣٥،٣٧

[٢] : ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، م. س :٣٨

[٣] : لمزيد من الإطلاع، ينظر : أطروحة ثلاثية يوسف القعيد ،م . س :٧٨

٢- الوصف : Description

الوصف من وسائل البناء السردي، وغايته أن يعكس الصورة الخارجية لحال الموصوف وهيئته، فيحولها من صورتها المادية القابعة في العالم الخارجي الى صورة أدبية قوامها نسج اللغة، وجمالها تشكيل الأسلوب[١]. ويقوم الوصف على آليتين هما:(الاستقصاء، والانتقاء)[٢]، أي وصف كل شيء، أوانتخاب مشاهد معينة ، تخدم المعنى المراد. كما أن الموصوف دائماً يكون "موسوماً بعلامة ايجابية او سلبية"[٣]. كما يقوم القاص عبر الوصف "بقطع انسياب الحدث أوالسرد ليقدم لنا حكماً اخلاقياً حول شخصية ما أو أفعالها"[٤]

والسرد والوصف كلاهما" عمليتان متماثلتان ، بمعنى أنهما يظهران بوساطة مقطع من الكلمات،(التتابع الزمني للخطاب)، لكن موضوعهما يختلف"[٥] ، حيث أن السرد يطلق القصة في الزمان ، والوصف يوقفها في المكان ، كما أن السرد يهتم بإبراز الأحداث ، بينما الوصف، يبرز الكشف عن الأشياء ومكوناتها، ولهذا فإن الافعال التي تدل على الحركة تكثر في السرد ، أما الوصف فتكثر فيه الأفعال التي تدل على الحالة الساكنة[٦].

ويقوم السارد بوصف الشخصيات و وصف المكان وصف الاشياء التي تقع ضمن الفضاء السردي ، ليؤثث المشاهد ويكسبها الحيوية . نجد ذلك في العبارات الوصفية في "قصة ملك الحضر" يقول القاص/الراوي :"ذو الاكتاف...وعليه ثياب ديباج..وعلى رأسه تاج مكلل بالزبرجد والياقوت...الخ" تمارس وظيفة إضاءة حركة السرد ، داخل المشهد الحكائي، ففي هذ الوصف الخارجي ، كشف لنا الراوي الخبايا الداخلية لهذه الشخصية، فالشكل يوحي بالمضمون ، وقد يعرض الراوي البعد الفكري لشخصيته عن طريق هذا

---

(١) :ينظر: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د.عبد الملك مرتاض،سلسلة عالم المعرفة ٢٤٠،الكويت،١٩٩٨ :٢٨٥

(٢): فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في ادب نبيل سليمان، محمد عزام،، دار الحوار، ط١، سورية –اللاذقية، ١٩٩٦: ١١٦.

(٣) : الادب والغرابة، ٦٩

(٤) : النقد التطبيقي التحليلي،م. س : ٦٩

(٥): عالم الرواية، رولان بورنوف، وريال أوئيليه،ترجمة: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ط١/١٩٩١:٩٨

(٦) :ينظر: أطروحة السرد عند الجاحظ ،البخلاء أنموذجاً، م.س : ١٧٨

الوصف، ولو كان السرد متدفقاً دون وصف لما انكشفت مشاهد السرد ، ولما أخذ الحدث دلالاته التي يريد السرد الوصول اليها . و يغلب الوصف المباشر على قصص السيرة النبوية ، وللوصف علاقة بأسلوب السرد "فاذا كان الاسلوب الذي يعتمده هو السرد الموضوعي شكّل الوصف فيه وسيلة بنائية يوظفها السارد العليم لتحديد خصال الشخصية وطباعها والإطار الزماني والمكاني للحدث"[١].

نجد ذلك بوضوح في "قصة بحيرى" : "فَشَبّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاَللّهُ تَعَالَى يَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ أَقْذَارِ الْجَاهِلِيّةِ لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ حَتّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا، وَأَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جِوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الّتِي تُدَنّسُ الرّجَالَ تَنَزّهًا وَتَكَرّمًا، حَتّى مَا اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ إلّا الْأَمِينُ لِمَا جَمَعَ اللّهُ فِيهِ مِنْ الْأُمُورِ الصّالِحَةِ"[٢].

فوصف النبي "ص" بهذه الأسلوب يدل على اعتماد السارد أسلوب السرد الموضوعي ، إذ حقق السرد بناء النص ، وعلاقة ذلك بنبوءة بحيرى ، وبالنتيجة حدد خصال الشخصية المركزية الموصوفة ولكي يعضد حضورها ، ويمنحها بعداً وتأثيراً ، كما نلاحظ الاستقصاء وانتخاب الصفات الإيجابية للموصوف . كما نلاحظ أن السرد قد توقف ، لأن الوصف أوقف الحدث وانشغل ببنائه عبر الوصف.

٣- الحوار :Dialogue

يعني الحوار: الحديث بين شخصين أو أكثر، ويتناول شتى الموضوعات، ويستتبع تبادل الآراء والأفكار[٣] ، وهو نوع أدبي تتجادل فيه الشخصيات في موضوع ما[٤]. وقد حدّه بعض الباحثين ، بانه حديث يتسم بالهدوء عموماً، ويجري بين شخصين أو أكثر، يبدأ في الغالب بواحدة من صيغ الطلب المعروفة كالسؤال والامر أو الرجاء ، في إطار و

---

(١) : أطروحة السرد عند الجاحظ ،البخلاء أنموذجاً، م.س :١٧٩
(٢) : سيرة ابن هشام : ٧٥
(٣): ينظر : المصطلح في الادب الغربي، ناصر الحاني، دار الكتب العصرية - بيروت، ١٩٦٨: ٥٣
(٤) : ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، م . س : ٣٤٠.

مكان واحد ، وقد ينتهي بإطلاق حكم أو لا[٥]. وتكمن أهمية الحوار من "أن القصة في الأساس عملية سردية يتتبع فيها الأحداث والمواقف بطريقة سردية رتيبة لذا تلجأ إلى الحوار لاعطاء نوع من الحيوية والإثارة"[١]

والحوار يقسم على الحوار الخارجي، والحوار الداخلي "المونولوج". والحوار الخارجي يتسم بالبساطة و الابتعاد عن الشرح والتحليل ، ويعتمد السؤال و الجواب المباشر ، و"ينشأ بفعل الموقف ، الذي يضع المتحاورين في وضع معين داخل المشهد ، ليقترب في تكوينه الى حد كبير من المحادثة اليومية بين الناس فهو حديث إجرائي متأسس على رد فعل سريع أو إجابة سهلة، أو تبادل كلمات لا تحتمل التأويل المتعدد لأنها إجابات متوقعة عن أسئلة عادية ليست فيها رؤية خاصة"[٢]. يشكل الحوار "المميزات الأساسية للحضور، حيث أن الشخصيات تظهر وتتحرك بنفسها أمام القارىء ، و تتبادل الكلمات الحية"[٣].

وبالرجوع الى قصص السيرة النبوية، نلاحظ أن أغلب الحوارات يكون فيها الحوار ظاهرياً خارجياً بسيطاً ومجرداً[٤]، كما نجد ذلك في "قصة ملك الحضر"(ص:٣٣) ، حيث يحقق الحوار بين "كسرى" و"ابنة ساطرون"، بؤرة الحدث ، التي تولد الأحداث المتتابعة : "أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال نعم". ترتكز القصة على هذا الحوار، فبمجرد أن فتحت له الباب انفتحت الأحداث لتنتهي باستباحة الحضر، وقتل ملكها،. ثم يستمر الحوار الى أن ينتهي بقتل ابنة ساطرون بعد زواج كسرى منها، عقاباً لها جراء غدرها بأبيها : " فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ، ويلبسني الحرير ، ويطعمني المخ، ويسقيني الخمر؛ قال :أ فكان جزاء أبيك ماصنعت به ؟ ...ثم أمر بها ...حتى قتلها" فبناء الحدث يتم عبر هذا الحوار .

---

[٥] : ينظر: المحاورات في العصر الاموي(دراسة أدبية)، خليل ابراهيم عبد الوهاب، أطروحة دكتوراه، كلية الاداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٠ : ٨

[١] : القصص في الحديث النبوي. دراسة فنية وموضوعية، محمد بن حسن الزير، المطبعة السلفية ، ط١، القاهرة، ١٩٧٨ : ٢٥

[٢] : الحوار القصصي، تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩. : ٥٦.

[٣] :بناء الرواية، م . س :٣٣

[٤] :للتوسع في معرفة انواع الحوار ينظر: أطروحة السرد عند الجاحظ - البخلاء أنموذجاً،م.س:٢٠٨

وفي "قصة سد مارب"(ص:١٠)، نلمس حواراً خارجياً أيضاً: "فقال عمرو:لا أقيم ببلدٍ لطم وجهي فيه أصغر ولدي"، وهذا الحوار الخارجي،هو عهد عمرو مع نفسه، أمام الناس لكي يرحل من اليمن، ويعطي مسوغاً لقومه لهذا الرحيل المفاجيء، تخلصاً من انهيار سد مأرب،وهذا الحوار يمثل أيضاً مركز الثقل في السرد، حيث نجد أن تبعات كثيرة في الأحداث كان سببها هذا الحوار. فوظائف الحوار في كل القصص هو رسم المشهد ومخاطبة عقل المتلقي وإثارته ، كما أن طول الحوار ولغته منسجمة مع الموقف و مكانة الشخصية.

٤- الإثارة :Excitation

"تمثل الإثارة الإشارة المعلنة عن انفتاح السرد، وتكون بمثابة الأرضية الأولى التي تموقع المتلقي، وهو يتابع أحداث الخبر، إنها الموجه الأساسي لكل التحولات التي سيمر منها الخبر،وهي تتمثل في فعل ذاتي – قد يكون داخلياً– يستدعي رد فعل ضروري استجابة لهذه الإثارة"[١]

والإثارة استناداً الى معناها اللغوي،هي الجملة التي تحقق الإثارة في النص ، بحيث تكون هذه الإثارة البؤرة أو الملفوظ الذي يترتب عليه الحدث في السرد.

وتتنوع الإثارات في النص، "**فالإثارة الوجدانية**" هي التي تحرك العواطف الغريزية لشخصيات القصة ، أما "**الإثارة الحسية**"، فنقصد بها ذلك الفعل الذي ينتج عن الشخصية،بواسطة حاسة من حواسه الخمس، بحيث تحركه هذه الإثارة نحو الاستجابة. وأما "**الإثارة العقلية**"، فنقصد بها مالا يدخل، لا في مجال الحواس، ولا في المجال العاطفي الوجداني، فهي كل فعل يمكن أن يحيل على معنى ذهني، وهي تثير في المتلقي مجموعة من التساؤلات عن سبب حدوث هذا الفعل أو ما ينجم عنه[٢]. والإثارة بأنواعها توجد غالباً مرتبطة مع بعضها، بحيث تحيل كل منهما الى الأخرى.

---

[١] :الخبر في السرد العربي،م.س:١٥٧

[٢] :ينظر: م. ن :١٥٨،١٦٠

نتلمس الإثارة ، بوصفها وسيلة من وسائل السرد ، في قصص أخبار السيرة، كإشارة لفتح السرد وتوجيه بوصلته، ففي "قصة سد مارب" نلاحظ هذا النص:

"وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن...أنه رأى جرذاً يحفر في سد مارب"[٣] ، فالإثارة الحسية واضحة في النص، حيث أن رؤية عمرو الجرذ عبر حاسة البصر وهو يحفر السد، كانت إثارة حسية متميزة بعثت في نفسية الشخصية /عمرو إثارة وجدانية ، جعلته يتأثر ويفزع، ليطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة،تنتهي بقرار الرحيل من اليمن الى الشام،ورحيل القبائل معه الى الجزيرة العربية،وبالنتيجة فإن هذه الإثارة الحسية أدت الى انفتاح السرد في القصة على مجموعة من الأحداث.كذلك نجد الإثارة العقلية في "قصة سد مارب"من خلال النص الآتي:"فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم اليه فيلطمه"[١]، فهذا الفعل يثير في عقولنا مجموعة من الأسئلة ونحن نتلقاه، ولولا حوار الشخصية مع الناس وقولها:"لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي"[٢]، لبقي الأمر مبهماً ولبقيت الإثارة العقلية دون كشف.

أما في "قصة ملك الحضر"، فنقرأ النص الآتي:"فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً، فدست إليه..."[٣]،فإن هذا النص يمثل أيضاً إثارة حسية بصرية، فرؤية "بنت ساطرون" الى "سابور" وهو بهذه الهيئة كانت إثارة حسية أدت الى إثارة وجدانية، أغرتها لأن تدس إليه ليتزوجها، وتفتح له باب الحضر، وقد شكلت هذه الإثارة حافزاً على نمو الحكي وتطوره وكانت فاتحة لمسار السرد.

ه – المغزى : Theme

تعرف شلوميت كنعان "الثيمة" بأنها مفهوم محوري تنسج حوله مجموعة من الأحداث والعلاقات الشخصية داخل العمل الأدبي، ويرتبط هذا المفهوم مباشرة بالسؤال

---

[٣] : سيرة ابن هشام :١٠
[١]،[٢] : سيرة ابن هشام :١٠
[٣] : م . ن :٣٣
[٤]: نقلاً عن : الخبر في السرد العربي، م. س :٢٢٥
[٥] : م. ن : الصفحة نفسها

الإجرائي:(بصدد ماذا ؟)[٤]. و"الخطاب يحتـوي علـى تيمـة كبرى،تعتبـر المـؤطرة للخطاب،وضمن هذه التيمة الكبرى توجد مجموعة من التيمات الصغرى"[٥].

تقسم قصص السيرة على مرحلتين : مرحلة ما قبل عصر النبي، ومرحلة عصـر النبي. يكون مغزى القصص في **المرحلة الأولى هو الإعداد النصي لولادة النبي"ص"**، هو "الثيمة الكبرى" للسيرة النبوية، أما "الثيمة الصغرى" فهي قضية نسبية متعلقـة، بمجمـوع الأحداث التي تقدمها كل قصة، ومن ثم نكون إزاء موضوع النص وتحديد المغزى الـذي كتب من أجله، فمثلاً "قصة سد مارب" يكون مغزاها انتقال القبائل العربيـة مـن الـيمن، وتصديق "خبر السد" الذي ذكره القرآن الكريم . أما مغزى القصص في عصر النبي فهي تنطلق من تحديد دلالة الأخبار، فبعضها يؤدي الى هدف نبوئي مثل "قصة بحيرى"، وهي قبل بعثة النبي، وبعضها يهدف الى الإقناع، كون الأمـر خارقـاً للعـادة، مثـل "قصـة المعراج"، فإن قص هذه الحادثة بتفاصيلها الغيبية غير المألوفة تمنحها أفقاً للإقناع وتهبها حضوراً منطقياً، يمكن أن يسهم في تثبيتها في وجدان المسلم وعقله.

مما يؤكد على أن المغزى/الثيمة "تبقى مكوناً دلالياً ثابتاً يعمل علـى تنظـيم الـنص الواحد، أو مجموعة من النصوص وتوجيه أحداثها ودلالاتها العامة"[١]. وكل تلك القصص التي تنتمي الى عصر النبي تمتلك مغزىً أكبر هو مركزية السيرة النبوية في رسم الثقافة الإسلامية وتثبيت حضورها العقائدي عبر الأجيال، وهو هدف تدوين السيرة النبوية.

وبالنتيجة فإن **السيرة** عندما تكون **قصة** ؛ فإن السارد يوظف كـل التقنيـات السـردية لجعل قصص أخبارها تلبس ثوب القصص الأدبية المتخيلة ، وهو ما يدعو الى القول بأن القصص السيري تشترك في فضائين :التاريخي والأدبي ، مما يمنحهـا الشـرعية فـي تجنيس أخبارها بأنها "قصص" .

---

[١] : الخبر في السرد العربي، م. س : ٢٢٨

السيرة : حديث

يجنس ابن هشام "تسعة أخبار" من السيرة بأنها:"حديث" وهـي : "حـديث تـزويج رسول الله "ص" خديجـة "رض"(ص٧٦)، "حـديث بنيـان الكعبـة"(ص:٧٧)، "حـديث الحمس"(ص:٨٠)، "حديث إسلام سـلمان رضـي الله عنـه"(ص:٨٦)، "حـديث نقـض الصحيفة"(ص:١٤٨)، "حديث مخيريق"(ص:٢٠٨)،"حديث بئر معونة"(ص:٣٧٥)، "حديث ابي أيوب الأنصاري وزوجه"(ص:٤٢٥)، "حديث المرأة الغفارية"(ص:٤٤٣). ولأجل فك الاشتباك بين الخبر والحديث سنعمل على استقراء المعاجم القديمة والحديثة للوصول الـى معرفة دلالة "الحديث".

– معنى "الحديث"

يقول صاحب اللسان: إن معنى الحديث هو : "الخَبَرُ يأْتي على القليل والكثير والجمع أَحاديثُ واسْتَحْدَثْتُ خَبَراً أَي وَجَدْتُ خَبَراً جديداً"[١]،وكل كلام "يبلغ الانسـان مـن جهـة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه ، يقال له حديث" [٢]. وسمي حديثاً ، لتجدده وحدوثـه شيئا فشيئا. والحديث في الاصطلاح: هو التخاطب الذي يجري بين شخصين، او اكثـر. فيقال لكل كلام يدركه الشخص بوساطة حاسة السمع، أو الوحي فـي حالـة اليقظـة، أو المنام[٣]. كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً ﴾[٤]. فالحـديث يشترط وجود شخصين، شخص يلقي، وشخص يتلقى الحديث. والأحاديث : تطلق على ما تتحدث به النفس في منامها من الرؤيا او الحلم[٥]. كما في قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمْتَنِـي مِـن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾[٦].

---

[١]: لسان العرب، م . س : ٢/ ١٣١مادة خبر.
[٢] : المفردات في غريب القرآن _ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) _ تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت،ط٢٠٠٥/٤ :١١٧ ،مادة حدث .
[٣] : ينظر: م . ن : ٢٢٢
[٤]: التحريم :٣.
[٥] : ينظر : مفردات الراغب : ٢٢٢ ، وما بعدها
[٦] : التحريم : ٣

وإذا كان هناك فرق بين "القصة" و "الحديث"–كما يقول أبو هلال العسكري: "القص ما كان طويلاً من الأحاديث، متحدثاً بهِ عن سلف"[٧]– فإن ما بين "الحديث" و"الخبر" من الصلات يدل على تقاربهما. لكن "الحديث" امتاز بصفات غير صفات "الخبر" وغيره، فالحديث يرتبط بالزمن الحاضر وبمرسله مباشرةً ، استناداً الى قول ابي حيان التوحيدي : " فإذا قيل للأنسان حدّث ياهذا : فكأنه قيل له : صل شيئاً يكون به في الحال"[١].

– الخبر والحديث

يأخذ معنى "الحديث" دلالات أخرى ، عندما يقارن "بالخبر". فقد وضعت المعاجم الحديثة فروقاً بين "الخبر"و "الحديث"، يقول التهانوي: "اختلف أهل الحديث في الفرق بين الحديث والخبر، فقيل هما مترادفان، وقيل الخبر أعم من الحديث لأنه يصدق على كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن غيره،بخلاف الحديث فإنه يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم من غير عكس كلي...وقيل هما متباينان، فإن الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عن غيره. ومن ثم قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها الإخباري ،ولمن يشتغل بالسنة النبوية المحدّث. وقيل الخبر يباين الحديث ويرادف الأثر"[٢].

أما "دائرة المعارف الإسلامية"، فإنها تعرف "الحديث" بما يلي: "لهذه الكلمة معنى عام هو الخبر أو المحادثة،دينية كانت أو غير دينية، ثم أصبح لها معنى خاص هو ما ورد عن الرسول وصحابته من قول أو فعل"[٣]. أما "معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب"، فإنه يعرف الحديث بأنه "القول المأثور عن الأنبياء والرسل، وقد اختص به القول الذي أُثرَ عن محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح الحديث علماً من العلوم الدينية التي تدرسها المعاهد الإسلامية"[٤].

---

[٧] :الفروق في اللغة، ابو هلال العسكري، م.س:٣٣
[١] :الإمتاع والمؤانسة،ابو حيان التوحيدي،تحقيق:أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية - بيروت،ج/١ :٢٥-٢٦
[٢] :كشاف إصطلاحات الفنون، م.س:٣٠٨
[٣] :دائرة المعارف الإسلامية،ت:أحمد الشنتاوي وآخرون(د-ت) مج/٧: ٣٣
[٤] :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، م. س:١٤٥

في القرآن الكريم تكرر لفظ "حديث" ثماني وعشرين مرة ، منها ثـلاث وعشـرون فـي المفرد: "حديث"، وخمس مرات في الجمع : "أحاديث" ، أما معاني دلالات هذا اللفظ فقـد اقتصرت على ثلاثة معاني: القول العام، كقوله تعالى "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمـك مـن تأويل الأحاديث"[٥] ، وهنا يشمل القول تعبير الرؤيا. والمعنى الثاني "الخبـر القصصـي" كقوله تعالى"وجعلناهم أحاديث"[١]، أما المعنى الثالث فهو"القول الديني" كقوله تعـالى "ولا يكتمون الله حديثاً"[٢]، وكقوله تعالى "الله نزل أحسن الحديث"[٣]. كمـا نجـد أن الحـديث والخبر يلتزمان خيط الإسناد ، الذي يوصلهما الى المصدر الأول ، والإسناد نشأ في بيئة المحدثين والفقهاء ، ولما ازدهر وانتشر "فاض على الأدب، فأخذ الرواة يستخدمونه كمـا يستخدمه المحدثون"[٤]. بدأ مفهوم لفظة "حديث"، يتطور من الطبيعة الخبرية الى اللفـظ، الذي يُعنى بأقوال الرسول الكريم(ص)، الذي يعتمد على الإسناد، وهذا ما يؤكد أيضـاً، ترابط "الحديث" "بالخبر"، وفي الغالب نجد أيضاً أن "الواحد قد يحتوي الآخر وقد يشتغلان في تجاور وتواز، ويبقى العنصر الأساسي الفاصل بينهما هو العامل الزمنـي..علـى أن الإخبار يرتبط بما تمّ في الماضي وانتهى، أما الحديث فيرتبط بما هو جديد وقائم بالفعل ، كما إن الحديث هو كلام صادر عن قائله مباشرة. أما الخبر فيتميز بنقله من الواحد الـى الآخر"[٥].

نخلص من خلال هذا الاستقراء أن لفظ "الحديث" يحيل الى معنى "الخبر"، فأحيانـاً يكون معناهما مترادفاً وأحياناً أخرى يكونان "مفهومين متوازيين ، يكـون المفهـوم الأول :الخبر قابلاً لأن يستوعب مجموعة من النصوص المختلفة التي تلتقي جميعها في الطبيعة الخبرية، وفي المقابل يستوعب الحديث نصوصاً أخرى لها طبيعتها المشتركة"[٦] .

وبالرجوع الى أخبار/ أحاديث سيرة ابن هشام نجد أنها تنتمي الى معنـى الأخبـار أكثر مما تنتمي الى دلالة "الحديث" الذي يختص بالنبي(ص) ولعل ابن هشام، أراد منهـا

---

[٥] : سورة يوسف :٦
[١] : المؤمنون:٤٤
[٢] : النساء:٤٢
[٣] :الزمر:٢٣
[٤]:الخبر في الأدب العربي،م. س :٢٢٩
[٥] :م . ن :٩٥
[٦] :الخبر في السرد العربي،م.س:١٥،١٦

الطبيعة الإخبارية، حيث أن لفظة "حديث" كانت متداخلة مع لفظة "خبـر"، عنـد تـدوين السيرة النبوية. كما نجد أنها لا تختلف، من حيث الخصائص الفنية ، عـن بقيـة أخبـار السيرة ، فمعظمها تخبر عن حدث وقع ، وكان ابن هشام يرويها عبـر سـند متصـل ، وأحياناً يكون الراوي متماهياً بمرويه، أي قريباً ، أو مشاركاً في الحدث ، كما في خبـر "حديث إسلام سلمان الفارسي" و"حديث المرأة الغفارية". وهناك حديث هو "حـديث ابـي أيوب وزوجه"، ليست فيه طبيعة إخبارية وإنما هومحادثة قصيرة جرت بين أبـي أيـوب وزوجه حول "قصة الإفك"، ويبدو أن تجنيس ابن هشام لها جاء بسبب هـذه "المحادثـة" المشتقة من "حدّث"، وهذا ما أكده أبو هلال العسكري لمعنى الحديث، بقوله:"، وانما هـو شيء حدث لك فحدثت به"[١].

ومما يدلّ على أن هذه "الأحاديث"، في سيرة ابن هشام ، ذات طـابع إخبـاري؛ أن راويها يرويها بوصفها أخباراً تمت في الماضي، ولم ترتبط بقائلها مباشرة ، وقد عنيـت بالحدث أكثر من عنايتها بالقول . وهنا يمكن القول – بالاستناد الى التحديدات المعجمية–: أن "الحديث" يرتبط بالأقوال ، إن جاء مختلفاً عن "الخبر"، فيما يرتبط "الخبـر" بالأفعـال، "**فالحديث" يجيب عن سؤال :(ماذا قيل؟) عند وقوع الحدث ، أما الخبـر فيجيـب عـن سؤال:(ماذا حدث؟)**. وبالنتيجة فإن ابن هشام كان واعياً للأخبار التي وضعها تحت عنوان "الحديث" رغم الترابط بين الخبر والحديث .

السيرة : "ذكر" ـ "أمر"

لم تتسلل الطبيعة الإخبارية الى "الحديث" فحسب ، وإنما زحفت الى أخبار عنونهـا ابن هشام بـ"ذكر" و "أمر" ، فلا نجد فرقاً بينها وبين بقية أخبـار السـيرة ، مـن جهـة الوظيفة الإبلاغية للخبر.

لكن هذه العنونة أخذت **مدلولاً "ثقافياً"** ، فالأخبار المعنونة بـ"ذكـر" ومجموعهـا "أربعون" خبراً، يراد منها :"الحفظ للموعظة" والخشية من الضياع ، والحفاظ علـى مـا

---

[١] : الفروق في اللغة،م.س:٣٢

تنطوي عليها من قيم لتوثيقها ، و تقويتها و تثبيتها في الـذاكرة ، وهنـا يأخـذ العنـوان "ذكر"،بعداً ثقافياً إستراتيجياً للتدوين ، ضد النسيان : الذاكرة ضد النسيان ، وهو ما يدعمه المعنى المعجمي لـ"ذكر"، يقول صاحب لسان العرب :

"اسْتَذْكَرَ الشيءَ دَرَسَهُ للذِّكْرِ، والاسْتِذْكارُ الدِّرَاسَةُ للحفظ ، و التَّذَكُّر تذكر مـا أنسـيته، وذَكَرْتُ الشيء بعد النسيان وذَكْرتُه بلساني و بقلبي وتَذَكَّرْتُه و أَذْكَرْتُه غيري..وذَكَّرْتُـه. قال الله تعالى "وادَّكَرَ بعد أُمَّةٍ" أَي ذَكَرَ بعد نِسْيان ويكون بمعنى التَّذَكُّرِ في قولـه تعـالى "وذَكِّرْ فإِن الذِّكْرَى تنفع المؤمنين". والذِّكْرُ والذِّكْرى، بالكسر نقيض النسيان...

والذِّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه ، والذِّكْرُ أَيضاً الشيء يجري على اللسان ، والـذِّكْرُ جَـرْيُ الشيء على لسانك"[١] . ويضيف صاحب تاج العروس : "وهو كالحِفْظ إلاّ أَن الحِفْظ يقال اعْتباراً بإِحرَازه، والذِّكْر يُقال اعْتِبَاراً باسْتِحْضَارِه"[٢].

أما معنى "ذكر" في القرآن الكريم فتأتي بمعنى : الحفظ للاتعاظ، كما تدل على ذلـك الآيات الكريمة : "وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"[٣] أي يتعظون،وقوله تعـالى: "فَلَمَّـا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ"[٤]، أي ما وعظوا به.

فمثلاً خبر "ذكر سرد النسب الزكي"(ص:٧) ، الذي يذكر أجداد النبي "ص"، انتهاءً الـى آدم "ع" ، فإن هذا الخبر يؤكد ، أن في حفظ النسب وتثبيته ، تثبيتاً لشجرة النبوة وامتدادها الى النبي محمد"ص". فهو لذلك من الأهمية ، التي تدعو الى حفظه في الـذاكرة . لكـن مايدعو الى الملاحظة أن هناك خبراً فـي سـيرة ابـن هشـام ، ورد بصـيغة "ذكـر" مـرة(ص:١٥٧) ، ثـم ورد بصـيغة "قصـة" مـرة ثانيـة ، وهـو "خبـر الإسـراء والمعراج"(ص:١٦٠) ، فعندما ترد مجموعة روايات غير متسلسلة حولـه ، فإنـه يـأتي بصيغة "ذكر"، أما إذا جاء على هيئة حكاية واحدة، برواية واحدة، متسلسـلة الحـوادث ؛ فأنه يأتي بصيغة "قصة"، الأمر الذي يدل على المعنى المعجمي لـ"ذكـر"بمعنـى الـذكر والحفظ ، أما "القصة" فأنها تدل على الحوادث المترابطة بحبكة معينة ، وهو ما تعرضـنا له سابقاً.

---

[١]: لسان العرب، م.س: ٤ /٣٠٨ ،مادة ذكر.
[٢]: تاج العروس، م.س: ٢٨٦٣/١، مادة ذكر.
[٣]: البقرة:٢٢١
[٤]: الأعراف:١٦٥

ومفهوم "ذكر" ينطبق على مفهوم "أمر"، حيث ورد في سيرة ابن هشام، سبعة وثلاثون خبراً ، جنسها ابن هشام بـ"أمر"، وبالرجوع الى المعاجم نجد أن "الأَمْر الحادثة والجمع أُمورٌ...و " أتى أَمْرُ اللهِ فلا تَسْتَعْجِلوه ". قال الزجاج : أَمْرُ اللهِ ما وعَدهم به من المجازاة على كفرهم من أَصناف العذاب ، والدليل على ذلك قوله تعالى "حتى إِذا جاء أَمرُنا وفارَ التَّنُّور" ، أَي جاء ما وعدناهم به .

والأَمْرُ: الشيء العظيم الشنيع وقيل العجيب، وفي التنزيل العزيز: "لقد جِئْتَ شيئاً إِمْراً" قال أَبو اسحق أَي جئت شيئاً عظيماً من المنكر"[١]. و"الأمر إذا كان بمعنَى ضِدَّ النهي فجمعُه أَوامِرُ وإذا كان بمعنَى الشَّأْنِ فجمعُه أُمُور[٢]. و "وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ"[٣] أي شأنك من الحرب وغيره، وقوله تعالى: "كَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً"[٤]، "أمر" أي قضاؤه.

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية، فإن معنى "أمر"،الحادثة ذات الأهمية والشأن، التي تحتاج الى العناية، بوصفها "قضية" تترتب عليها أمور، لها أبعاد سياسية واجتماعية، مثل: "أمر الفيل"(ص:٢٢) و"أمر الهدنة "(ص"٤٣١) و"أمر سقيفة بني ساعدة"(ص:٥٧٨) وغيرها.

لكن لا يخفى أن بعض الأخبار ليست من الأهمية، بحيث تعنوّن بـ"ذكر" أو "أمر"، مما يدل على أن هذا التجنيس ، كان مبكراً ، وقد لحقه بعض الارتباك والتشويش ، خصوصاً إذا علمنا أن تدوين أخبار السيرة ، كان معتمداً على الرواية الشفوية ، مما جعله يمر عبر وسطين ثقافيين مختلفين .

وفي النهاية نستنتج أن تنوعات الإخبار في سيرة ابن هشام لم تكن تنوعات إجناسية عبثية وغير واعية بل كانت – و بناءً على خصائصها الفنية – تنوعات سعى لها ابن هشام معتمداً على أنها أخبار تفكر بنفسها وهي تجمع بين الجمالي الأدبي ، والتاريخي التوثيقي داخل الفضاء الثقافي الذي يمنحها الموازنة بين البنية والذوق الثقافي السائد ، الأمر الذي يدل على مكانة سيرة ابن هشام في كونها نواة مولدة لسرود أدبية عربية ،كانت قد خرجت من امتزاج النوع الى نقاء النوع الأدبي .

---

[١]: لسان العرب: ٤ /٢٦ ،مادة أمر.
[٢]: تاج العروس: ٢٤٦٣/١،مادة أمر.
[٣]: آل عمران:١٥٩
[٤]: النساء:٤٧

الفصل الثالث

البنية السردية لأخبار النبوءات في سيرة ابن هشام

المبحث الاول : أنماط الخبر النبوئي

المبحث الثاني : المكونات الحكائية لأخبار النبوءات

أقسام الخبر النبوئي

عناصر السرد في الخبر النبوئي

خطاب السرد في الخبر النبوئي

المبحث الاول
أنماط الخبر النبوئي

- **أنماط الخبر**

يمثل الخبر "نوعاً" من "جنس" السرد ، والجنس هو الإطـــار الكبيـــر الـــذي يضـــم مجموعة من الأنواع ، التي بدورها تضم مجموعة من الأنماط ، والخصائص المشتركة ، وهي التي أعطت لهذه التقسيمات أسماءها التي امتازت بها.

يتفرع الخبر، مثل بقية الأنواع السردية ، الى تنميطات ترتكز الى الأسس والمكونات التي تشكل الخبر وهي : الحدث ، الشخصيات ، الفضاء الســـردي: الزمـــان، المكـــان ، والخبر توجهه ثنائية أساسية، "تتمثل في الواقعي /اللاواقعي في الخبر، وإذا كان الـــواقعي سينجلي من خلال طبيعة المكونات الخبرية ؛ فإن اللاواقعي يدعونا بالتالي الـــى تقســـيمه بدوره الى:(تخييلي وتخيّلي) ، فيكون التخييلي هو النمط الأوسط الذي يتموقع بين الواقـــع كحقيقة فعلية والتخيلي كفعل استيهامي عجائبي بعيد كـــل البعـــد عـــن قـــوانين الواقـــع الإنساني"[١].

وبناءً على ذلك فإن الخبر بصورة مطلقة ينقسم على ثلاثة أنماط :**(خبر واقعي، خبر تخييلي، خبر تخيّلي)** استناداً الى المكونات والشخصيات فالخبر الواقعي يلغي المسافة بين المؤلف وما يقدمه من أحداث ، فهو يسجل الأحداث التاريخية ، فتكون لها صفة الحقيقـــة الفعلية ، أما الزمن في الخبر الواقعي فإنه يمتلك مرجعية واقعية تسجل الأحـــداث داخلـــه ويكون محدداً بكل التفاصيل دون امتدادات تخييلية، كما نلاحظ مرجعية المكان ثابتة، ولها وجود واقعي محدد، مثلها مثل المكون الآخر المتمثل بالشخصية التي تكون فـــي الخبـــر الواقعي ذات مرجعية واقعية تاريخية. اما الخبر التخييلي، فإننا نخرج من دائرة التاريخي الصرف، وندخل في دائرة الأدبي، الذي يتخذ من المستوى التاريخي منطلقاً له ، إلا أنـــه يتميز عن التاريخي، باعتماد التقنيات الفنية والجمالية، متجاوزاً التسجيلية المباشرة التـــي تميز الخبر التاريخي، لأنه يعيد إنتاج الواقعة التاريخية[٢] . بخلقها خلقاً فنياً مبتكراً تســـهم

---

[١] : الخبر في السرد العربي، م. س:١٩٢

[٢]: ينظر: م. ن:١٩٣ -١٩٩

في تحصين الخبر، كما أننا نجد بقية المكونات السردية الأخرى التي هي الزمن والمكان والشخصية قد غابت مرجعيتها التاريخية، فالفضاء الزماني والمكاني غير محدد وباهت الملامح، كما نجد الشخصيات في الخبر التخييلي لا تحيل الى شخصيات محددة بعينها، بل تحيل الى شخصيات قابلة للتعدد والتأويل. **و الخبر التخييلي لفظ يطلق على الخبر الواقعي، حين يوظف التخييلَ للتعبير عن ذاته، من غير أن ينفي واقعيته،** بل يسعى الخبر الواقعي عبر التخييل الى تثبيت نفسه من أجل الوصول الى التأثير في المتلقي.

والنمط الثالث: الخبر التخيّلي يتداخل أيضاً مع النمطين الآخرين : الواقعي والتخييلي، إلا أنه يوظف العجائبي والخارق في مكوناته السردية، فالأحداث والفضاء الزماني والمكاني والشخصيات لا تعتمد على مرجعية تاريخية، بل إنها تبتعد كل البعد عن الواقع، ولا نجد لها تفسيراً منطقياً من الواقع المحيط بها، لأن الخبر التخيّلي يقوم أساساً على خرق النظام الواقعي والمألوف والسائد، إلا أنه يبقي خيوطاً واهية تربطه بالواقع، فالفضاء عجائبي والشخصيات مستحضره من عوالم فوق الطبيعية، وكل مكونات الخبر التخيلي تعتمد على مرجعيات خاصة، قد تكون دينية أو أسطورية أو خرافية، وهذه المرجعيات تنشط في المخيلة العربية وفي الثقافة التي تؤسس لها[١].

– أنماط الخبر النبوئي السيري

في أخبار سيرة ابن هشام يمتلك الخبر الواقعي آليات تخييلية وآليات تخيّلية لأن منظومة السيرة النبوية مؤسسة على تدوين أخبار الدنيوي والغيبي، ولا يعني التخيّل في الأخبار السيرية أنها تدخل في حقل الأساطير، فالتخيّل في أخبار السيرة يأخذ بعداً آخرَ عندما يتحدث الخبر الماورائي عن عوالم تخرق النظام الدنيوي المألوف. فمثلاً لا يعني أن التخيّل في خبر "الإسراء والمعراج" نفي لواقعيته بل يدل على طبيعة الخبر الماورائي، والأمر ينطبق أيضاً على الخبر النبوئي، الذي يدوّن الرؤى والأحلام والبشارات، إذ تكون الرؤيا التي تخترق حاجز الزمان والمكان، إحدى المكونات الأساسية في الخبر السيري، ويمتاز الخبر النبوئي بأن له نمطين ثابتين، هما نمط الخبر التخييلي ونمط الخبر التخيّلي، وعادة ما يكونان متداخلين مع بعضهما، مع وجود تداخل أيضاً مع

---

[١]: :ينظر: الخبر في السرد العربي، م. س :٢٠٠ ، وما بعدها

النمط الواقعي، فلا يمكن أن يوجد نمط نقي لم ينطلق من أرض الواقع ، حتى وإن كان حلماً أو رؤيا.

يُقسم الخبر النبوئي على قسمين، قسم يدون أخبار النبوءات التي تحصل عن طريق الرؤيا والأحلام في المنام وهي تحطم الحاجز بين عالم النوم وعالم اليقظة، وقسم من الأخبار تدون النبوءات عن طريق كشف علامات معينة خارقة، ومعرفتها، تظهر في شخص أو في ظاهرة طبيعية، وفي سيرة ابن هشام نجد أخباراً من كلا القسمين، مثل: رؤيا ملك اليمن ونبوءة شق وسطيح(ص:١١)، ورؤيا حفر زمزم(ص:٦٠)، ورؤيا الآذان(ص:٢٠٤)، ورؤيا عاتكة في معركة بدر(ص:٢٥٠)...الخ، تنتمي الى أخبار الرؤيا المنامية.

أما أخبار نبوءات كهان العرب، وأخبار اليهود، ورهبان النصارى وغيرها من الأخبار النبوئية؛ فإنها تنتمي الى النبوءات عن طريق كشف العلامات. هذه الأخبار مارست دور الاعداد النصي لولادة النبي(ص) وبعثته قبل الولادة لتهيئ الاذهان والثقافة لنسق ثقافي قادم، وهو النسق الذي عملت الثقافة من أجل إعلائه وإضاءة فاعليته على استثمار عناصر سردية ذات خصائص قبل إسلامية، لتكون فاعلية الخبر النبوئي موجهة، الى حدٍ بعيد، لإعلان بشارة الرسالة المحمدية، والاشارة لها، بوصفها فعلاً مُدركاً ومرصوداً، من قبل الثقافة، وقد حُمّلت به أخبارها لأزمان سابقة طويلة.

ولمعرفة أنماط الخبر النبوئي والوقوف على خصائصه ، سنحلل هذين الخبرين:

الخبر الأول:

"قال ابن اسحاق: فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان،عن عروة بن الزبير، قالا:وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال، رؤيا أفزعتها.فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له :ياأخي،والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به.فقال لها :ما رأيت؟ قالت:رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالابطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يالغدُرُ لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره

على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها :ألا انفروا يالغدر لمصارعكم في ثلاث: ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها. فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة، قال العباس :والله إن هذه لرؤيا، وأنتِ فاكتميها، ولا تذكريها لأحد"[١].

الخبر الثاني:

" قال عبد الله بن كعب،فقال عمر بن الخطاب عند ذاك يحدث الناس: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قط أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعة، يقول :يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، يقول:لا إله إلا الله"[٢].

نسجل منذ البداية ، أن الحدث في الخبر الأول ، لا يبتعد عن مرجعيته التاريخية، إلا أنه احتفظ بطابعه التخييلي كونه حدث رؤيا ، أما واقعيته فهي تحقق الرؤيا عندما جاء خبر غزوة بدرعبر "صوت ضمضم بن عمر الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جدع بعيره، وحوّل رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يامعشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث... فتجهز الناس سراعاً"[٣]، فكانت الرؤيا نبوءة بحدوث غزوة بدر عن طريق الخبر المهول الذي جاء به الراكب(في الرؤيا) أو ضمضم في(الواقع)، وهنا يكتسب خبر الرؤيا التخييلي مسوغاً في الواقع عندما يتداخل "حدث الرؤيا" مع "حدث التحقق في الواقع" مع وجود الفارق بين الحدثين.

إن ترميز الرؤيا واضح ، فانفلاق الصخرة المرمية ودخول شظاياها الى كل بيت يقابله في الواقع، تسرب الخبر الذي جاء به ضمضم الغفاري، الى بيوت مكة كلها،

---

[١]:سيرة ابن هشام: ٢٥٠
[٢]:م. ن: ٨٤
[٣]:م .ن : ٢٥١

ووقوعه عليهم كالصاعقة، والأمر الوحيد الذي يجعل البحث يصنف هذا الخبر بأنه تخييلي هو حدث الرؤيا، أما تداخله مع تحققها فهو السمة الواقعية فيه، هذا على مستوى الحدث أما على مستوى الشخصية والفضاء الزماني والمكاني، فإن الحدث في الرؤيا لا يحيل الى مرجعية واقعية للشخصية، فشخصية "الراكب" هي شخصية تخييلية، قريبة من الواقعية، لكنها لاتحيل الى شخصية بعينها، بل انها تحتمل التعدد والتأويل، مما يلحق الخبر بالنمط التخييلي، أما التأطير الزمني، فغالب تماماً في خبر الرؤيا، حتى أن "تجريد الخبر من هذا التاريخ الزمني جعله يفقد بعض الشيء من واقعيته"[1]، فلا يعلن الخبر متى وقف الراكب ومتى حصل ذلك؟ مما يزيد من قدرته التخييلية، الا أن حصول الرؤيا ووقوع نبوءتها خلع عليها إطاراً زمنياً محدداً، وهو عهد النبي حين وقوع معركة بدر. لكن الإطار المكاني في الرؤيا امتلك مرجعية واقعية، مما يسحب الخبر الى الواقع، ويحصل التداخل حين ذاك بين ماهو تخييلي وما هو واقعي، فورود أماكن ذات مرجعية تاريخية واقعية من مثل : الأبطح "وهو وادي مكة "– المسجد "وهو اشارة الى الإسلام" – الكعبة – جبل ابي قبيس في مكة – مكة، وحضور المكان بواقعيته في الخبر النبوئي، يكرس التداخل بين ما هو واقعي و ما هو تخييلي في بناء خبر الرؤيا.

في الخبر الثاني، الذي ينتمي الى الأخبار النبوئية، لا عن طريق الرؤى بل عبر علامات وظواهر خارقة وعجائبية، يمكن رصد تداخلاً كبيراً بين المرجعيات الواقعية التاريخية للشخصيات وللفضاء السردي، وبين الحدث العجائبي المدهش وغير المألوف للعجل المذبوح الناطق، مما يصنف الخبر من أنماط الخبر "التخيلي" القائم على خرق النظام الواقعي، بمنطق إدهاشي عجائبي، فنطق العجل المذبوح وفي حضرة الوثن للمفارقة التي تدعو الى الإثارة، ونبوءته في خروج رجل، يقول بالتوحيد،كناية عن النبي(ص)، لهو أمر يتجاوز المألوف والسائد، وقد يكون في الثقافة الإسلامية ما يساعد على قبول مثل هذا الخبر، فخبر بقرة موسى(ع) التي أحيت الميت، وعجل السامري "الذي له خوار"، وهما حدثان واقعيان ما زالا ينتميان الى الثقافة الدينية المتوارثة، بأنساقها التي

---

[1]: الخبر في السرد العربي، م. س:٢٠٢

لا زالت تمتلك حضوراً مؤثراً؛ كل ذلك قد يجعل الثقافة تتسامح مع هذه الأخبار العجائبية، وتسعى الى تثبيتها، لتعمل على ردم فجوات الواقع.

بناء الحدث العجائبي، قد سحب الخبر الى دائرة النمط التخيّلي، إلا أن المكونات السردية الأخرى التي تنتمي الى مرجعيات واقعية، متمثلة بالإطار الزماني والمكاني وبناء الشخصيات قد جعلت هذا النمط يتداخل مع النمط الواقعي والنمط التخييلي، فالخبر يرويه عمر بن الخطاب، وهو راو مشارك في الحدث وهو شخصية "مرجعية واقعية" تحيل الى شخص واحد و محدد في الواقع والشخصية الأخرى هي "نفر من قريش" و "رجل من العرب" وهي شخصيات قريبة جداً من الشخصيات الواقعية الإ أنها غير محددة. أما الفضاء الزماني والمكاني فقد احتفظ بواقعيته التاريخية. فموقع الوثن الجاهلي هو الفضاء المكاني للحدث، والأوثان القريشية هي عادة في الكعبة وهو مكان ذو مرجعية واقعية، كذلك فإن المرجعية الزمانية هي واقعية محددة : "قبيل الإسلام بشهر أو شيعة".

اذن الخبران يحددان أنماط الخبر النبوئي ، بين النمط التخييلي والنمط التخيّلي وكلاهما ينطلق من النمط الواقعي ويتداخل معه ، وهذان الخبران يعملان على الإعداد للتبشير بغزوة بدر و بالنبوة المحمدية، والتأسيس لحضورهما المغاير، عبر المكونات الواقعية للأخبار، والمكونات التخييلية كذلك ، فضلاً عن كشف جنس الخبر ونوعه السيري.

الأمر الذي يدعو الى القول بأن الخبر السيري هو خبر يحاول أن يوظف التخييل في التعبير عن رصد الواقعة التاريخية وتوثيقها عبر اكسابها طاقات الأدب التي تستطيع أن تنقلها الى مستويات عالية من الإقناع والتأثير والديمومة .

المبحث الثاني

المكونات الحكائية لأخبار النبوءات

– أقسام الخبر النبوئي

تتضمن سيرة ابن هشام، جملة من الأخبار النبوئية التي تأخذ مساحة نصية مهمة من الكتاب، آثر ابن هشام تثبيتها في بداية الكتاب، وفق مقصديات تأليفية متعددة،عبر التنبؤ بأحداث مستقبلية، و الكشف عن علامات خارقة تتجسد من خلال شخص أو ظاهرة طبيعية. و يمكن أن نقسم الخبر النبوئي على قسمين رئيسين: يُقسم كل منهما على نوعين، وكما يلي:

- خبر رؤيا:

أ- أخبار تبشر بظهور النبي، كما في "رؤيا ملك اليمن ونبوءة شق وسطيح لها"

ب – أخبار تتضمن رؤيا بشرت بأمر ما مثل "رؤيا عبد المطلب في حفر زمزم"، أو "رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب في غزوة بدر".

- خبر تبشير:

أ- أخبار تتضمن "علامات" تعمل على التبشير بظهور النبي "ص"، وهذه العلامات أما أن تكون من خلال صفات معينة، نُقلت عن طريق الروايات، كما في نبوءات كهان العرب، وأخبار اليهود و رهبان النصارى(ص:٨٢)، أو من خلال علامات كونية كالنجوم وغيرها (ص:٦٦).

ب – أخبار تتضمن ظواهر غريبة خارقة، تدل على التنبؤ بظهور النبي مثل "نطق العجل المذبوح"(ص:٨٤). وهذه الأخبار النبوئية، تسعى الى تأسيس أرضية ثقافية لاستنبات مفاهيمها وأفكارها المستقبلية.

تحتوي المكونات الحكائية، لهذه الاخبارعلى عناصر السرد:الفضاء السردي،الشخصية، الحدث. كما تضم هذه الأخبار أركان الخطاب السردي: الراوي، المروي، المروي له.

عناصر السرد في الخبر النبوئي

١- بنية الفضاء السردي:

أ- الزمن الحكائي :

"يعتبر الزمن مقولة مركزية في كل خطاب سردي ، إذ أن الحدث أو الفعل الحكائي يرتبط بالضرورة بعامل الزمن"[١] ، فإن كان الزمن "أداة لوعي الأحداث وتتابعها الخطي، فإن السرد يصبح أداة لوعي العلاقات المضمرة بين الأحداث، عن طريق إعادة ترتيبها، لا على أساس زمني، وإنما على الأساس الخاص الذي يحاول السارد، أن يرى به هذه الأحداث، وعلاقاتها"[٢] ، ولهذا ينقسم الزمن الحكائي، وفقاً لجيرار جينيت، الى زمن السرد(الخطاب) وزمن القصة[٣] ، و يمثل زمن السرد سرد الأحداث من قبل السارد ، بينما يمثل زمن القصة وقوع الأحداث داخل فضاء الزمن ، إذ " أن زمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي...وهكذا يحدث ما يسمى(مفارقة زمن السرد مع زمن القصة)"[٤]، وهذه المفارقات تُحدث خرقاً زمنياً، من خلال "الإسترجاعات" و"الإستباقات" عبر تقنيات سردية حددها جينيت، كآليات إبطاء سرعة النص السردي وتوقيفه، أو آليات زيادة سرعة النص السردي وتعجيله، فضلاً عن ذلك، فإن هناك أزمنة عديدة تتعلق بالحكي: "ازمنة خارجية(خارج النص) : زمن الكتابة_زمن القراءة...و أزمنة داخلية(داخل النص) : الفترة التي تجري فيها الرواية، مدة الرواية، ترتيب الاحداث، وضع الراوي بالنسبة لوقوع الأحداث. تزامن الأحداث، تتابع الفصول..."[٥].

---

[١]:الخبر في السرد العربي،م . س :١١٩

[٢]:الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي،هيثم الحاج علي،الإنتشار العربي - بيروت، ط١/ ٢٠٠٨:٢٦

[٣]:ينظر: خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرارجينيت، ترجمة : محمد معتصم وآخرون،المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للمطابع الاميرية، ط٢/ ١٩٩٧: ٤٥

[٤]:بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، م.س :٧٣

[٥] : بناء الرواية ، م . س : ٢٦

ويقسم "سعيد يقطين" الزمن على زمنين: واقعي وعجائبي، فالواقعي هو الذي يؤطر الأحداث، و يخضع للتجربة المألوفة، بينما الزمن العجائبي يمثل الشخصيات والأحداث العجائبية التي تخترق الزمان المألوف والواقعي[١].

بالرجوع الى الأخبار النبوئية الحلمية نجد أن الزمن فيها يأخذ بعداً مركزياً وينشطر الى زمن عجائبي/ حلمي، و زمن واقعي، فالزمن العجائبي نتلمسه من خلال الرؤيا، إذ أن هذه الرؤيا هي خرق لكل ما هو مألوف وواقعي أما الزمن الواقعي فهو زمن حصول الرؤيا في الواقع. وأخبار الرؤيا تقوم على ثنائية الإسناد والمتن، وفي هذه الحالة نرصد "ثلاثة أزمنة على الأقل في كل حكاية وهي زمن التلقي أو السماع، وزمن الرواية، وزمن الحكاية "[٢]. فزمن تلقي خبر الرؤيا وزمن روايتها، يتم عبر سلسلة السند وصولاً الى ابن اسحاق ثم ابن هشام، وقبل هذين الزمنين يوجد زمن وقعت فيه الأحداث المعروضة في الرؤيا، وهذا من شأنه أن ينشطر على زمن واقعي وزمن عجائبي كما أشار البحث سابقاً.

ويمكن التحقق من وجود هذه الأزمنة في الأخبار النبوئية من خلال الجدول الآتي:

خبر الرؤيا	زمن الرواية	زمن التلقي أوالسماع	زمن الواقعة
- خبر رؤيا عبد المطلب في حفر زمزم(ص٦٠)	**- قال ابن اسحاق:حدثني...**	**- سمع عن علي بن ابي طالب يُحدّث حديث زمزم.**	**- زمن واقعي : زمن حصول الرؤيا قبل ولادة النبي(ص). - زمن عجائبي : الزمن داخل الرؤيا(زمن مجيئ الصوت الذي يأمر عبد المطلب بحفر زمزم).**
- رؤيا طفيل الدوسي(ص ١٥٣)	**. - قال ابن اسحاق:...**	**- ابنه و جماعة من المسلمين**	**- زمن واقعي :اثناء حروب الردة. - زمن عجائبي : الزمن داخل الرؤيا(زمن حدوث أفعال الرؤيا:زمن خروج الطائر وحلق الرأس لطفيل)**

في الأخبار النبوئية غير الحلمية يحضر بقوة "زمان مقدس" يتعلق بوقت ظهور النبي المتنبأ به، ففي خبر "ورقة بن نوفل" نجد ورقة يخاطب خديجة بقوله : "لئن كان هذا حقاً ياخديجة، إن محمداً لنبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا

---

[١]:ينظر: قال الراوي، م. س : ٢١٦-٢١٨

[٢]: بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، م. س :١١٠

زمانه"[٣]، وتحاول الأخبار النبوئية أن تحقق تحولات في الفضاء الزمني : من زمن الحكي الى الزمن المقدس المنتظر، بحيث يعمد الخبر النبوئي الى تأسيس مرجعية زمنية يتأطر بها ويسير بإتجاهها. ففي خبر ورقة يكون الزمن:

زمن الحكي(زمن ورقة بن نوفل) – الى الزمن المقدس المنتظر(زمن ظهور النبي) .

ب – المكان الحكائي:

يعرف "جيرالد برنس" الفضاء المكاني بأنه "المكان أو الأماكن المضمنة، التي يظهر فيها كل من، المواقف والأحداث والسياق الزماني – المكاني للحكي"[١]، ولما كان الخبر "بنية سردية بسيطة قوامها السهولة والإيجاز "[٢]، فإن التنويع في الفضاء المكاني يكون محدوداً، حيث يؤثث الخبر مكاناً واحداً في أغلب الحالات أما في الخبر الحلمي، "لا نجد أبعاداً واضحة للمكان،المكان فيه يتشظى، يتفتت وأحياناً يتلاشى"[٣].

ففي خبر "حديث إسلام سلمان الفارسي" ترد نبوءة الراهب في عمورية:"...ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام،يخرج بأرض العرب، مهاجره الى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل"[٤].

هذا الخبر ينتمي الى الأخبار النبوئية التبشيرية التي تتضمن علامات تبشّر بظهور النبي، وهذه الأخبار تشير دائماً الى "مكان مقدس" له علاقة بظهور النبي "ص"، يُعبر عنه تصريحاً أو تلميحاً عبر الوصف، فإن(أرض العرب) الواردة في الخبر تشير الى الجزيرة العربية، أما وصف(يثرب) بأنها ذات نخل به علامات لا تخفى فإنها إشارة الى ذلك المكان المقدس، الذي يسعى الخبر النبوئي دائماً الى حضوره والعناية به، كما نجد ذلك في

---

[٣]:سيرة ابن هشام،م.س:٧٧
[١] : نقلاً عن كتاب :السرد في مقامات الهمذاني، م.س: ٥٦
[٢]: الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، م. س:١٣٥
[٣]:إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية - العراق ط١/١٩٨٦: ١٥٨
[٤] :سيرة ابن هشام،م.س:٨٧

خبر نبوئي آخر، هو "خبر اليهودي الذي أنذر بالرسول "ص "، فقد قال هذا اليهودي عندما سُئل عن علاماته : "...نبي مبعوث من هذه البلاد، وأشار بيده الى مكة واليمن؛ فقالوا : ومتى نراه ؟ قال : فنظر اليَّ وأنا من أحدثهم سناً، فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه..."[١]، وهكذا يحضر المكان المقدس بقوة، فلا يكتفي بالقول للدلالة عليه، بل يعضد ذلك بالإشارة باليد: "وأشار بيده الى مكة" لشدة التأكيد عليه.

٢ - الشخصية :

تمتاز الشخصية في أخبار السيرة النبوئية بأنها مقصورة على شخصية واحدة أو شخصيتين تتلاءم مع بساطة الخبر، وبكونها حقيقية، أي إن لها مرجعية تاريخية واقعية، لكنها ليست الوحيدة في الخبر النبوئي الذي يتداخل فيه النمط الواقعي مع النمط التخييلي، كما أوضحنا سابقاً، حيث تمتزج فيه صور عديدة من الشخصيات مثل تلك التي يقدم لها "فيليب هامون" في صورة ثلاثية وهي[٢]:

- **شخصيات مرجعية:** شخصيات لها سندها المرجعي المعرفي، وحددها بالشخصيات التاريخية والأسطورية والمجازية...
- **شخصيات إشارية:** وهي دليل حضور المؤلف أو القارىء، أو من ينوب عنهما في النص : شخصيات عابرة، رواة وما شابههم.
- **شخصيات استذكارية:** هذه الشخصيات تقوم داخل الملفوظ بنسيج شبكة من الاستدعاء والتذكير بأجزاء ملفوظية.

ولأن شخصيات سيرة ابن هشام شخصيات مرجعية؛ سنكتفي بالصورة الأولى من شخصيات "هامون". وتأسيساً على ذلك، فإن الشخصيات المرجعية لها ثلاثة مستويات عند "سعيد جبار" : "**(شخصيات واقعية):** وهي الشخصيات التي تُحيل الى مرجع واقعي متفرد...ذات مرجعية.. تاريخية.

---

[١]: سيرة ابن هشام :٨٥

[٢]: نقلاً عن : الخبر في السرد العربي،م. س : ١٩٨

...(**شخصيات محاكاتية تخييلية**): وهي شخصيات قريبة من الواقعيـــة...، إلا أنهـــا لا تحيل في مرجعيتها على الواحد المتفرد...مثل الأعرابي، الخليفة..،

...(**شخصيات تخيّليّة استيهامية**): وهي الشخصيات التي لا ترتبط بالواقع، بأي وجـــه من الوجوه، وتجد مرجعيتها في الغالب في ما هو ثقافي معرفي، كالشخصيات الأسطورية الخارقة من الجن"[٣].

وبالرجوع الى الأخبار النبوئية، نســتطيع أن نميــز هــذه الشخصــيات وصــورها ومستوياتها استناداً الى الجدول الآتي :

الخبر النبوئي	الشخصية	صورة الشخصية ومستواها
-خبر الكاهنة الغيطلـــة(ص٨٣-٨٤)	- رئي من الجن	مرجعية تخيّلية استيهامية
- خبر شق وسطيح(ص١١)	- كاهنان	مرجعية محاكاتية تخييلية
- خبر الهاتف من الجن المخبـــر عن هجرة النبي(ص١٩٥)	- رجل من الجن	مرجعية تخيّلية استيهامية
- خبر رؤيا عاتكـــة بنـــت عبـــد المطلب(ص٢٥٠)	- راكب على بعير	مرجعية محاكاتية تخييلية
-رؤيا جهيم في مصارع قـــريش في غزوة بدر(ص٢٥٥)	- رجل أقبل على فرس ومعه بعير	مرجعية

وبتأمل الشخصيات الواردة في الجدول السابق نلاحظ تقليصاً شديداً للشخصيات فـــي الخبر الواحد، حيث يتمركز الخبر حول شخصية واحدة، هي الشخصية الرئيسية، واهمال بقية الشخصيات الأخرى، مما يتواءم مع التكثيف الذي يعمد اليه الخبر النبوئي.

٣ - بناء الحدث:

تسعى الأخبار النبوئية الى تقديم حدث واحد، ينسجم و تقليص شخصيات الخبر، وهذا التمركز حول حدث واحد نابع من بنية الخبر النبوئي البسيطة، أو كما يعبر سعيد يقطـــين

---

[٣] : م. ن : ١٩٩

إن الخبر "أصغر وحدة حكائية"[١]، ولهذا فإن الخبر النبوئي عمد الى تهميش أحداث ثانوية والتمركز حول حدث رئيسي واحد. في الأخبار النبوئية التبشيرية نرصد في الخبر حالة قائمة/حالة توازن ، حيث تبدأ هذه الأخبار من وضع قائم الى مجيء منقذ/ ظهور النبي، وبذلك تكون الأخبار أحادية الحدث ،يتم الحدث فيها عبر شخصيتين :المتنبيء والمتنبأ بها: **وضع قائم(مجتمع المتنبىء قبل الظهور) _ التبشير بظهور منقذ(ظهور النبي) _ حالة جديدة(مجتمع المنقذ).**

كما في الخبر الآتي، وهو خبر تبشير "يُحنّس الحواري" برسول الله(ص) : "فَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُنْحَمَنّا هَذَا الّذِي يُرْسِلُهُ اللّهُ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرّبّ وَ رُوحُ الْقُدُسِ هَذَا الّذِي مِنْ عِنْدَ الرّبّ خَرَجَ فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيّ وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِأَنّكُمْ قَدِيمًا كُنْتُمْ مَعِي فِي هَذَا قُلْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا لَا تَشْكُوَا"[١].

نلاحظ أن شخصية الحواري، هي شخصية المتنبيء، وشخصية النبي(ص) هي الشخصية المتنبأ بها، كما يصف الخبر حالة المجتمع قبل الظهور(مجتمع الشكوى)، الذي ينتقل بظهور المنقذ/النبي الى حالة أخرى(اللاشكوى)، أما في "خبر الطفيل الدوسي" الذي ينتمي الى الخبر النبوئي الحلمي، فإن الحدث يأخذ أبعاداً أخرى يقول الخبر على لسان الطفيل الدوسي، الذي رأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة بعد وفاة النبي(ص): " فقال لأصحابه :إني قد رأيت رؤيا فأعبروها لي، رأيت أن رأسي حُلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة، فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني حثيثاً، ثم رأيته حُبس عني؛ قالوا خيراً؛ قال:أما أنا والله فقد أولتها، قالوا: ماذا ؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه؛ أما الطائر الذي خرج من فمي فروحي؛ وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تحفر لي، فأغيب فيها؛ وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فُقتل رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة،ثم استبلَّ منها، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيداً"[٢].

---

[١]:الكلام والخبر،م.س :١٩٥
[١]: سيرة ابن هشام : ٩٣
[٢]: م . ن :١٥٣

يقدم هذا الخبر ثلاثة مستويات لحدث واحد وهو "مقتل الدوسي وجرح ابنه"، يمثل المستوى الأول الرؤيا، أما المستوى الثاني فيمثله تأويل الدوسي لرؤياه، أما الثالث فيمثله مستوى تحقق الرؤيا. نلاحظ أن الحدث في هذا الخبر النبوئي الحلمي، ينشطر ويتسع، ويتحول الى مساحات أخرى باتجاه الحدث المركزي، وهذا النمو في الحدث، اكسب الخبر تشويقاً وحيوية حكائية، تجاوز فيها الخبر حدوده، بوصفه شكلاً بسيطاً، ليدخل في آفاق حكائية أخرى.

خطاب السرد في الخبر النبوئي

يدل الخطاب"على كل جنس الكلام الذي يقع به التخاطب ،(أي بين مخاطبين أو متخاطبين إثنين)، سواءً كان شفوياً أو مكتوباً"[١] ، ونعني به هنا أركان الخطاب السردي الذي يشمل: الراوي، المروي،المروي له.

١ – الراوي (Narrator):

تقوم الأخبار النبوئية على ثنائية الإسناد والمتن، أسوةً ببقية أخبار السيرة الأخرى. فالإسناد يمثل الصيغة الاستهلالية التي يبدأ بها الخبر النبوئي، كما يمثل "عنصراً ثابتاً، يمكن اعتباره مقوماً أساسياً من مقومات الخبر"[٢] ، والثبات هنا من الناحية البنائية ، أما من حيث المضمون ، فإن لكل خبر سند يختلف عن غيره ، ومانحاً الخبر الثقة والمصداقية، وفي الوقت نفسه فإن السند يمكن أن يكون ستاراً وحصناً للمتن حتى وإن كان هذا المتن غرائبياً وغير منطقي، فالسند قناع يختفي في ظله المتن كما إنه "قناع يختفي وراءه الكاتب"[٣] الذي دوّن الخبر لإقناع المتلقي بحقيقة ما يروي وواقعيته . والسند

---

[١] :خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ،عبد الملك مرتاض، مجلة فصول، مج٩، عدد٤،٣،فبراير ١٩٩١ :٢٠٧

[٢]:الخبر في الأدب العربي،م. س :٢٢٥

[٣]:مملكة الباري، م.س:٩٠

في الأخبار، يمر عبر سلسلة من الرواة ينتهي عند ابن اسحاق الذي يمثل دور "الكاتب" /الراوي ، ثم يتسلم ابن هشام مفاتيح الروي منه ، كل ذلك من أجل تقوية الروي و"لتعزيز المروي على اختلاف نسبة التخييل فيه، ضمن سلسلة سند معلومة"[٤].

لا تخرج الأخبار النبوئية عن التنظيم الثنائي : الإسناد والمتن، الإسناد بوصفه استهلالاً : "قال ابن اسحاق : حدثني ، أو سمعت". وابن اسحاق، يمثل الراوي الأول، أو "قال ابن هشام" الذي يمثل الراوي الثاني، أما المتن الذي يبتدىء بأول كلمة من الخبر. ونستطيع أن نستدل على سلطة الراوي الثاني/ ابن هشام في التحكم في المتن من خلال وسائل يعمد اليها ، نتعرّف عليها من بعض العبارات، التي تبيّن الغامض، أو تظهر موقعه الآيديولوجي، " فكل راوٍ له موقع"[٥]، فمثلاً في "خبر نبوءة بحيرى" نجد الراوي/ابن هشام يعلق على ختم النبوة الذي رآه بحيرى:"ثم نظر الى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم"[١]. فالجملة الأخيرة "كان مثل أثر المحجم" تبين تدخل الراوي في توضيح العلامة، وإعطاء أثر مادي لخاتم النبوة.

كذلك نجد تدخل الراوي في الخبر النبوئي: "صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل"،وهو يوضح معنى "المنحمنا" ومعنى "محمد" بالرومية : فَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُنْحَمَنَّا هَذَا الَّذِي يُرْسِلُهُ اللّهُ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرّبّ وَ رُوحُ الْقُدُسِ هَذَا الَّذِي مِنْ عِنْدَ الرّبّ خَرَجَ فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيّ وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِأَنّكُمْ قَدِيمًا كُنْتُمْ مَعِي فِي هَذَا قُلْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا لَا تَشْكُوَا. وَالْمُنْحَمَنّا(بِالسّرْيَانِيّةِ) : مُحَمّدٌ وَهُوَ بِالرّومِيّةِ الْبَرْقَلِيطِسُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ "[٢]

كذلك نلمس تدخل الراوي في خبر شق وسطيح " حينما تحدث الوقائع التاريخية بما يتشابه مع تأويلهما لرؤيا ملك اليمن، فيقول الراوي لابن هشام :"فهذا الذى عنى سطيح الكاهن بقوله... والذي عنى شق الكاهن بقوله..."[٣].

---

[٤] :استراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،م.س :٧٤
[٥] :الراوي : الموقع والشكل، يمنى العيد، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١/١٩٨٦ :٨٤
[١]: سيرة ابن هشام :٧٤
[٢]: م. ن : ٩٣
[٣]: م.ن :٢١

أما الشواهد الشعرية التي تمتليء بها سيرة ابن هشام[٤]؛ فهي أصدق دليل على اصطناع الوسائل من قبل الراوي لتعضيد رأيه، وإثبات صحة الخبر الذي يؤمن به.

عند تأمل الأخبار النبوئية بقسميها :التبشيرية والحلمية فإننا نتلمس مستويات عديدة للرواة فيها،مثل تلك التي تحدثت عنها شلوميت كنعان Sh.Kenan:[٥]

أ – راوٍ خارجي (External Narrator): الذي يقع خارج الأحداث المسرودة(خارج نصي)، وفي الأخبار النبوئية، يمثل هذا المستوى من الرواة، سلسلة السند الذين روى عنهم ابن اسحاق كما في الخبر الآتي : "قال ابن اسحاق :وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري. قال: حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال: والله إني لغلام يفعه ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب : يامعشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك مالك ؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به"[١].

فسلسلة السند التي تبدأ من "صالح بن ابراهيم"، الى "عن حسان بن ثابت"؛ هي راوٍ خارج نصي ثانٍ يقع خارج الخبر المروي وهو راوٍ تاريخي واقعي، أما ابن اسحاق صاحب جملة "حدثني" فهو راوٍ خارج نصي ثالث، هؤلاء الرواة هم رواة مفارقون لمرويهم يحيون ضمن شروط تاريخية ثقافية معينة، لكن الراوي الأخير في سلسلة السند وهو "حسان بن ثابت "هو راوٍ خارج نصي أول مقارب للحدث، قد جرى الحدث أمامه.

ب – راو داخلي (Internal Narrator)

وهو راوٍ(داخل نصي)، كما نجد ذلك في خبر "الطفيل الدوسي" الذي مر ذكره، فإنه حين قص لنا الرؤيا التي شاهدها في المنام : "رأيت أن رأسي حلق.." فإنه مارس دور الراوي داخل النصي، وتعدد الرواة في الخبر النبوئي "يؤدي غالباً الى تعدد وجهات النظر حول قصة واحدة"[٢]، الأمر الذي يمنح الخبر مصداقية وتأثيراً أكبر.

---

[٤] : للإطلاع : ينظر : م . ن : ٥١٠ وما بعدها
[٥]: ورد في: السرد في مقامات الهمذاني،م.س :١٤٦
[١]: سيرة ابن هشام :٦٦
[٢]:بنية النص السردي، م.س:٤٩

ج-التبئير (Focalization)

"يعرف جيرالد برنس G.Prince التبئير بوصفه:(المنظور الذي تقدم من خلاله المواقف والأحداث المسرودة؛ أو هو الموقع الإدراكي الحسي أو المفهومي الذي تصور من خلاله تلك المواقف والأحداث)"[٣]، أما ميك بال Miek Bal فإنها انتقدت الدراسات التي لم تفرق بين "من يرى ومن يتكلم"، بين صاحب العين وصاحب الصوت[٤]، في إشارة الى الراوي(صاحب الصوت) الذي يسرد لنا المشهد ، وبين المبئر(صاحب العين)، الذي يرى المشهد، ويكون مسؤولاً عنه ، مما يمنح التبئير"مقاماً سردياً"[٥] . ولتقريب الصورة أكثر نستطيع أن نتأمل "خبر حديث الملكين اللذين شقا بطن النبي(ص) في طفولته " وهو خبر ينتمي الى الأخبار النبوئية ؛ كونه يتحدث عن عناية الملائكة بالنبي(ص) وهو طفل صغير إعداداً له من قبل الله تعالى لتحمل النبوة القادمة :

"قال ابن اسحاق : وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.أو عمن حدثه عنه قال :كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية.أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته،تحدث:...، قالت:فرجعنا به، فو الله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهْم خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه. قالت:فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يابني؛ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا به الى خبائنا"[١].

وهنا نتسآءل: ما الفرق بين موقع السيدة حليمة السعدية وهي داخل الخبر /السرد، حينما كانت جزءاً منه، وهي تمارس دوراً داخل الحدث، وبين موقع حليمة السعدية التي قررت فيما بعد أن تقص هذه الحكاية/الخبر، وترويها ؟.

والجواب، هو الفرق بين "المبئر" و"الراوي"، فالسيدة حليمة السعدية هي راوٍ عندما قصت لنا الخبر، بعدما مرت بالتجربة، وأصبحت واعية بحدودها ومغزاها، بخلاف السيدة حليمة المبئر التي كانت موجودة، وقت وقوع الحدث، و وقت مشاركتها فيه، غير منفصلة

---

[٣] :السرد في مقامات الهمذاني، م. س :٤٢

[٤] : ينظر: م. ن: الصفحة نفسها

[٥] :عودة الى خطاب الحكاية،جيرار جينيت ت:محمد معتصم، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - بيروت ط١/٢٠٠٠:٩٥

[١] :سيرة ابن هشام:٦٧،٦٨

عنه، وغير واعية بتطوراته "إن هناك فرقاً بين الإثنين وإن كانا شخصاً واحداً – فرقاً في الوظيفة وفرقاً في المعلومات بصفة خاصة، فالراوي يكاد دائماً يعلم أكثر من البطل حتى لو كان هو نفسه البطل"[٢]، إن أحداث هذا الخبر النبوئي قد مرت من خلال "عين" حليمة السعدية وإدراكها، ومن ثم انتقل الى المتلقي عبر "صوتها"، عندما صاغت هذا الخبر لفظياً،" فمحل التبئير الداخلي يكون داخل الأحداث المتمثلة"[٣]. فالمبئر/السيدة حليمة الذي "رأى" النبي(ص) : "قائماً منتقعاً وجهه"، وهو لا يعلم الى أين تصل الأحداث ، غير ذلك الراوي/السيدة حليمة ، التي "تكلمت" عن ذلك الانتقاع في الوجه ، بعد زمن وبعد أن زال الحدث وأصبح في طي النسيان .

٢– المروي (Narrative)

هو كل ما يصدر عن الراوي ، وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث تقترن بأشخاص، ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان، والمروي الذي نقصده بالبحث هو أخبار السيرة النبوية كما يرويها ابن هشام، التي يعمل البحث على تحليل : **الحدث** ، **الشخصية** ، **الفضاء الزماني والمكاني** لها.

٣– المروي له: (Narratee)

يرتبط مفهوم المروي له بمفهوم الراوي، فلا وجود لأحدهما بدون الآخر...، والمروي له، هو الشخص الذي يوجه اليه السرد، ولا يقتصر المروي له على شخص واحد، بل قد يشمل أكثر من مروي له[١].

أما وظائف المروي له فهي: **التوسط والتشخيص.** فالتوسط من أهم أدوار المروي له؛ حيث يتوسط الراوي والقراء، فهو بذلك يساعد في طرح منظور الراوي بما يشمله هذا المنظور من قيم وأحكام تقع في الأساس منه. أما التشخيص فيكون المروي له

---

[٢] :نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، د.السيد إبراهيم محمد، القاهرة،ط١ /١٩٩٤: ١٥١

[٣] : التخييل القصصي، م ، س : ١١٢

[١]: ينظر: السرد في مقامات الهمذاني ، م . س:٤٧

شخصية داخل الخبر الحكائي، ويتناوب مع الراوي حيث يتبادلان الأدوار، فتارة الراوي يصير مروياً له، وأخرى يتحول المروي له الى راوٍ[٢].

يمكن تحديد المكون الاخير "المروي له" بانه الشخص الذي يوجه اليه السرد داخل النص القصصي سواء كان اسماً متعيناً ضمن البنية السردية، ام كائناً مجهولاً[٣]. وهو عنصر ذو اهمية قصوى في جميع الخطابات، كما انه عنصر فاعل في عملية التأليف وانجاز المؤلفات، فلولا المتلقي لما كان هناك سرد ولا تأليف[٤]. وتتجلى فعاليته في ممارسته عدداً من الوظائف، اذ يمثل حلقة وصل بين السارد والقارىء، ويساعد على تأسيس الاطار السردي، ويفيد في تمييز السارد ويؤكد ثيمات معينة، كما يسهم في تطوير الحبكة، ويصبح الناطق عن اخلاق العمل[٣]. فوجود الراوي والمروي وتجليهما مرهون بوجود المروي له.

نعثر في الأخبار النبوئية على مستويات للمروي له تشابه تلك التي تحدث عنها البحث في الراوي، فهناك المروي له "خارج النصي"، وهو خارج السرد، تمثله سلسلة السند التي روى عنها ابن اسحاق الأخبار النبوئية، وهؤلاء الرواة يتبادلون الأدوار بين أن يكون أحدهم راوياً والأخر مروياً له، وصولاً الى ابن اسحاق الذي سيكون مروياً له لأخر راوٍ في سلسلة السند وبدوره راوياً لابن هشام.

أما المستوى الآخر، من المروي له، فهو المستوى "داخل النصي" الذي يكون داخل نسيج السرد، وهذا يختلف بين خبر نبوئي وآخر، وقد ينعدم في أخبار اخرى، خلافاً للمستوى الأول، الذي كان متشابهاً في الأخبار كلها، ما دام هناك استهلال بالسند في كل خبر. ففي الخبر النبوئي "خبر حديث الملكين اللذين شقا بطنه(ص)، الذي ورد في موضوع التبئير، وهذا الخبر يرويه ابن اسحاق، عن سلسلة من الرواة :"حدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. أو عمن حدثه

---

[٢]: م . ن :٤٩
[٣]: ينظر : الصوت الآخر،م.س: ١٣٠
[٤]:ينظر : الحكاية والتأويل،م.س : ٣٣
(٣): ينظر : المروي له وظيفته وموقعه في البنية السردية، فاضل ثامر، مجلة الاقلام، ع(١١-١٢)، لسنة ١٩٨٩ : ١٣٤.

عنه قال:"[٢] إنتهاءً الى السيدة حليمة السعدية التي تروي هذا الخبر وهي صـــاحبة جملـــة "فرجعنا به" التي تروي الى مروي له هم أصحاب جملة :"قالت" ويقصدون السيدة حليمة. وكل هؤلاء يقعون تحت المستوى خارج النصي للمروي له.

أما المستوى "داخل النصي" للمروي له، فيتمثل بالسيدة حليمة السعدية وزوجها، وذلك عندما يبدأ الراوي/أخو النبي في الرضاعة، بالرواية لهم وهو صاحب جملـــة "ذاك أخـــي القرشي"، بعد ذلك يستمرالخبر، فيتحول الروي الى النبي(ص) عندما يتحدث الى الســـيدة حليمة وزوجها وأخيه عندما يقول :"جاءني رجلان.."، ليصبحوا مروياً له داخل نصي.

وهكذا نخلص الى أن المروي له "يلعب أدوراً مهمة في تشكيل عالم الســـرد ؛ فقـــد يكون قناة اتصال...وقد يدفع حركة السرد ويشارك في رسم أبعاد الشخصيات"[٣].

كما أن المروي له يمثل الفضاء الثقافي للنصوص الذي باستطاعته التحاور مع تلـــك النصوص ومنحها بعداً جديداً.

ومن هنا يمكن الاستنتاج في هذا الفصل أن الأخبار النبوئية بمزجهـــا أنمـــاط الخبـــر :الواقعي والتخييلي و التخيّلي ، فضلاً عن مكوناتها الحكائية ، قد امتازت بثراء ســـردي أسهم في اختراقها بنية الزمان وتمددها في أنساق الثقافة العربية الإســـلامية ، بامتلاكهـــا المؤسسات البنائية المتكونة من عناصر السرد و أركان الخطاب السردي ، لتصبح فاعلية الخبر النبوئي موجهة الى التطلع لولادة النبي محمد "ص" والإعداد النصي لبعثته وربـــط اللحظة الإسلامية ، ربطاً سرديا ، بما قبلها فضلاً عن التوثيق التاريخي لتلـــك النبـــوءات ومعرفة ظروفها والأنساق الثقافية التي شاركت في تحصينها وهي تتوسل بعناصر سردية فاعلة و مؤسسات بنائية ناضجة أكسبت الخبر النبوئي السيري فاعليةً وبعداً .

---

[٢] :سيرة ابن هشام:٦٧

[٣] :السرد في مقامات الهمذاني،م.س:١٥٥

أُنموذج تحليلي

أمر ملك اليمن و قصة شق وسطيح معه

أُنموذج تحليلي
«أمر ملك اليمن وقصة شق وسطيح معه»

انتظمت في أخبار الرؤيا بنية معرفية ، داخل الثقافة الإسلامية، الأمر الذي جعل الحلم أو الرؤيا يعملان، "على تحقيق استشراف لأحداث ستقع في المستقبل، أي كيف يكسر الحلم أو الرؤيا خطية الزمن، ويستبدله بزمن الرؤيا"[١] ، ما يمنح هذه الأخبار ثقلاً معرفياً في المنظومة الثقافية الإسلامية ،التي تعوّل،على البعد الغيبي في بعض استكشافاتها المعرفية.

يسعى البحث الى تحليل أحد أهم الاخبار النبوئية المتمثل برؤيا ملك اليمن ربيعة بن نصر وتأويل شق وسطيح لها؛ لما تكتنزه من تشكيل سردي عالٍ، ومقومات حكائية، وحمولات ثقافية، جعلتها ترتقي الى أن تصبح معياراً فنياً ومعرفياً لأخبار االنبوءات.

ينتمي خبر الرؤيا الى "مبتدأ" ابن اسحاق ، الذي هذبه ابن هشام ، ويبدو لأهميته ولمركزيته في أخبار السيرة ؛ فقد نجح هذا الخبر في المرور من تهذيب ابن هشام ؛ كل ذلك دعانا لاتخاذه "أُنموذجاً تحليلياً" ؛ وفحص بنائه السردي ، و كشف قدرته على نقل الاخبار، من التاريخ الى الثقافة، ومن الواقع الى التخييل، حيث يتعذر السؤال هنا عن "صدق الخبر وكذبه "..والانتقال كذلك بالشخصيات من التاريخ الى الثقافة ، عبر الحراك "السوسيو–ثقافي" ، ما يزيد من بعدها الإشكالي، ويوسع من أفقها الحكائي ، ويبلور بنيتها السردية المتمثلة بعناصر السرد ومكوناته الخطابية. كما يوفر الخبر النبوئي هذا أفقاً تداولياً "دلالياً" لوجود خصائص فنية في بنيته السردية ناتجة من معيارية أدبية ، جعلته يكتفي بذاته وتكتمل دلالاته وهو يمزج بين المرجعية الواقعية والسمة التخييلية في ترتيب خبر النبوءة ترتيباً جمالياً ، أحالت نص النبوءة الى وحدة قصصية ذات مرجعية تاريخية ، وهي تتحدث عن شخصيات عاشت في التاريخ وانتقلت الى الثقافة عبر تمثيلات التطلع الى النبوة والتبشير لها .

---

[١] :السرد العربي القديم:الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل،م. س:٧٢

النص : (أَمْرُ رَبِيعَةَ بْنِ نَصرِ مَلِكِ الْيَمَنِ وَقِصّةُ شِقّ وَسَطِيحٍ الْكَاهِنَيْنِ مَعَهُ)

(رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ نَصرٍ)

"قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : وكَانَ رَبِيعَةُ بْنُ نَصرٍ مَلِكُ الْيَمَنِ بَيْنَ أَضْعَافِ مُلُوكِ التّبَابِعَةِ فَرَأَى رُؤْيَا هَالَتْهُ وَفَظِعَ بِهَا فَلَمْ يَدَعْ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَائِفًا وَلَا مُنَجّمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إلّا جَمَعَهُ إلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ إنّي قَدْ رَأَيْت رُؤْيَا هَالَتْنِي ، وَفَظِعْتُ بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَبِتَأْوِيلِهَا ، قَالُوا لَهُ اُقْصُصْهَا عَلَيْنَا نُخْبِرْك بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ إنّي إنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنّ إلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، فَإِنّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إلّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَهُ بِهَا . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ هَذَا فَلْيَبْعَثْ إلَى سَطِيحٍ وَشِقّ فَإِنّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ مِنْهُمَا ، فَهُمَا يُخْبِرَانِهِ بِمَا سَأَلَ عَنْهُ.

(نَسَبُ سَطِيحٍ وَشِقّ)

وَاسْمُ سَطِيحٍ رَبِيعُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ذِئْبِ بْنِ عَدِيّ بْنِ مَازِنِ غَسّانَ . وَشِقّ : ابْنُ صَعْبِ بْنُ يَشْكُرَ بْنِ رُهْمِ بْنِ أَفْرَكَ بْنِ قَسْرِ بْنِ عَبْقَرَ بْنِ أَنْمَارِ بْنِ نِزَارٍ ، وَأَنْمَارُ أَبُو بَجِيلَةَ وَخَثْعَمَ .

(نَسَبُ بَجِيلَةَ) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقَالَتْ الْيَمَنُ وَبَجِيلَةُ :بَنُو أَنْمَارِ : بْنِ إرَاشِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ : وَيُقَالُ إرَاشُ بْنُ عَمْرِو بْنِ لِحْيَانَ بْنِ الْغَوْثِ . وَدَارُ بَجِيلَةَ وَخَثْعَمَ يَمَانِيّةٌ

(رَبِيعَةُ بْنُ نَصرٍ وَسَطِيحٌ)

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : فَبَعَثَ إلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شِقّ فَقَالَ لَهُ إنّي رَأَيْت رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَظِعْتُ بِهَا ، فَأَخْبِرْنِي بِهَا ، فَإِنّك إنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قَالَ أَفْعَلُ رَأَيْت حُمَمَهُ خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمه ، فَوَقَعَتْ بِأَرْضِ تَهَمه ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ جُمْجُمَهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيحٌ فَمَا عِنْدَك فِي تَأْوِيلِهَا ؟ فَقَالَ أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرّتَيْنِ مِنْ حَنَشٍ لَتَهْبِطَنّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشُ فَلَتَمْلِكَنّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إلَى جُرَشَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَأَبِيك يَا سَطِيحُ إنّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ فَمَتَى ، هُوَ كَائِنٌ ؟ أَفِي زَمَانِي هَذَا ، أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بِحِينٍ أَكْثَرَ مِنْ سِتّينَ أَوْ سَبْعِينَ يَمْضِينَ مِنْ السّنِينَ قَالَ أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ لَا ، بَلْ يَنْقَطِعُ لِبِضْعٍ وَسَبْعِينَ مِنْ السّنِينَ ثُمّ يُقْتَلُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ قَالَ وَمَنْ يَلِي مِنْ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ يَلِيهِ إرَمُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ،

فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ قَالَ أَفَيَدُوم ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ لَا ، بَلْ يَنْقَطِعُ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ نَبِيّ زَكِيّ ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيّ قَالَ وَمِمّنْ هَذَا النّبِيّ ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النّضْرِ ، يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدّهْرِ ؟ قَالَ وَهَلْ لِلدّهْرِ مِنْ آخِرٍ ؟ قَالَ نَعَمْ يَوْمٌ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوّلُونَ وَالْآخِرُونَ يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ قَالَ أَحَقّ مَا تُخْبِرُنِي ؟ قَالَ نَعَمْ وَالشّفَقُ وَالْغَسَقُ وَالْفَلَقُ إِذَا اتّسَقَ إِنّ مَا أَنْبَأْتُك بِهِ لَحَقّ .

(رَبِيعَةُ بْنُ نَصْرٍ وَشِقّ)

ثُمّ قَدِمَ عَلَيْهِ شِقّ ، فَقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ لِسَطِيحٍ وَكَتَمَهُ مَا قَالَ سَطِيحٌ لِيَنْظُرَ أَيَتّفِقَانِ أَمْ يَخْتَلِفَانِ فَقَالَ نَعَمْ رَأَيْت حُمَمَهُ خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمه ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكَمَهْ فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ نَسَمَهْ .قَالَ فَلَمّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَعَرَفَ أَنّهُمَا قَدْ اتّفَقَا وَأَنّ قَوْلَهُمَا وَاحِدٌ إِلّا أَنّ سَطِيحًا قَالَ " وَقَعَتْ بِأَرْضٍ تَهَمَهْ فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ جُمْجُمَهْ " وَقَالَ شِقّ : " وَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكَمَهْ فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ نَسَمَهْ " . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا أَخْطَأْت يَا شِقّ مِنْهَا شَيْئًا ، فَمَا عِنْدَك فِي تَأْوِيلِهَا ؟ قَالَ أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرّتَيْنِ مِنْ إِنْسَانٍ لَيَنْزِلَن أَرْضَكُمْ السّودَانُ ، فَلَيَغْلِبُنّ عَلَى كُلّ طَفْلَةِ الْبَنَانِ وَلَيَمْلِكُنّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَى نَجْرَانَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَأَبِيك يَا شِقّ ، إِنّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ فَمَتَى هُوَ كَائِنٌ ؟ أَفِي زَمَانِي ، أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بِزَمَانٍ ثُمّ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْهُمْ عَظِيمٌ ذُو شَأْنٍ وَيُذِيقُهُمْ أَشَدّ الْهَوَانِ قَالَ وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشّانِ ؟ قَالَ غُلَامٌ لَيْسَ بِدَنِيّ وَلَا مُدَنّ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي يَزَنَ فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ، قَالَ أَفَيَدُومُ سُلْطَانُهُ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ بَلْ يَنْقَطِعُ بِرَسُولِ مُرْسَلٍ يَأْتِي بِالْحَقّ وَالْعَدْلِ بَيْنَ أَهْلِ الدّينِ وَالْفَضْلِ يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ قَالَ وَمَا يَوْمُ الْفَصْلِ ؟ قَالَ يَوْمٌ تُجْزَى فِيهِ الْوُلَاةُ وَيُدْعَى فِيهِ مِنْ السّمَاءِ بِدَعَوَاتٍ يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ وَيُجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ النّاسِ لِلْمِيقَاتِ يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ اتّقَى الْفَوْزُ وَالْخَيْرَاتُ قَالَ أَحَقّ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ إِي وَرَبّ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفْعٍ وَخَفْضٍ إِنّ مَا أَنْبَأْتُك بِهِ لَحَقّ مَا فِيهِ أَمْضِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَمْضِ يَعْنِي شَكّا ، هَذَا بِلُغَةِ حِمْيَرَ ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَمْضِ أَيْ بَاطِلٌ .

(هِجْرَةُ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ إِلَى الْعِرَاقِ) فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ مَا قَالَا . فَجَهّزَ بَنِيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَى الْعِرَاقِ بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَكَتَبَ لَهُمْ الَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ يُقَالُ لَهُ سَابُورُ بْنُ خُرّزاذ ، فَأَسْكَنَهُمْ الْحِيرَةَ "[١]

الفضاء الثقافي للنبوءة

مثلت النبوءة أزمنة مختلفة : **الزمن قبل البعثة**/زمن النبوءات التي سبقت الإسلام **و الزمن بعد البعثة**/زمن النبي"ص" و **زمن التدوين**/زمن ابن اسحاق و**زمن التهذيب** /زمن ابن هشام. وقد اقتصر مغزاها الثقافي قبل البعثة **بالتبشير للنبوة** الإسلامية القادمة بوصف النبوة ثقافة ذات حضور ديني متجدد ، ومتأصل وممتد امتداداً منهجياً للنبوات التي سبقت الإسلام . أما حضور النبوءة الثقافي بعد البعثة فقد عمل على تقوية بعثة النبي "ص" ، بعد تكذيب الناس له ، كما عملت في زمن التدوين والتهذيب على **تثبيت مركزية النبوة** في الثقافة الإسلامية . فقد تضمن بناء نص النبوءة الجمالي نسقاً ثقافياً مضمراً تحت طبقاته "وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر"[١]. مما يدعو الى القول بأن نص نبوءة شق وسطيح امتلك معنىً ثقافياً مخبوءاً تحت طبقاته تمثل في توظيف رواياته للاخبار، من أجل ان تعمل آيديولوجياً، ومعرفياً في زيادة تثبيت النبوة داخل الثقافة ، إذ يمكن أن يعمل الخبر/الرؤيا، بوصفه منظومة مصغرة، داخل منظومة الثقافة الكبرى، مما يؤمّن للاخبار أن تنتقل من كونها وقائع مجردة الى مستوى سردي خلاق، يمكن النظر، حينها، الى الرؤى بوصفها منظومة ثقافية تحاول ان تملأ فراغا سردياً بين ثقافتين : جاهلية وإسلامية. إن النبوءة بناءً على ذلك حققت مستوى من مستويات **سلطة الثقافي** المتمثل بالحضور الديني ، و "الحضور الديني في حياة الناس يشير الى وعي ما ..أصبح حقيقة واقعة يختلف بشأن حجمه ، ومدى درايته وعمقه لكنه أمر ثقافي"[٢]. الأمر الذي جعل نبوءة شق وسطيح ، فضلاً عن النبوءات الاخرى ، تمارس هذا الحضور الديني ،

---

[١] : سيرة ابن هشام : ١١ ،١٢

[١] : نقد ثقافي أم نقد أدبي ، م . س : ٣٠

[٢] :النظرية والنقد الثقافي ،الكتابة العربية في عالم متغير : واقعها ، سياقاتها ، وبناها الشعورية ، محسن جاسم الموسوي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١/٢٠٠٥ :٩٥

بوصفها نبوءة ثقافية ، أكثر من كونها نبوءة حُلمية عابرة تتحدث عن ملك وكاهنين ، وهذا هو الخطاب الكامن تحت نصها البنائي الجمالي.

وتأسيساً على ذلك فإن النبوءة أضحت **وسيطاً ثقافياً** يعمل من أجل الإعداد النصي للتبشير بالبعثة النبوية وتثبيت مركزيتها فيما بعد ، داخل معطيات الثقافة القادمة ، ومحاولة المزج بين الأخبار داخل الثقافتين ، خوفاً من القطيعة المعرفية بينهما.

بالرجوع الى نص نبوءة شق وسطيح المدونة، نجد فيها تعابير تشترك في المنظومة اللغوية الإسلامية، فالقرآن الكريم اعتمد الكثير من التعابير المستخدمة في لغة العرب، فقوله : "إني رأيت" تنتمي الى الجملة القرآنية "إني أرى" المتكررة التي تصف الرؤيا في النص القرآني(*) ، كما أن قوله : "أو سبعين يمضين من السنين،.. لبضع وسبعين من السنين"(١)، تنتمي أيضاً إلى الأنساق الإسلامية التي تعتني بالعدد "سبعة" ومشتقاته، حتى أصبح هذا العدد نسقاً متكرراً في الأدبيات الإسلامية، كذلك فإن تعابير من مثل : "يوم يجمع فيه الأولون والآخرون – والشفق والغسق والفلق إذا اتسق – يوم الفصل – رب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض"(٢)، تنتمي إلى الأبنية اللغوية القرآنية، في آيات معروفة، كل ذلك يؤكد بأن الحادثة التاريخية ، عندما تدون و يعاد إنتاجها من جديد ؛ تتسرب ثقافة عصر تدوينها إلى عملية سردها ، في أدائها الصياغي وفاعليتها اللغوية، فابن اسحاق الذي ينتمي إلى القرن الثاني الهجري، يروي أحداثاً، وقعت قبله بمئات السنين، مما يجعل تداخلاً حاصلاً بين لحظة الواقعة ولحظة تدوينها ، وإعادة صياغتها نصياً، فضلاً عن الترسبات الثقافية التي تراكمت عليها من خلال مرورها عبر الرواية الشفوية، وهذا التداخل بين زمن النبوءة قبل البعثة و زمن تدوينها يمحو التباين القيمي بين الزمنين/الثقافتين ، كما تتم كذلك إزالة القيم التي لا تنسجم و قيم ثقافة التدوين ، كما أن تدوين الحادثة التاريخية يسمح بتسرب الآيديولوجية والرؤية وحمولات الثقافة الجديدة للنصوص "وذلك هو أن الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن"(٣) ،

(*) : ينظر :الانفال:٤٨-يوسف:٤٣-الصافات:١٠٢،وغيرها من آيات

(١) :سيرة ابن هشام:١١

(٢) :م. ن :١٢

(٣): نقد ثقافي أم نقد أدبي ،م . س : ٣٣

من خلال مفهوم "إعادة التوجيه" للنصوص – إعادة التوجيه لا يختلق الأخبار ، بقدر ما يمنحها الحصانة عبر تهذيبها من التراكمات ؛ كي تتواءم مع الثقافة التي تمر عبرها ، و يضفي عليها مزاج الثقافة الراهنة واشتراطاتها – مما يوفر إمكانية امتزاج معطيات ثقافية مع معطيات ثقافية أخرى، الأمر الذي يفسر العثور على قيم وتعابير إسلامية في نصوص تنتمي إلى العصر الجاهلي، فمثلاً ورود فكرة "القيامة" في خبري شق وسطيح ومفهوم "العقاب والثواب" ، وهي معطيات اسلامية خالصة ، وهما دليل على التداخل الحاصل بين الثقافتين إذ يقوم التدوين بإدخال تلك المفاهيم في الثقافة السائدة ،لأنه قراءة جديدة لحوادث السيرة ، وتأويل لها ، كما أن النص الأدبي سيخضع ، الى حدٍ ما الى رغبات السلطة ورغبات الناقد اللذين يشكلان نسقاً ثقافياً ، إذ أن "التعامل مع النص الأدبي من منظور النقد الثقافي ، يعني وضع ذلك النص داخل سياقه السياسي من ناحية ، وداخل سياق القارئ أو الناقد من ناحية أخرى"[١] . وهو ماعمل عليه ابن اسحاق عندما دون السيرة على وفق رغبة الخليفة المنصور، وما هذبه ابن هشام بناءً على سياقاته النقدية وسياقات النسق الثقافي المحيط به. وهذا ما يفسر حرص ابن هشام على إعادة إنتاج مدونات ابن اسحاق ، وكل ذلك من أجل ان تخضع هذه الأخبار/الرؤيا للموجّه النسقي الذي يبشر بالنبوة ويتطلع الى توطينها داخل الثقافة.

بناء السرد في النبوءة

ـ بنية العنوان

يجنس ابن هشام النبوءة بأنها "قصة" ، من خلال العنوان الفرعي :"أمر ربيعة بن نصر ملك اليمن وقصة شق وسطيح معه "، وهذا العنوان الداخلي(قصة)، ينسجم مع العنوان الخارجي للكتاب(سيرة)، والقصة والسيرة "نوع" يجمعهما "جنس" السرد، كما يجمع "أنواعاً" أخرى، والقصة قد تكون موازية للحكاية، أو هي مجموعة من الحكايات[٢]، وتتكون القصة وكل أنواع السرد من أخبار، والخبر أصغر وحدة حكائية، والحكاية تراكم

---

[١] : مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ،(المنطلقات ، المرجعيات ، المنهجيات) ، د. حفناوي بعلي ،الدار العربية للعلوم-منشورات الإختلاف ،الجزائر- بيروت ،ط١/٢٠٠٧ :٤٧

[٢]: ينظر: الكلام والخبر، م. س :١٥٠

مجموعة أخبار، والقصة تراكم مجموعة من الحكايات، والسيرة تراكم مجموعة من القصص[٣].

نبوءة شق وسطيح ، هي مجموعة أخبار تنتظم فيما بينها لتشكيل "قصة" ، وتتواصل مع بقية أخبار الكتاب، التي ترتبط بحياة شخص النبي(ص)، لتشكل نوع "السيرة النبوية".

نلاحظ أن "شق" تقدم على "سطيح" في بنية العنوان اللغوية، أما في الحكاية فإن "شق" قدم على الملك متأخراً وسبقه "سطيح"، ويبدو أن الإيقاع في البنية اللغوية، جعلت السارد يقدم "شق" على "سطيح" في البنية اللفظية للعنوان، كما أن لفظ "أمر" قد أسند إلى ملك اليمن، فيما أسند عنوان "قصة" إلى "شق وسطيح"، إشعاراً، بتحديد نوع الجنس، حيث يوصف العنوان بأنه مؤشر إجناسي، "يأتي ليخبر عن الجنس الذي ينتمي إليه هذا العمل الأدبي أو ذاك"[١]، لتأتي بعد ذلك الوظيفة السردية للعنوان التي تمتلك شحنة دلالية، تشعر بأن الملك/فاعل النبوءة، أقل حضوراً من فعل النبوءة وفاعليتها في النص، لتكتمل بذلك وظائف العنوان :التعيينية ، والوصفية ، والإيحائية ، والإغرائية[٢]. كما أن إيراد اسماء أشخاص في العنوان "يمكن عدّه كذلك ملمحاً على استدراج المتلقي للتسليم بأنه أمام شخصيات لا مجال للشك فيها، ومن ثمة لا مجال للشك أيضاً في ما يخبر به عنها"[٣]. وبالنتيجة فإن "العنونة" في النبوءة تمنح النص هويته وبعده الفني وتسهم بإضاءته وتوجيه تأويله– من خلال ربط العنوان بخيط المتن ، واقامة علاقة جدلية بينهما–وتحديد وظائفه الإفهامية والمرجعية.

– بنية الفضاء السردي :

– الزمن السردي:

ينفتح زمن النص مع إنفتاح الحدث ، وينشطر إلى: زمان واقعي، يخضع للتجربة المألوفة، المتمثلة بحضور "ربيعة بن نصر"، الذي ملك اليمن وهو من ملوك التبابعة في

---

[٣]: ينظر: م. ن : ١٩٥
[١] : عتبات ، جيرار جينيت:٩٧ نقلاً عن :{عتبات(ج. جينيت من النص إلى المناص) ، م. س :٨٩
[٢]: م . ن : ٨٦ ـ ٨٨
[٣]:عتبات المحكي القصير،في التراث العربي والاسلامي،م.س :١١١

زمن واقعي تاريخي حقيقي: "كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة"[٤]، وهو "زمن القصة" الذي يختلف عن "زمن السرد"[٥]، وزمن السرد في تأويل النبوءة، هو زمن غيبي عجائبي، يخترق الزمان المألوف[٦]، لكنه يتداخل مع الزمن الواقعي و يمتزج التخييلي بالواقعي التاريخي، بهدف تعميق مصداقية النص، وتحويل المتخيل إلى ما يملك واقعية الفعلي"[٧]، مما أكسب محمولات الخبر، التي انشغل التأويل بإضاءتها وبيان سماتها، الوثوقية والمصداقية، عبر الانتقال بها، من لغة الحلم، الى لغة التأويل ، و من لغة الحالم الى لغة المؤول ، بما يحمله الحلم من سمات رمزية خاصة ، و بما يتطلع التأويل الى المستقبل ويتنبأ به، وفي جوهر هذا المستقبل تقع النبوءة المحمدية، بوصفها قلب الرؤيا التي هيأت للخبر مساحته المؤثرة، في السيرة النبوية، وقد شغلت جزءاً من تاريخ معرفي عام، يتطلع للنبوة، ويشهد على وقوعها.

في نص النبوءة يوجد زمن مركزي ، يُعدُّ النواة المركزية للسرد تتمحور حوله الأحداث و "يتعاضد مع زمنين آخرين هما: زمن القص(قص الرؤيا)، وزمن التأويل، الذي يقوم به متلقي هذا النص"[١]. كما يحقق المكون الزمني"الاستباق" الذي يعني أن أحداثاً سوف تقع في المستقبل، ولكن عبر "القص الاسترجاعي" للنبوءة التي يأتي سردها "بصفة استرجاعية جرت أحداثها في عالم اللاوعي والحُلم والرؤيا ..فتوحدت في أسلوب سردي يعتمد استرجاع الحدث الذي جرى في وقت المنام"[٢] . تتحكم بالإيقاع الزمني للنبوءة تقنيات زمنية سردية، وهي التقنيات التي ذكرها "جيرار جنيت" في كتابه "خطاب الحكاية"[٣] ، وتتمثل هذه التقنيات بـــ:

-(التلخيص sommaire): وهو تسريع زمن القصة من خلال تكثيف الأحداث.

---

[٤] : سيرة ابن هشام :١١
[٥] : ينظر:بنية النص السردي.م.س:٧٣
[٦] : ينظر: قال الراوي ،م . س : ٢١٨
[٧] : الأدب العجائبي والعالم الغرائبي،م.س:٤٠
[١] : السرد العربي القديم :الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل،م. س:٧٢
[٢] : بنية السرد في القصص الصوفي ، م . س :١٠٠
[٣] : ينظر:خطاب الحكاية،م.س:١٠٨-١٢٢

-(الوقف Pause):حيث يكون زمن القصة متوقفاً، وزمن السرد متسارعاً، ويتم ذلك من خلال المشاهد الوصفية.

-(الحذف Ellipsis): حيث يكون زمن السرد متوقفاً، وزمن القصة متسارعاً، من خلال تلخيص الأحداث الممتدة ، وحذف الأحداث الثانوية ، و حرق المراحل وصولاً الى قلب الحدث.

-(المشهد Scene): وفيه يتساوى زمن القصة مع زمن السرد، من خلال حوار الشخصيات داخل الحكاية، وهو ما يعرف بمسرحة الأحداث..

نستطيع أن نقف على المحطات الزمنية للنبوءة بكل مستوياتها من خلال الملاحظات التالية:

- نسجل حضور زمن مركزي، يعد نواة النبوءة، و يمكن القول بأن النبوءة هي تلخيص الأحداث بالزمن، فمع انفتاح الحدث تهيمن مقولة الزمن لحين انغلاق النبوءة. يسيطر الزمن وتقلباته على مقاليد الحكي وصولاً إلى "المغزى Theme"، المتمثل بظهور "نبي زكي"، مما يدل على امتداد زمن النبوءة واتساعه، بحيث يستحيل زمن النبوءة إلى "مرجعية زمنية" تتأطر أحداث النبوءة فيها.

- نسجل حضور حدث مركزي، يجعل السارد يهتم بأجزائه المتقطعة :(خرجت، وقعت، أكلت) -(تهبطن أرضكم، تملكن..) -(بعده، لبضع، ثم) والحدث نبوئي، لأنه حدث استباقي يستدعي زمناً استباقياً، يكون فيه زمن السرد/ الحكي سابقاً لزمن القصة/ الحدث.

- يوظف زمن النبوءة تقنيات الزمن السردي، كما اقترحها "جيرار جينيت"، فقد "لخصت" النبوءة أحداثاً يفترض أنها جرت خلال مئات السنين، من دون التعرض للتفاصيل، وهنا تم تسريع الزمن وتكثيفه.

كما أن الوصف في نص النبوءة من مثل: "نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي...رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك...يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.."[1]، قد أحدث "وقفاً" في زمن القصة / الحدث، بينما

[1]: سيرة ابن هشام :١١

يستمر زمن السرد بالتسارع، إلى حين يتم الانتهاء من المشاهد الوصفية ، فيعاود زمن القصة سيرورته الزمنية.

في نص النبوءة نرصد اختصاراً و"حذفاً" للأحداث الثانوية، فمثلاً قوله : فقال له كقوله لسطيح"، أو عبارات من مثل : "بعده بحين،..لبضع وسبعين من السنين...، ثم..، إلى آخر الدهر"[٢]، تشكل قطعاً مصرحاً به، وهذا القطع أحدث حرقاً في المراحل الزمنية، وصولاً الى الحدث المركزي، حينها يكون زمن السرد متوقفاً، و منتظراً زمن القصة المتسارع ليطوي أحداثاً ثانوية، لا يعتني بها السرد، فلفظة "ثم" مثلاً تختزن في داخلها عشرات، بل مئات السنين التي تم القفز عليها وتجاوزها.

كما يسجل "المشهد الحواري" بين شخصية ملك اليمن /الرائي، و المؤولين/ سطيح وشق تساوياً بين زمن القصة، و زمن السرد، وهو شكل من أشكال "الحوار المروي"[*]، حيث يتدخل فيه الراوي، ويجري على لسانه، فمثلاً حين يتسآءل ملك اليمن قائلاً:

– "قال: أ فيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟

– قال: لا، بل ينقطع.."[١]

فإن هذا الحوار يوحد إيقاع الزمن للنبوءة، ويخضع السرد لعملية التقطيع والتداخل، وإسماع الأصوات السردية المهيمنة في النص، لتحقيق مسرحة النبوءة، وزيادة دلالاتها في الإقناع، وخلق فعاليات سردية، يتحول فيها الراوي الى شخصية من شخصيات النص، مما يشحن النص بالدلالات المناسبة. بحيث يحقق الحالم "زمناً عجائبياً يجب أن يتلقاه المتلقي بالتصديق. وقد يتماهى في بعض الأحيان معه"[٢].

كما أن بنية الزمن السردي في النبوءة تنمو و تتدرج وصولاً إلى "الزمن المقدس" المتمثل بظهور النبي(ص)، لترسم الشخصية المركزية في سيرة ابن هشام صورة في

---

[٢]: م . ن : الصفحة نفسها

(*): يعرف جيرار جنيت الحوار المروي بأنه : أبعد الحالات مسافة وأكثرها اختزالاً، يصوغ الراوي فيه ما تقوله الشخصيات بأسلوبه الخاص، مجسداً أياه عبر الافعال والاحداث:ينظر: خطاب الحكاية،بحث في المنهج،م.س :١٨٥

[١] :سيرة ابن هشام:١١

[٢] :السرد العربي القديم ، ضياء الكعبي :٧٢

الزمن "الما قبل" و "الما بعد"، كل ذلك من أجل تثبيت هذه الصورة في الثقافة ، و إثبات أن زمن النبوءة له القدرة على تحطيم الحواجز بين الأزمنة .

- فضاء المكان السردي:

تستدعي حركة السرد تنويعاً في الفضاءات المكانية للنبوءة في مستوياتها الثلاثة : النبوءة، التأويل، التفسير، كما يغذي المكان دلالات النص ومعانيه، "فالمكان ليس مسطحاً أملسَ أو بمعنى آخر ليس محايداً أو عارياً من أية دلالة"[٣]،إن الأماكن الموزعة في النص هي التي تشكل عنصر المكان في النبوءة ،(فاليمن) هي الفضاء المولد ، إلا أن بنية المكان في النبوءة يطرأ عليها نوعٌ من التحول والنمو، فاليمن وهي مكان واقعي(تاريخي) سيكون(الرحم المكاني) الذي سيولد شجرة من الأماكن العجائبية/الحلمية. تأخذ الاماكن مستويات متعددة في الرؤيا، وفي تأويل سطيح وشق لها،فترد أماكن، مثل:(أرض تهمة_ روضة وأكمة- أرضكم- بين أبين الى جرش- نجران، اليمن الحلمية- عدن- بيت ذي يزن- مكة(بالتلميح).

شجرة الأماكن هذه في النبوءة، هي مسميات مجازية غير واقعية، لم توصف ولم تحدد ، فخفوت الفضاء المكاني يمنح الأضواء لمناطق أُخر في نص النبوءة . لكن هذا الغموض، يتلاشى حينما نعرف أن ذكر لفظ المكان المجرد من الوصف ليس "أملسَ" من الدلالة، "فاليمن" التي هي الفضاء المركزي لولادة الفضاءات الحلمية الأخرى، تحيلنا إلى "السعادة" والى "البركة" المأخوذة من المعنى المعجمي للفظة "يمن"[١]، كما أنها تدل على التغير للأفضل.

تضمنت مجمل الفضاءات المكانية للنبوءة وحدة في الدلالة هي التبدل والتغير، فمع انفتاح الحكاية، تمارس الفضاءات مهمة توجيه سيرورة الأحداث نحو المغزى. والتحول في الزمن والحدث اقتضى تحولاً في المكان، إشعاراً بأن الفضاء هو مفتاح التحول، "حيث أن المكان يمكنه أن يكون دالاً أيضاً على وجهة النظر التي يحملها النص السردي"[٢]،

---

[٣] :بنية النص السردي،م.س : ٧٠
[١] :ينظر:لسان العرب،م.س :ج١٣،مادة يمن :٤٥٨
[٢]:السرد في مقامات الهمداني، أيمن بكر:٥٧

فيكون الفضاء "ديكوراً" لتأثيث المشهد، وتغذيته بالدلالات، ومعادلاً رمزياً في البنية السردية، وهكذا يعطي فضاء(عدن)أو(مكة) الملمح لها ضمنياً، دلالة دينية :"جنة عدن"، "الكعبة"، وقد مثلت(مكة) الفضاء الاخير داخل الحكي، أما "العراق – الحيرة" فقد مثلت فضاءً أخيراً خارج الحكي، إذ أن الحكي انتهى بآخر كلمات تلفظ بهما سطيح وشق : "إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض" وهي **خاتمة أولى**، ثم انتهى الحكي واستمر النص بكلام السارد : "فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا...فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق...فأسكنهم الحيرة"[٣]، وقد شكل هذا الكلام **خاتمة ثانية للسرد**. وبذلك يكون الفضاء نامياً ومتسعاً حسب نمو الحدث واتساع دلالاته.

– بنية الحدث :

عملت النبوءة على تقديم حدث أساسي واحد، ابتداءً من رؤيا ملك اليمن وانتهاءً بتأويل الكاهنين سطيح وشق وتفسيرهما، فكان الحدث المركزي هو "تقلب الدهر في اليمن تمهيداً لظهور النبي(ص)"، وهذا الحدث مرتبط ارتباطاً مباشراً بالفضاء المكاني والزماني، فالفضاء أحد ركائز الحدث، بل لا يمكن فصل الحدث عن الفضاء وعن الشخصية إلا إجرائياً لمعرفة بنية كل منهما، فالحدث هو حركة الشخصية نحو هدف ما داخل فضاء محدد. وعلى الرغم من تغير الشخصية في تأويل النبوءة وتفسيرها، أي سطيح ثم شق، فإن الحدث بقي ثابتاً ومكرراً ومنتشراً على مساحة السرد "متيحاً للصورة الكلية أن تتكامل ، أي أن السرد المنتشر يشتغل تفصيلاً ومروراً على الأسئلة المثارة ،فيأتيها واحداً بعد الآخر"[١] .

النبوءة ، بوصفها خبراً ، تنتمي إلى الأخبار الأدبية، التي لها جانبان : "أحدهما ثابت هو الوظائف ، والآخر متغير هو الشخصيات"[٢]، عمل الكاهنان سطيح وشق على تقديم حدث واحد، امتلك "مشتركاً سردياً"، بحيث يمكن عد أحدهما "توأماً سردياً" للآخر، أشبه شيء بفلقتي المحارة التي تختزن داخلها لؤلؤة الحدث المتكرر، ويسمى "**بالبناء المكرر**"

---

[٣]: سيرة ابن هشام :١٢
[١] : سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ،م . س :٦٤
[٢]:الخبر في الأدب العربي :٣٧٢

وهو يطلق على البناء الذي يتعدد سرد الحدث الواحد فيه، تبعاً لتعدد الرؤى[٣]. و هو أحد نظم صوغ المتون في السرد الحديث ، بحيث تعتمد نظاماً يكررها ، وهذا النظام يعطي للرؤية السردية مكانةً أولى في صوغ المتن[٤].

عمل ابن هشام على إثبات النبوءة تاريخياً، فبعد أن يذكر قصة شق وسطيح يستمر ابن هشام في إيراد الأخبار، التي تأتي لتحقق النبوءة، حيث يذكر ابن هشام خبر "ذي نواس" اليهودي صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم، الذي أحرق أهل نجران بعد اعتناقهم المسيحية، و بعد أن خيّرهم بين اعتناقهم اليهودية أو القتل فأختاروا القتل، فنجا رجل منهم يقال له "دوس ذو ثعبان"، فاستغاث بملك الروم، الذي نصحه أن يستغيث بملك الحبشة النجاشي، ففعل ذلك، ثم أن النجاشي جهزه بجيش وأمّرَ عليهم رجلاً يقال له "أرياط"، وكان مع أرياط "أبرهة الأشرم"، فهزم أرياط الحبشي ذا نواس[٥]، وهنا يمارس ابن هشام، وظيفة "التعليق"، بوصفه راوياً للحادثة بقوله : "فهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله:" ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش". والذي عنى شق الكاهن بقوله:"لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران"[١].

ثم يستمر ابن هشام في إيراد الأخبار التي تؤكد حصول النبوءة فيقول: أن أبرهة الأشرم نازع أرياط أمر الحبشة فقتله أبرهة، وأبرهة الأشرم هذا هو الذي أراد هدم الكعبة، وهو صاحب الفيل المذكور في القرآن الكريم، الذي هلك، ثم جاء بعده أبارهة آخرون، آخرهم اسمه مسروق بن أبرهة، الذي خرج عليه سيف بن ذي يزن المذكور نصاً في النبوءة، واستنصر سيف بن ذي يزن كسرى على قتال أبرهة، فجهزه بجيش وأمر عليه وهرز، فهزم سيف ووهرز الفارسي أبرهة.

وهنا يعلق السارد/ ابن هشام على أمر سيف بن ذي يزن بقوله :"وهذا الذي عنى سطيح بقوله :"يليه إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن".

---

[٣] : ينظر : البناء الفني لرواية الحرب في العراق، م. س : ٦٥.
[٤] :ينظر:المتخيل السردي،م.س: ١١١،١١٢
[٥] : ينظر: سيرة ابن هشام:١٩،٢٠
[١] : سيرة ابن هشام : ٢١

والذي عنى شق بقوله:"غلام ليس بدني ولا مدن، يخرج عليهم من بيت ذي يزن"[٢] ثم يقول ابن هشام: "..فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة، اثنتين وسبعين سنة...حتى بعث الله محمداً النبي صلى الله عليه وسلم"[٣].

ثم يعلق ابن هشام على ذلك بقوله: "فهو الذي عنى سطيح بقوله: نبي زكي، يأتيه الوحي من قبل العلي، والذي عنى شق بقوله: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، ويكون الملك في قومه الى يوم الفصل"[٤].

تلك هي تعليقات ابن هشام على نبوءة شق وسطيح ، التي هي رواية مرسلة ينقلها ابن هشام عن ابن اسحاق، تؤكد على أن هذا السرد "يمكن ببساطة أن يدخل في إطار التاريخي الموثق أو المعقول القابل للتوثيق...إنه يسرد الخارق المتخيل بوصفه توثيقاً تاريخياً عادياً"[٥]. و لا يستغني التاريخ عن النبوءة ، لتثبيت نفسه ، كما لا تستغني النبوءة عن التاريخ في محاولة نقل نفسها من المستوى السردي العجائبي إلى المستوى السردي التاريخي، وصولاً إلى المغزى: تثبيت حضور النبي(ص) في الثقافة.

أسهمت رؤيا ملك اليمن بتوالد الحدث واستنبات الدلالة، من خلال تأويل سطيح وشق وتفسيرهما، فالرؤيا هي القصة الإطارية، أوالرحم النصي، "الذي يعمل باعتباره مركزاً لعدد غير متناه من الدوائر...ولكنها متشاركة في بؤرة مرجعيتها"[١]، فتغير الحوادث في الزمن الاستباقي، الذي توصل إلى تأويله سطيح وشق، ينبع من رؤيا ملك اليمن، حيث أن "ظهور قصة من قصة عن طريق تنمية نواة أساسية وتطويرها...يسمح بسرود كثيرة تنفتح من النواة، ويمكن أن تستنبت القصة الواحدة أكثر من نواة"[٢]، وبالنتيجة يثمر السرد عن "عناقيد" من الحوادث المنشطرة عن بعضها البعض ، تغذي جميعها الحدث الرئيس

---

[٢] :م . ن : ٣٢
[٣] :م . ن :الصفحة نفسها
[٤] : م . ن : ٣٠، ٣٢
[٥] : الأدب العجائبي والعالم الغرائبي، م.س:١١
[١]: البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة ،فريال جبوري غزول،مجلة فصول،الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة،عدد٤ ،شتاء١٩٩٤ :٨٦، ٨٧
[٢]:مملكة الباري ،م . س:٢٠١

ودلالته في اختراق النبوءة بنية المعرفة وانزراعها في جسد الثقافة ، بوصفها حدثاً نبوئياً يعمل على التبشير بالنبوة .

- الشخصية:

تمتاز شخصيات النبوءة بأنها حقيقية من "دم ولحم"، "ورغم هذا الإيهام تظل الشخصيات مجرد كائنات ورقية وليست من دم ولحم"[٣]، ويتم هذا الانتقال بالشخصية من مستواها التاريخي الى المستوى التخييلي /السردي، عبر إعادة خلقها من جديد نصياً، وهذا "الخلق" هو الذي يكسب الشخصية خصائص سردية فنية فائقة. فالشخصيات وبعد أن يقوم السارد بتنقيتها تنقل من التاريخ إلى حقل الأدب، ويحافظ على خصوصيتها وعلى إرثها التاريخي، وعلى الرغم "من ورقيتها في العمل السردي، تمثل أهمية قصوى...فهي الشيء الذي تتميز به الأعمال السردية"[٤].

تتقاسم النبوءة ثلاث شخصيات هي: فاعل الرؤيا/ملك اليمن، ومؤولا الرؤيا : سطيح وشق، وهذه الشخصيات الثلاث سخرت الشخصيات الأخرى في النبوءة من أجل بناء نفسها، فقد تقاسمت عنوان النبوءة :(أمر ربيعة بن نصر ملك اليمن وقصة شق وسطيح الكاهنين معه)، وقد أضاء نص النبوءة هذه الشخصيات انسجاماً مع وظيفتها، وهو أمر قائم "يجسده وضع الشخصية، وفاعلية مشاركتها في واقعة النص"[١]، وعلى النحو الآتي:

- ملك اليمن:

يقدم نص السيرة هذه الشخصية الرئيسة، بتوفير المعلومات حولها : "وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن، بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤية هالته...فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً،ولا منجماً من أهل مملكته الا جمعه اليه"[٢] . يدرج ابن هشام إضاءة هذه الشخصية، بتقديم الإسم أولاً :(ربيعة..)، ثم سلطته بوصفه :(ملك اليمن)، ثم يصفه :(بين أضعاف ملوك التبابعة...) ليخلص إلى دوره في الحكاية :(فرأى رؤيا..)،ثم تمارس

---

(٣) : See: Narratology Introuction To The Theory Of Narrative: Miek Ball'....."P 80 نقلاً عن: كتاب السرد في مقامات الهمذاني ،م . س: ٧٩

(٤): في نظرية الرواية ،م. س :١٠٣

(١): سرد الأمثال،م.س : ١٤٤

(٢): سيرة ابن هشام :١١

هذه الشخصية عملها، بوصفها ملكاً : "فلم يدع أحداً إلاجمعه اليه"، رسم الشخصية بهذه الطريقة جاء منسجماً و عملها في النبوءة، فمقام الملك وقدرته على جمع كل المعبرين، يخدم بالأساس الأحداث في النبوءة، فهذا المقام أعطى مسوغاً لقدوم شخصيات مركزية أخرى في الحدث : سطيح وشق، أما السكوت عن الصفات الجسدية للملك، قد جاء لمقصديات سردية، لم يتطلبها الحكي في النبوءة.

- شق وسطيح:

تأخذ هاتان الشخصيتان في نص النبوءة بعداً مركزياً ، فقد مثلت شخصيتاهما بؤرة النبوءة،وعملت على انتقالها من الغيبي/الحلمي(فوق التاريخي) الى المستوى التاريخي،لكن الشخصية لا تكتمل في النص "إلا بتضافر بعديها الداخلي والخارجي، أو الذاتي والموضوعي، بما يمنحها صوتاً خاصاً تعلن من خلاله عن خفي رغباتها وكوامن أحاسيسها"[٣]؛ مما استدعى إضاءة الشخصيات في النص ، وقد جاءت إضاءة هاتين الشخصيتين عبر قنوات متعددة، منها شهادة شخصية هامشية هي(رجل منهم)، أي من المعبرين : "فقال له رجل منهم: فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه"[٤]، وهذا الاعتراف يدل على علو منزلتهما في الكهانة، لا سيما من رجل يعمل من جنس ما يعملون . أما الشهادة الأخرى فكانت للسارد الأول : ابن اسحاق ، وهو صاحب رواية هذه النبوءة، وعلى عادته في إضاءة الشخصيات الواردة في روايات السيرة النبوية ؛ يذكر نسب تلك الشخصيات ، عبر"تعليق الحدث"، وإضافة فقرة معرفية، تهتم بإعلان نسبهما، ليعاود الحدث بعد ذلك جريانه، ويعاود الراوي أداء وظيفته، في سرد واقعة النبوءة ، وتوجيه عناصرها، ووظيفة الراوي هنا "وظيفة تعليقية"، ويكون نشاطه فيها تفسيري، لهذا يكون السرد فيها متوقفاً. ويعلق ابن اسحاق الحدث عندما يذكر نسب سطيح وشق بقوله : "واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان.

---

[٣]: سرد الامثال،م.س:١٣٣
[٤]: سيرة ابن هشام : ١١

وشق : ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار، وأنمار أبو بجيلة وخثعم"[١].

وبناءً على ذلك ، فإن شخصيتي سطيح وشق الكاهنين، هما شخصيتان تاريخيتان من"دم ولحم"، لكن هذا البعد الواقعي يحل محله بعد تخييلي سردي ، تُعالج فيه هاتان الشخصيتان سردياً، بعملية تصعيدية، إذ يمكن أن نصنف هذه الشخصيات بأنها شخصيات **تاريخ-خيالية** : "تاريخية لإيهام المتلقي بحقيقة الحكاية ، ومتخيلة عادية لِتوهمَه بمجرد قصصيتها"[٢] ،الأمر الذي أدى الى أن تدخلا في البعد العجائبي. إذ يشير الباحثون الى أن الكاهن شق كان على هيئة نصف إنسان ، له يد واحدة، ورجل واحدة وعين واحدة، وكان سطيح ليس له عظم، ولا بنان وإنما كان يطوى كما تطوى الحصير[٣]!!، و"كان سطيح شخصاً عادياً، ثم أصبح مشوه الخلقة"[٤]. وهنا يجب أن نفرق بين شخصيتي الكاهنين "الواقعيتين"، كما بين نسبهما ابن اسحاق، والشخصيتين "السرديتين" لهما، كما تناقلتها كتب المؤلفين من فم الثقافة الشعبية.

ومن هنا ترتقي شخصيتا شق وسطيح السرديتان/العجائبيتان الى مستوى الحدث/ النبوءة، و يتم الإخبارعن الرؤيا، وعن تأويلها بطريقة خارقية، يتقبلها المتلقي بعد أن تقبل عجائبية شخصيتي شق وسطيح ، إذ أن الثقافة الشعبية تعاملت مع العجائبي ، بوصفه "غريباً" يقبل قوانين الواقع ، حسب تصنيفات تودوروف، وذلك لأن تلك الثقافة، ولكونها ثقافة مؤسسة على التخييل، قد وفرت للنصوص معقولية، وأصبحت هذه النصوص تحتمي بتلك الثقافة، مما أدخلها في نظام سردي، نقلها من التاريخ الى الثقافة، الامر الذي يعطي مسوغاً للتسامح، في قبول كيفية إخبار الرؤيا وتأويلها، فضلاً عن تقبل أن شق نصف إنسان، وأن سطيح يُطوى كما تطوى الحصير، وبالنتيجة فإن إغواء السرد وماكنته هما اللذان قصا "شق" الى النصف، وطويا سطيح ، كما تطوى الحصير!!.

---

[١] :سيرة ابن هشام :١١

[٢] : سمات البطولة والجنوسة في قصص ألف ليلة وليلة ،عبد الرسول عداي ، دار الشؤون الثقافية ، سلسلة كتاب مجلة الأقلام (٢)،ط٢٠٠٩/١: ٢٨

[٣]:ينظر: مروج الذهب ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت ٣٤٥هـ)، القاهرة، ١٣٤٦هـ- : ٢/ ٣٦٤:

[٤]:أحلام الخليفة،الاحلام وتعبيرها في الثقافة الاسلامية،أنّا ماري شيمل،تر:حسام الدين جمال بدر واخرون،منشورات الجمل ط١ / ٢٠٠٥ :٦٧

خطاب السرد في النبوءة

- الراوي:

في نص النبوءة، تكون معرفة الراوي على قدر معرفة الشخصية الحكائية، حيث تكون الرؤية السردية هي "رؤية مع"[١]، والراوي في نص النبوءة، يكون شاهداً على الأحداث التي تقوم بها الشخصيتان المركزيتان: شق وسطيح.

نستطيع أن نحدد رواة النبوءة، الذين يقعون في مستويات مختلفة من النص استناداً الى وظائفهم : "**خارج النص**"، والوظائف "**داخل النص**"، والمستويات هي:

١- راوٍ خارجي :

وهو يقع خارج الأحداث المروية،"خارج نصي"، وفي نص النبوءة نجد الراوي الأول، ممثلاً برواة السند، الذين نقل عنهم ابن اسحاق هذا الخبر، وهم مختفون في الرواية، لأن الرواية مرسلة، وهذا الراوي تاريخي واقعي..والراوي الخارج نصي الثاني هو صاحب الجملة بصيغة الغائب: "كان ربيعة.."، وهو ابن اسحاق، الذي أظهر "القصة للوجود من خلال منظوره إن واقعاً وإن تخيلاً، وهو الذي يقوم أيضاً بتوزيع الأدوار، وتحديد فعل الشخصيات، ومجريات الفعل الزماني والمكاني"[٢]، ويصبح حضوره مسؤولاً عن حضور السرد، وحضور نوعه بوصفه: سيرة نبوية، كما أن حضوره، يعطي معنىً لتوثيق الرواية عبر معرفة الثقافة لوظيفته، بعدّه راوياً ثقةً، وهو راوٍ مفارق لمرويه، يحيا ضمن شروط تاريخية، ويؤمّن الصلة مع الثقافة السائدة.

أما صاحب صيغة:"قال ابن اسحاق"، فهو الراوي خارج النصي الثالث في نبوءة شق وسطيح، وهو ابن هشام، وهو راوٍ مفارق لمرويه أيضاً، وله وظيفة استهلالية متمثلة بصيغة "قال"، ويمتلك سلطة من خلال تدخله في السرد، وتوجيهه الوجهة التي يشاء، كما في إضاءة نسب الشخصيات، في فقرة خاصة، توجه وجهة معرفية، يعمل الراوي على تغذيتها بمحمولات مرجعية، تؤدي وظيفة توثيقية، تربط معها مادة الخبر بأرض الثقافة،

---

[١] :ينظر:بنية النص السردي، م.س:٤٧،٤٨

[٢]: بنية السرد في القصص الصوفي، م. س :١١٠

ضمن أُطر وقنوات ثقافية معلومة، أو إظهار سرد وإخفاء آخر استناداً الى آلية التهذيب، التي مارسها في رواية الخبر. وكلا الراويين : ابن اسحاق وابن هشام، يمارسان، "وظيفة بنائية" عبر تنسيق السرد وتوزيعه، داخل فضاء النبوءة.

٢- راوٍ داخلي:

وهو الذي يحيا داخل فضاء النبوءة "**داخل نصي**"، ويشارك في الأحداث، وفي نص النبوءة يقوم ملك اليمن، وهو الشخصية الرئيسية، بدور الراوي داخل فضاء النص فضلاً عن مشاركته في أحداثه، وهو ما تسميه(شلوميت كنعان)، راوياً "**تحت سردي**"[١]، حيث يقوم ملك اليمن، برواية الرؤيا التي شاهدها: "إني قد رأيت رؤيا..."، وهنا يتشكل حكي داخل الحكي، الذي يحكيه الراوي خارج النصي، و "يتحول الحكي المقدم من هذا الراوي الى ما يشبه الحكي الأساسي، بمعنى أن السرد الأساسي يتوارى قليلاً، مفسحاً المجال للسرد من الدرجة الثانية"[٢]، المتمثل بالحكي الذي يقوم به الراوي تحت السردي : ملك اليمن، الذي بدوره يسلم مقاليد الحكي الى راو آخر داخل النصي هو شخصية شق وسطيح ، وهذا الراوي له دور مركزي ، فهو الراوي الأساس الذي يمتلك إدارة الحدث، ويؤثث المشاهد، وينمي علاقات النص عبر توزيع الأدوار في الزمان والمكان داخل فضاء الحكي.

٣- التبئير: يوصف التبئير بأنه "العين التي، من خلال ما ترى، ينتج عالم السرد"[٣]، فهو يشكل النقطة المضيئة في الحكي، التي تتحمل مسؤولية الروي.

يأخذ التبئير:(المبئر، ونوع التبئير، ومستوى التبئير، وموضوع التبئير) ، في نبوءة شق وسطيح،شكلاً مميزاً . ونعثر على مستويات عديدة من التبئير، تماثل مستويات الروي، بدءاً فإن المبئر الأساسي ، مثلما هو الراوي الاساسي في النص يمثله : شق وسطيح إذ يمر الحكي عبر إدراكهما و وعيهما منذ الإرسال الأول: "رأيت حممة"، "لتهبطن أرضكم الحبش..لينزلن أرضكم السودان"، وبالنتيجة فإن تأويل الرؤيا هي وجهة

---

[١]: نقلاً عن : السرد في مقامات الهمداني، م.س:١٤٥
[٢]:م. ن : الصفحة نفسها.
[٣]: السرد في مقامات الهمذاني، م.س: ٤٢

نظرهما، "فالأحداث الغفل Fabula قائمة هناك بعيداً عن أعيننا وأفهامنا ولا يمكن النفاذ اليها إلا عبر شخص يراها فيكسبها وجوداً ودلالة من خلال رؤيته تلك"(١).

إن نص النبوءة المتكون من الرؤيا وتأويلها، قد مر من خلال "عين" المبئر الأساسي : شق وسطيح، مثلما مر عبر "لسانهما" بوصفهما راويين أساسيين، وهو الفرق الذي تحدثت عنه ميك بال"Mieke Bal"، بين المبئر صاحب العين وبين الراوي صاحب الصوت، فسطيح وشق الراوي، حال رواية الرؤيا وتأويلها، يختلفان عن صفتهما بوصفهما مبئراً، حين يمر النص بناءً على منظورهما، ووجهة نظرهما، في تشكيل النص. حتى أن المبئر الأساسي هذا احتاج الى أن يعضد وجهة نظره بالقسم : "أحلف ما بين الحرتين...والشفق والغسق...أي ورب السماء والأرض..."(٢).

أما نوع التبئير في الرؤيا فقد كان "**تبئيراً داخلياً**"، حيث تقدم الأحداث محددة من خلال شخصيتي سطيح و شق، المتماثل رويهما وتبئيرهما استناداً الى منظورهما الثابت.

أما مستوى هذا التبئير فهو مستوى التبئير "داخل النصي"، وفي هذا المستوى يعيش المبئر داخل فضاء السرد، مشاركاً في أحداثه. أما المبئر ابن اسحاق صاحب جملة :"كان ربيعة..."، والمبئر ابن هشام صاحب جملة :"قال ابن اسحاق"، فإنهم ينتمون الى المستوى من التبئير "**خارج النصي**"، فقد مرّ خبر رؤيا ملك اليمن وقصة الكاهنين معه من خلال منظور ابن اسحاق، وعبر قناة إدراكه وتصوره، وهو يدون ما سمعه، من رواة السند، الذين يمثلون مستوىً آخر من التبئير الخارج نصي، عندما تناقلوا خبر الرؤيا عن طريق الرواية الشفوية، فأضافوا وحذفوا طبقاً لوجهة نظرهم، وانتهاءً بابن هشام المبئر، الذي قدم السيرة،ومنها خبر الرؤيا، عبر "عينه" التي ترى ما لا يرى غيره، عينه التي أبصرت شيئاً وأغمضت عن شيءٍ آخر. عبر "سرد ذاتي..يقدم الأحداث من خلال زاوية نظر الراوي، فهو يخبر بها، ويعطيها تأويلاً معيناً يفرضه على القارئ، ويدعوه الى الاعتقاد به"(١).

لقد سعت الرؤيا الى تثبيت موضوع التبئير الأساسي: ظهور النبوة وصدق علاماتها، وهو ما عمل المبئر بكل مستوياته على تبئير كل الأحداث ، من خلال استراتيجية تخترق

---

(١) See: Narr Tology: Miek Ball'....."P 100 نقلاً عن : مقامات الهمذاني،م.س:٦٤-٦٥

(٢): سيرة ابن هشام،م.س:١١،١٢

(١): بنية النص السردي، م.س:٤٦،٤٧

نص الرؤيا من أجل تقوية النبوة وحضورها الثقافي ، بوصفها واقعة شهدت عليها "عين" المبئر و"لسان" الراوي.

- المروي له:

يستدعي الراوي، مروياً له، بل إن المروي له هو الذي يمنح فعل الروي معنى وقيمة داخل نسيج السرد، وبالنتيجة؛ فإن عدد المروي له في النص يماثل عدد الرواة. في نص النبوءة، موضوع البحث، نعثر على عدة مستويات للمروي له، وكما يلي:

المستوى الأول يمثل المروي له "**خارج النصي**"، وهو مروي له خارج السرد تمثله سلسلة السند التي روى عنهم ابن إسحاق، وكل واحد منهم يكون مروياً له لما قبله، راوياً لما بعده وهكذا..، وهذا المستوى من المروي له في نص النبوءة، اعتباري لا توجد دلالة نصية تدل عليه، وهو مسكوت عنه، إلا القرينة الحالية، فمن غير المعقول، إن لا ينقل ابن اسحاق الرواية من غيره، وزمنه يبتعد عن زمن الواقعة مئات السنين!!، وهنا يكون ابن اسحاق مروياً له لآخر راوٍ في سلسلة السند، وهذا هو الذي جعله يصرح بجملته الأولى:"كان ربيعة.."، أما ابن هشام صاحب جملة :"قال ابن اسحاق" فهو مروي له خارج نصي، حينما يتلقى الإرسال من ابن اسحاق، لكن من هو المروي له، بالنسبة الى ابن هشام بوصفه راوياً؟ إذا كان دور ابن اسحاق الراوي "يتركز في الإعلان عن حضور النوع، فإن المروي له الخاص به، يُعد مندوب النص الذي يتلقى إعلان الراوي ليؤديه الى الثقافة"[٢]، وبالنتيجة فإن الثقافة، التي نحن جزء منها، ستكون المروي له الآخير خارج النص لإبن هشام الراوي.

أما **المستوى الثاني** من المروي له، فهو الذي يمثل المروي له "**الداخل نصي**"، ويمثله المعبرون من أهل مملكة اليمن، الذين خاطبهم بجملته:"اني قد رأيت..."، وقد تلقوا الإرسال منه، بوصفه راوياً داخل نصي، ولكنهم لم يفهموا دلالة الإرسال/تأويل النبوءة، ليستدعي السرد صوتاً آخر يكون مسؤولاً عن الحكي حينها يتحول ملك اليمن، الى مروي له داخل نصي، عندما ينطق صوت شق وسطيح جملتهما : "رأيت حممة..."، ليستمر بث

---

[٢]: م . ن :١٤٨

الإرسال الى نهاية الحكي،وملك اليمن المروي له، يتماهى مع الروي الذي يرويه الراوي المركزي : شق وسطيح، وقد اتخذا موقفاً تأويلياً، يتناغم مع ثقافة المروي له، وملابسات الرؤيا التي شاهدها في المنام، وكأن صلحاً قد أبرم بين الراوي : شق وسطيح، والمروي له : ملك اليمن، كل ذلك من أجل أن يتدفق السرد باتجاه المغزى الذي تهدف الرؤيا والنبوءة إليه.

أنساق السرد في النبوءة

يمثل النسق طريقة انتظام الحدث وكيفية بنائه وتطويره ، بناءً على تناوب إيقاع الزمن وتذبذبه في سرد الحدث ، إذ يشكل هذا النسق تصميماً بنائياً وجمالياً للسرد يضم مجموعة من المظاهر المنتظمة داخل نسيج النص .ويمكن العثور على ثلاثة من الأنساق في نص نبوءة شق وسطيح وهي : النسق الدائري هو نسق شكلي خارجي ، والنسق الإيقاعي والنسق الإنشادي ، وهما نسقان جماليان يدخلان ضمن النسق الدائري الكلي للنبوءة و يعنيان بالبنية الداخلية للنص .

١ ــ النسق الدائري:

تمثل أحداث نبوءة شق وسطيح سرداً دائرياً . والنسق الدائري هو الذي فيه "يبدأ السرد من نقطة ارتكاز معينة ليعود في النهاية الى النقطة ذاتها"[١] ، وصولاً الى " انجاز السرد"[٢] غايته . تبدأ قصة شق وسطيح مع ملك اليمن بالرؤيا التي ترمز الى بعثة النبي "ص" وتنتهي بتأويل الرؤيا التي تدل على تعاقب الأحداث في التاريخ إنتهاءً الى بعثة النبي "ص" ، وبالنتيجة تحقق النبوءة مستوى من النسق الدائري ؛ وبذلك تكون الرؤيا هي الحركة الأولى للسرد التي تصنع الأحداث حتى تحقق ذاتها . ويمنح تعاقب الأحداث في الرؤيا حقيقة فعلية إذ تتحول من كونها "رؤيا" الى "حدث" ، فالقصة " تبدأ بالرؤيا التي تكون الحكم في النهاية ، ويتدفق معها السرد مرافقاً لحركيتها ومطبقاً لها ، بحيث يحولها الى أحداث ناطقة تتحرك من الداخل على صعيد المضمون ، ومن الخارج على صعيد

---

[١] : نظرية المنهج الشكلي ، م . س:١٤٢

[٢] :أطروحة التحولات السردية في النثر العربي القديم ،م . س :٣٥

البنية السردية"[١]، وهذه الحركة الدائرية تجعل السارد يمسك خيوط السرد بإحكام مما يزيد من تماسك القصة .

يشترك سطيح وشق في تنمية الحدث لإكمال دائرة السرد في النبوءة ، وهو ما يمكن تسميته بالسرد المشارك ، حيث يتحكم بالسرد ساردان : سطيح وشق ، وهما ينميان ، عبر سردهما ، بؤرة واحدة ، ويرسم كل منهما خطاً سردياً مستقلاً عن الآخر. ولكن هذين الخطين يتفقان في مضمون تأويل الرؤيا ويلتقيان في نقطة ارتكاز واحدة ، فالتشكيل السردي الذي يبنيه سطيح وشق يشارك معاً في توحيد زاوية الرؤيا، وهي مفارقة سردية متميزة عن السرود الأخرى التي تتعدد زوايا النظر بتعدد السرد. والسرد المشارك يخلق صيغاً سرديةً مضاعفةً ؛ تسهم في اعطاء مصداقية أكثر للمتلقي وإقناعه بأن الرؤيا وتأويلها لابد أن يكونا صحيحين ما دام هناك ساردان اتفقا على المعنى نفسه ووصلا الى النتيجة ذاتها وهي :ظهور بعثة النبي "ص" ، وهذا من وظائف النسق الدائري الذي يكثف البؤرة ويزيد من تقبلها، كما يمنح الحكي تشويقاً وتوتراً .

٢ ــ النسق الإيقاعي :

يحقق السجع إيقاعاً في الكلام ، والإيقاع " تنسيق صوتي يأتي كحصيلة لتعاقب المقاطع المنبورة أو المخفية"[٢] في النص . والإيقاع أقرب الى فطرة اللغة ، وقد وظف السجع الإيقاعي في النص الديني بالتحديد لما له من أثر في النفس والوجدان والعقل ، فكأنه نبضات قلب النص الذي يسحر السامع . الأمر الذي جعل الكهان يقصدونه في كلامهم وهو ما عُرف "بسجع الكهان" الهادف الى "تعميق الأفكار في أذهان المتلقين بالتركيز على النهايات الحادة لفظياً والحاملة لأفكار مركزة مكثفة ...فهو أسلوب يراد منه إضفاء حالة من الخشوع والتأمل ، والاستعداد لتلقي فكرة مقدسة أو وصية أو عبرة"[١] .

تتضمن نبوءة شق وسطيح سجع الكهان ، فشق وسطيح هما كاهنان قد عبرا رؤية ملك اليمن ، وقد جاء كلامهما مسجوعاً مما يمنح نص النبوءة مستوى من السرد الإيقاعي

---

[١] : مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،ط١/٢٠٠١ : ١٦٩

[٢] :م . ن : ٢١١

[١] : موسوعة السرد ،م . س :٥٧

الذي يمارس وظائفه متوجهاً للمستمع ، نتلمس ذلك عبر النهايات المسجوعة : رَأَيْت حُمَمَهُ خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمه ، فَوَقَعَتْ بِأَرْضِ تَهَمه ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ جُمْجُمَهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيحٌ فَمَا عِنْدَك فِي تَأْوِيلِهَا ؟ فَقَالَ أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرّتَيْنِ مِنْ حَنَشٍ لَتَهْبِطَن أَرْضَكُمْ الْحَبَشُ فَلَتَمْلِكَن مَا بَيْن أَبْيَنَ إِلَى جُرَش "[٢] . ويستمر نص النبوءة بتوظيف السجع الى نهايته. تلاحظ هنا نهايات الجمل المسجوعة بالفواصل :"ظلمة- تهمة- جمجمة -حنش -حبش -جرش" وهي تشكل نظاماً صوتياً يحقق تنبيهاً للمتلقي وتوكيداً للكلام عبر الإيقاع الصوتي واللفظ الموسوق . وهنا يتعانق الشكل الإيقاعي مع المضمون إذ "تبدو وظيفة الإيقاع الجمالية التي تعمل على تحريك القارئ وتفجير دواخله ، ولا تعزله عن المتعة الحسية والانفعالية"[٣] . وهذا التشكيل الإيقاعي في نص النبوءة يمثل نسقاً سردياً يُسهم في تحريك النص ويمنع الفتور الذي يعتريه ويعمق الفكرة ويهبها نوعاً من الخشوع وبالنتيجة يمارس تأثيراً على المتلقي .

٣ ــ النسق الإنشادي:

يتحقق الإنشاد عبر تكرار جملٍ ومقاطع تتخلل الكلام على صورة "لازمة تتردد بطريقة اطرادية"[٤] تأخذ خصيصة درامية تنتقل بالسرد من الهمس الى الجهر ،مما يجعلها تشكل مرتكزاً سردياً في بنية النص ، يمثل تكرارها انشاداً يراد منه تحديد بؤرة الحدث .فالتكرار من "أبرز الظواهر الخالقة لشعرية الصوت لما يمتلكه من تنغيم مزدوج ،داخلي وخارجي ولما يفصح عنه من تركيز دال على اهمية المكرر وفاعليته الإيحائية"[٥] . نجد هذا النسق السردي حاضراً في بنية النبوءة إذ تتكرر لازمة في نص النبوءة ومن أمثلة ذلك تكرار نبوءة الملك:

"فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شِقّ فَقَالَ لَهُ إِنّي رَأَيْت رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَظِعْتُ بِهَا ، فَأَخْبِرْنِي بِهَا فَإِنّك إِنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قَالَ أَفْعَلُ رَأَيْت حُمَمَهُ خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمه ، فَوَقَعَتْ بِأَرْضِ تَهَمه ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ جُمْجُمَهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيحٌ فَمَا

---

[٢] : سيرة ابن هشام :١١
[٣] : مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، م . س: ١٣٣
[٤] : م . ن : ١٤٥
[٥] :المستويات الجمالية في نهج البلاغة ،م. س : ٦٤

عِنْدَك فِي تَأْوِيلِهَا" . ثم يكرر شق هذا المقطع بإختلاف بسيط : " رَأَيْت حُمَمَهُ خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمه ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكَمَهْ فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلّ ذَاتِ نَسَمَهْ" .

أما الملك فإنه يردد لازمة لفظية يقولها لسطيح وشق بصورة متشابهة كأنها أنشودة يحفظها بطريقة درامية:

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَأَبِيك يَا سَطِيحُ إنّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ فَمَتَى ، هُوَ كَائِنٌ ؟ أَفِي زَمَانِي هَذَا ، أَمْ بَعْدَهُ؟ ".

"فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَأَبِيك يَا شِقّ ، إنّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ فَمَتَى هُوَ كَائِنٌ ؟ أَفِي زَمَانِي ، أَمْ بَعْدَهُ ؟". يمارس هذا التكرار المقصود في نص النبوءة – بما ينتظم من خلاله من خصائص درامية تميزها فاعلية إنشاد واضحة– بعداً إلماحياً إشارياً عبر تكرار الألفاظ و المعاني ، مما يحيل النص الى إنشودة تكرر الفكرة والصوت يتم من خلال رسم مناخ مكثف من الدلالات يمنح السرد عمقاً وعذوبة ، ويزيد من التتابع الإيقاعي الذي يغمر المتلقي ويجعله يحدد بطريقة إنشادية بؤرة النص .

ختاماً فإن الأنموذج التطبيقي "رؤيا ملك اليمن ونبوءة شق وسطيح" عمل على تقديم عينة من أخبار سيرة ابن هشام إثباتاً وتأكيداً لما فحصه البحث وفككه في الفصول الأولى ، فقد وقف الأنموذج على سلطة الفضاء الثقافي في توجيه النبوءة ، وكشف أنساقها الكامنة ، كما درس البنية السردية لها، وأركان الخطاب السردي ، وأنساق السرد في نص النبوءة . وقد جاء تحليل النبوءة ليعلن بوضوح عن ما دعاه البحث بـــ "سردية النص السيري" .

الخاتمة والنتائج

الخاتمـة والنتائج

ثمة محاولة في هذا البحث ، هدفت الى الكشف عن البنيات السردية فـي التنوعـات الإخبارية للنص السيري،(سيرة ابن هشام أُنموذجاً) مستفيدةً في ذلك مما توصـلت اليـه السردية ، وعلم السرديات بصورة عامة ، ومحاولة تقريب هذا المنهج من تلك النصوص لكشف مؤسسات هذه الأخبار، و وضع اليد على المؤثرات الثقافية على البنية الخبرية لها ، وقد توصلت الدراسة الى نتائج عدة هي:

١- توصل البحث الى أن النص التأريخي- الأدبي، بوصفه نصاً سردياً ، يمتلك قـوانين وأُسساً، تتحكم بخصائصه الإسلوبيةً والبنائية والدلالية.

٢- وقف البحث على ، مركزية سيرة ابن هشام في الثقافة الإسـلامية-العربيـة ؛ لمـا تضمنته من أخبار اشتملت على حياة الرسـول "ص"، و أرّخـت لكـل المرويـات الإسلامية الكبرى: نزول القرآن الكريم ،السُنّة النبوية ، الأحداث والوقائع في عصـر النبي، وأخبار القبائل العربية قبل الأسلام. كما أضـحت السـيرة النبويـة-بسـبب مركزيتها- نصاً مولداً للعديد من الأشكال السردية الأخرى.

٣- وقف البحث على دور الثقافة في توجيه المنظومة الخبرية ، والتسـلل الـى مهمـة التأليف، عبر دراسة التهذيب الذي مارسه ابن هشام على سيرة ابن اسحاق، والانتقال بالأخبار السيرية، من كونها صياغات لغوية، الى كونها منظومـات ثقافيـة، تحمـل الكثير من ثقافة عصر إنجازها وتدوينها، إذ أصبح التدوين المسؤول الأول عن شـكل وتنظيم النصوص، كما خضعت النصوص الى "استراتيجية التدوين"، عبـر الانتقـاء والتهذيب، والإقصاء والتحريف ، لأسباب سياسية وآيديولوجية ، أدى الـى انكسـار السيرة النبوية بين ثقافات متنوعة : ثقافة عصرالنبي/زمن الحدث ، وثقافـة عصـر التدوين/زمن ابن اسحاق ، وثقافة عصر التهذيب/زمن ابن هشام.

٤- قرأ البحث أخبار النبوءات والعجائبيات ، من خلال اشتباك السردي بالثقافي ، وتوصل الى أن "الأخبار النبوئية"، تمثل الإعداد النصي لولادة الشخصية المركزيـــة، أي ولادة النبي" نصياً"،من خلال: النبوءات والبشارات والأحلام ، وهذه "الـــولادة النصـــية" قـــد سبقت "الولادة الفعلية" للنبي "ص"، ما يدعو الى القول: أن حاجة الثقافة الى ماقبلهـــا، يعدّ توطيناً وتمدداً لما بعدها.

٥- فحص البحث ، سردياً، بنية المكون العجائبي، عبر دراسة "قصة المعراج"، ووقـــف على الثراء السردي والتقنيات المدهشة فيه. كما درس بالتفصيل خبر نبوئي هو"رؤيا ملك اليمن وقصة شق وسطيح معه" و وضع اليد على البناء السردي لـــه، فوجـــد أن هنـــاك مخططاً سردياً ينظم الرؤيا، الأمر الذي يدعو الى أن الرؤيا قـــد اخترقـــت بنيـــة الثقافـــة العربية- الإسلامية، وأضحت العين المبصرة والكاشفة لمستقبل تلك الثقافـــة مـــن خـــلال التبشير بالنبي القادم عبر الزمن .

٦- تتبّع البحث موقع الخبر من نظرية الأجناس الأدبية، وكشف عن جهود الباحثين فـــي تأصيل هذه النظرية، والأسهام في نضوجها. وتوصل الى أن شجرة السرد العربي قد تفرعت الى أنواع مختلفة ضمت : الخبر،الحكاية، القصة، السيرة، كما خلُص البحـــث الى أن كل هذه الأنواع تمتلك خصائص مختلفة، لكنها تلتقي في الطبيعـــة الحكائيـــة. وهذا التتبع الأجناسي، منح البحث الفرصة لفحص الخبر السيري، ومعاينة مؤسســـاته الحكائية، وتنوعاته الإجناسية.

٧- توصل البحث الى أن ابن هشام، كان واعياً للتوزيع الإجناسي للأخبـــار الســـيرية، حينما وضع لها عناوين تكفلت بتجنيسها الى: خبر، قصة، حديث، ذكر، أمـــر، كمـــا توصل البحث الى أن هناك خصائص سردية في الأخبار، فرضت على ابن هشام ذلك التنوع الإجناسي، وهو يدون أخبار سيرة النبي"ص".

٨- امتلك نص سيرة ابن هشام، الآليات السردية المناسبة، في بناء أخباره، وهـو يـدون سيرة النبي(ص). فقد تضمنت الأخبار السيرية المكونات السردية الأساسية : الحدث، الفضاء السردي، و الشخصيات، كما امتلكت أركان الخطـاب السـردي : الـراوي، المروي، المروي له، وقد وظفت الأخبارالسيرية بعض تقنيات السرد المختلفة : النسق المتتابع والنسق المتناوب والنسق المتضمن والنسق التكراري، الوصـف، الحـوار، الإثارة، والمغزى.

٩- كما وقف البحث على تنوع الراوي و وظائفه في النص السيري، وهو يمارس عـدة وظائف:اعتبارية، تمجيدية ، و وظائف بنائية،كذلك كشف البحث عن ارتباط الـراوي بالمروي له. كما ميّز البحث بين الراوي والمبئر، وتوصل الى أن السند مكون بنـائي مهم في البنية الخبرية، كما أن سلسلته تتبادل الأدوار، فتارة تكون راوياً، وتارة تكون مروياً له، فضلاً عن توفير الثقة في نقل الأخبار وتقويتها.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

ـ المصادر والمراجع

القران الكريم

	إبراهيم بن محمد آل خليفة،البحرين –المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١/٢٠٠٦
	الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية، عمر الطالب، ط١، دار العودة بيروت، ١٩٧١
	أحلام الخليفة ،الاحلام وتعبيرها في الثقافة الاسلامية ،أنّا ماري شيمل،(ت):حسام الدين جمال بدر واخرون ،منشورات الجمل ط١ / ٢٠٠٥
	الأدب العجائبي والعالم الغرائبي،في كتاب العظمة وفن السرد العربي / د. كمال أبو ديب،دار الساقي(بيروت)–دار أوركس(بريطانيا)،ط١/٢٠٠٧
	أدب الفنتازيا، مدخل الى الواقع ، ت.ي.أبتر، تر:صبار سعدون السعدون ، دار المأمون،بغداد،١٩٨٩
	الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي ،عبد الفتاح كيليطو، دار الطليعة ــبيروت،١٩٩٧
	الأدب وفنونه ، دراسة ونقد ، د.عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ودار الثقافة العربية للطباعة ، ط٤ ، ١٩٦٨
	إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية ــ العراق

	ط١/١٩٨٦
	الاغاني، أبوالفرج الأصبهاني،(ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبة وخبرة)دار أحياء التراث العربي،بيروت،د.ت
	الأمالي، الشيخ المفيد ،تح :حسين الأستاد ولي وعلي أكبر الغفاري ،دار المفيد ،بيروت ، ط٢/١٩٩٣
	ألف ليلة وليلة،دار التربية ، بغداد ،الطبعة المهذبة ،(د . ت)
	أنساق التداول التعبيري ،دراسة في نظم الإتصال الأدبي،(ألف ليلة وليلة أنموذجاً تطبيقياً) ، د. فائز الشرع ، دار الشؤون الثقافية،العراق، سلسلة أكاديميون جدد(١٠) ،ط١/٢٠٠٩
	بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب ،عبد العزيز الدوري،دار المشرق-بيروت،ط١/١٩٦٠
	بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، د.سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية للكتاب ،(د.ط) ،١٩٨٤
	البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، د. شجاع العاني ،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٩٣
	البناء الفني لرواية الحرب في العراق: دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة ، عبدالله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة(افاق عربية)، ط١- بغداد، ١٩٨٨
	بناء النص التراثي /د. فدوى دوكلاص،مشروع النشر المشترك،دار الشؤون الثقافية-بغداد،الهيئة المصرية للكتاب(د.ت):

	بنية السرد في القصص الصوفي ،المكونات ،والوظائف،والتقنيات ،د.ناهضة ستار،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط١/٢٠٠٣
	بنية المتخيل في نص الف ليلة وليلة ،مصطفى مويقن،دار الحوار- سوريا،ط١/٢٠٠٥
	بنية النص الحكائي في كتاب الحيوان للجاحظ، خولة شخاترة،دار أزمنة،الاردن،ط٢/٢٠٠٦
	بنية النص السردي ،من منظور النقد الأدبي ،د.حميد لحمداني ،المركز الثقافي العربي،ط ٣/٢٠٠٠
	البيان والتبيين ، الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر)،تح:عبد السلام هارون،دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠
	تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،(ت١٢٠٥)،تحقيق:عبد الستار أحمد فراج،وزارة الأرشاد،الكويت/١٩٦٥
	تاريخ الأدب العربي،كارل بروكلمان،تر:عبد الحليم النجار وآخرون،دار المعارف-القاهرة،ط٥،د.ت
	تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي(أحمد بن علي ت:٤٦٣) ،تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ /١٩٩٧
	تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، تعديل: فريدريش شفالي ، تر: د.جورج تامر وآخرون ، منشورات الجمل ، ٢٠٠٨
	تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري،د.إحسان عباس، دار الشروق ــ الأردن ط٢ /١٩٨٦
	تحليل الخطاب الأدبي ،على ضوء المناهج النقدية الحداثية ،(دراسة في نقد النقد)، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق/٢٠٠٣

	التخييل القصصي ، الشعرية المعاصرة ، شلوميت ريمون كنعان ، تـر:لحسـن أحمامة، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ط١/ ١٩٩٥
	تـرويض الحكايـة (بصـدد قـراءة التـراث السـردي)،د. شـرف الـدين ماجدولين،منشـورات الاخـتلاف (الجزائـر)ـالدار العربيـة ناشـرون (بيروت)،ط١/٢٠٠٧
	تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسـي ،عمـارعبودي محمـد، دار الشـؤون الثقافيـة-العراق،سلسـلة رسـائل جامعية،ط١/٢٠٠٥
	تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) ، تح : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، ط٢ ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ
	التفسير الكبير، محمد بن زكريا الفخر الرازي ، (ت٦٩٧) ، القاهرة، (د.ت)
	تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية ،دراسة فنية ،أثير عادل شـواي ،دار الشؤون الثقافية، العراق ، سلسلة أكاديميون جدد(٨)،ط١/٢٠٠٩
	تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط١ ، ١٩٩٧ .
	تكوين العقل العربي ،محمد عابـد الجـابري،دار الطليعـة،بيروت،ط١/١٩٨٤ (سلسلة نقد العقل العربي،١) .
	تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسـيط د. نـادر كـاظم ، ط١/٢٠٠٤ـ المؤسسة العربية، للدراسات والنشر ـ وزارة الثقافـة والإعـلام البحرينية
	تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام محمد هـارون ، مكتبـة السـنة،القاهرة ، ط٦/١٩٨٩

	الثابت والمتحول في الاتباع والابداع عند العرب، أدونيس ، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٩٧٩
	الثقافة والامبريالية ، إدورد سعيد ،تر : كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ،ط٢/١٩٩٨.
	جمهرة أشعار العرب،أبو زيد القرشي ،تح:علي محمد البجاوي،القاهرة،١٩٦٧
	الحكاية الجديدة،محمد خضير،مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان،١٩٩٥ ،نشر وتوزيع دار أزمنة
	الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي ،عبد الفتاح كيليطو،دار توبقال الدار البيضاء ط٢/١٩٩٩
	الحوار القصصي، تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩
	الخبر في الأدب العربي،دراسة في السردية العربية د.محمد القاضي،دار الغرب الاسلامي،ط ١ /١٩٩٨
	الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات،سعيد جبار ،شركة النشر والتوزيع المدارس_ الدار البيضاء ط١/ ٢٠٠٤
	خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرارجينيت، ترجمة : محمد معتصم وآخرون،المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للمطابع الاميرية، المشروع القومي للترجمة، ط٢، ١٩٩٧
	دائرة المعارف الإسلامية ،ت:أحمد الشنتاوي وآخرون (د ــ ت)
	دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي ،د. سعد البازعي،المركز الثقافي العربي،ط٣/٢٠٠٢
	الراوي : الموقع والشكل ، يمنى العيد ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، ط١/١٩٨٦

	رجال الطوسي،(محمد بن الحسن بن علي الطوسي) ،مؤسسة النشـــر الإســـلامي ،ط١/١٤١٥، قم ،ايران
	الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي ،هيثم الحاج علي،الإنتشار العربـــي ــ بيروت، ط١/ ٢٠٠٨:٢٦
	سرد الأمثال،(دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية مع عنايـــة بكتـــاب المفضل بن محمد الضبي"أمثال العرب")، د. لؤي حمزة عباس،اتحـــاد الكتـــاب العرب–دمشق/٢٠٠٣
	السرد العربي القديم :الأنساق الثقافية وإشـــكاليات التأويـــل،د.ضـــياء الكعبـــي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،ط١/٢٠٠٥
	السرد العربي القديم : الأنواع الوظائف والبنيـــات، أبـــراهيم صـــحراوي،الدار العربية للعلوم ناشرون–منشورات الأختلاف،ط١/٢٠٠٨
	السرد في مقامات الهمذاني ،أيمن بكر،الهيئة المصرية للكتاب ،(د .ط) ١٩٩٨
	سرديات العصر العربي الإسلامي الوسيط ، د . محسن جاسم الموسوي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء–بيروت ،ط١/١٩٩٧
	السردية العربية،بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي /د. عبـــد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت– الدار البيضاء، ١٩٩٢
	سلوان السرد دراسة في كتاب (سلوان المطاع في عدوان الاتباع)لأبي عبد الله بن ظفر الصقلي(ت:٥٦٨هـــ)،د.لؤي حمزة عباس،الموسوعة الثقافية،عدد(٦٠)، دار الشؤون الثقافية، بغداد
	سمات البطولة والجنوسة في قصص ألف ليلة وليلة ،عبد الرسول عـــداي ،دار الشؤون الثقافية،سلسلة كتاب مجلة الأقلام (٢)،ط١/٢٠٠٩
	سيرة ابن هشام، تر:مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفـــيظ شـــلبي،دار الكتب العلمية،بيروت، ط١/٢٠٠١

	السيرة النبوية لابن اسحاق ، تح : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢/٢٠٠٩
	السيرة والمغازي ،محمد بن اسحاق بن يسار،تح: سهيل زكار،دار الفكر،بيروت
	السيمياء والتأويل ،روبرت شولز ،ترجمة سعيد الغانمي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط١
	سيميائيات الصورة الإشهارية ، الإشهار والتمثلات الثقافية ، سعيد بنكراد ، افريقيا الشرق–المغرب ،٢٠٠٦ ،(د.ط)
	الشعرية، تزفيتان تودوروف، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، سلسلة المعرفة الادبية، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٧
	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والإضطهاد ،(شيخ كتاب السيرة محمد بن اسحاق أنموذجاً)، السيد نبيل الحسني ،منشورات العتبة الحسينية المقدسة–كربلاء ،مؤسسة الأعلمي ،بيروت،ط١/٢٠٠٩
	الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت٣٩٤)،تحقيق:أحمد عبد الغفور،دار الكتاب العربي–القاهرة، مادة (سرد) بمصر،(د.ت)
	الصوت الاخر– الجوهر الحواري للخطاب الأدبيّ، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد –العراق، ط١/ ١٩٩٢
	عالم الرواية، رولان بورنوف، وريال أوئيليه ،ترجمة: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية بغداد ط١/١٩٩١
	العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،تح:صلاح الدين المنجد،الكويت،١٣٨٦هـ
	عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي ،الأخبار والكرامات والطُرف د٠الهاشم أسمهر،الشبكة العربية للابحاث والنشر،بيروت،ط١/٢٠٠٨
	عجائبية النثر الحكائي ،أدب المعراج والمناقب،د.لؤي علي خليل،دار التكوين

	للتأليف والترجمة والنشر،دمشق/٢٠٠٧
	العصر الجاهلي(تاريخ الأدب العربي ١)،د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر،ط٣
	عصر الصورة ، السلبيات والإيجابيات ، د . شاكر عبد الحميد ، سلسلة عالم المعرفة (٣١١) ،٢٠٠٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت
	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥،دارالجيل–بيروت، ١٩٧٢
	عودة الى خطاب الحكاية ،جيرار جينيت ت:محمد معتصم ، المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء ــ بيروت ط١/٢٠٠٠
	الفروق في اللغة ، ابو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ــ الدار البيضاء ط١/١٩٩٤
	الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، ابراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط١– بغداد، ٢٠٠١.
	فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في ادب نبيل سليمان، محمد عزام،، دار الحوار، ط١، سورية –اللاذقية، ١٩٩٦
	فكرة الثقافة ، تيري إيجلتون ،دار الحوار ، سوريا ، تر: ثائر ديب،(د.ت)،(د.ط)
	فن الشعر ،ارسطو طاليس ،ت: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة ــ بيروت ، ١٩٧٣
	فن كتابة الرواية، ديان دوات فاير، تر: عبد الستار جواد ، مراجعة : عبد الوهاب الوكيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨
	الفهرست ،ابن النديم(محمد ابن اسحاق أبو الفرج النديم)،دار المعرفة،بيروت،١٩٧٨

	في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف ــ مصر ،ط١٠/١٩٦٩
	في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد، د.عبد الملك مرتاض،سلسلة عـــالم المعرفة ٢٤٠ ،الكويت ،١٩٩٨
	قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية،سعيد يقطين،المركـــز الثقـــافي العربي،ط١/١٩٩٧
	القاموس المحيط،مجـــد الـــدين الفيروزآبـــادي،(ت ٨١٧)،المكتبـــة التجاريـــة– القاهرة،١٩٩٣
	القراءة والتجربة (حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب)، ســـعيد يقطين، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٥
	القصص في الحديث النبوي. دراسة فنية وموضوعية، محمد بن حســـن الزيـــر، المطبعة السلفية، ط١، القاهرة، ١٩٧٨
	قواعد النقد الأدبي ،لاسل آبركرومبي ، ت:د.محمد عوض محمد ، دار الشـــؤون الثقافية ــ بغداد ،ط٢/١٩٨٦
	كتاب التعريفات،الشريف الجرجاني،دار الفكر، بيروت ، ٢٠٠٥
	كتاب العين: لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥هـــــ)، تـــح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة المعـــاجم والفهارس(٥٠)، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٤
	كشف الظنون عن أســـامي الكتـــب والفنون،مصـــطفى بـــن عبـــد الله حـــاجي خليفة،(ت١٠٦٧هـــ)،منشورات مكتبة المثنى–بغداد،د.ت
	الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، سعيد يقطين،المركز الثقافي العربي،بيروت ،الدار البيضاء،ط ١ /١٩٩٧م
	لذة النص ، رولان بارت ، تر : د. منذرعياشي ، مركز الإنمـــاء الحضـــاري ، سوريا ، ط٢/ ٢٠٠٢

	لسان آدم ،عبد الفتاح كيليطـــو ،تر:عبـــد الكبيـــر الشـــرقاوي،دار توبقال،الـــدار البيضاء،ط١/١٩٩٥
	لسان العرب،جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظـــور (ت٧١١)،تعليـــق:علـــي شيري،دار إحياء التراث العربي،ط١/١٩٨٨
	لـــيس مـــن ســـيرة الرســـول الكـــريم، غالـــب حســـن الشـــابندر،دار العلوم،بيروت،ط١/٢٠٠٦
	المبتدأ في قصص الأنبياء، محمد بن إسحاق صاحب السيرة،جمع وتوثيق: محمد كريم الكواز،مؤسسة الإنتشار العربي،بيروت،ط١/٢٠٠٦
	المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، د.عبد الله ابراهيم ،المركز الثقافي العربي، ط١/، ١٩٩٠
	مختار الصحاح ،محمد بن ابي بكر الرازي، دار الرسالة ــ الكويت، مادة "جنس"
	مختصر الميزان في تفسير القرآن ،جمع:سليم الحسني، مؤسســـةدار الأســـلام-مؤسسة العارف للمطبوعات-بيروت،ط١/١٩٩٦
	مدخل الى الأدب العجائبي ،تزفيتان تودروف، تر:الصديق بو علام،دار شرقيات ،القاهرة ،١٩٩٤.
	مدخل إلى نظرية القصة ، تحليلاً وتطبيقاً ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦
	مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ،(المنطلقات ، المرجعيات ، المنهجيات) ، د. حفناوي بعلي ، الدار العربية للعلوم-منشورات الإختلاف ،الجزائر- بيـــروت ،ط١/٢٠٠٧
	مدخل لجامع النص ، جيرار جينيت،ت:عبـــد الـــرحمن أيـــوب، دار الشـــؤون الثقافية،بغداد ــ دار توبقال، الدار البيضاء،ط١/ ١٩٨٥

	مروج الذهب، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٥هـ)، القاهرة، ١٣٤٦هـ
	مرويات المنفى ،دراسات في الرواية العراقية المعاصرة ،صادق ناصر الصكر،كتاب الصباح الثقافي، ،سلسلة تصدر عن جريدة الصباح، العراق ، عدد (٩) /٢٠٠٨
	المساحة المختفية ،قراءات في الحكاية الشعبية، ياسين النصير،المركز الثقافي العربي،ط١/١٩٩٥
	مسالك المعنى (دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية)، سعيد بنكراد ،دار الحوار ،ط١/٢٠٠٦
	:المستويات الجمالية في نهج البلاغة ،دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف ،دار الشؤون الثقافية –بغداد،ط١/ ٢٠٠٨
	المصطلح في الادب الغربي ، ناصر الحاني ، دار الكتب العصرية – بيروت، ١٩٦٨
	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،د.سعيد علوش،دار الكتاب اللبناني،بيروت–سوشبريس،الدار البيضاء،ط١/١٩٨٥
	معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩
	معجم مقاييس اللغة : ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
	مفاهيم نقدية،رينيه ولك، ت:د.محمد عصفور،سلسلة عالم المعرفة(١١٠) ١٩٨٧
	المفردات في غريب القرآن ـ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ـ تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت،ط٤/٢٠٠٥

	مفهوم التاريخ ،الألفاظ والمذاهب ،عبد الله العروي،المركز الثقافي العربي،الـــدار البيضاء–بيروت،ط٤/ ٢٠٠٥
	مفهوم النص ،دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيـــد،المركز الثقـــافي العربي،بيروت –الدار البيضاء،ط٤/١٩٩٨
	المقامات، السرد والأنساق الثقافية، عبد الفتاح كيليطو ،ت:عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال ــ المغرب ،ط٢/٢٠٠١
	المكونات الأولى للثقافة العربية ،د.عز الدين اسماعيل،دار الشوؤن الثقافية،بغداد،ط٢/١٩٨٦
	الملامح السياسية في حكايـــات ألـــف ليلـــة وليلة،أحمـــد محمـــد الشـــحاذ،دار الحرية،وزارة الإعلام–بغداد/١٩٧٧
	مملكة الباري، السرد في قصص الأنبياء،محمد كريم الكواز،مؤسسة الانتشـــار العربي، ط ١/ ٢٠٠٨
	من النص الى الفعل :أبحاث التاويل، بول ريكور، تـــر:محمـــد بـــرادة، حســـان بورقية،عين للدراسات والبحوث –القاهرة،ط١/٢٠٠١
	موسوعة السرد العربي،د. عبد الله إبراهيم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت،ط١/٢٠٠٥
	موسوعة كشاف اصطلاحات الفنـــون والعلـــوم ،محمـــد علـــي التهانوي،تقـــديم ومراجعة:د.رفيق العجم،تحقيق:د.علي دحروج،ترجمة من الفارســـية:د.عبـــد الله الخالدي،ترجمـــة مـــن الاجنبيـــة:د.جـــورج زيناتي،مكتبـــة لبنـــان ناشـــرون–بيروت،ط١/١٩٩٦
	نظام الزمان العربي،دراسة في التاريخيـــات العربيـــة–الاســـلامية،د.رضـــوان سليم،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط١/ كانون الثاني ،٢٠٠٦
	نظرة في أدبنا الشعبي :ألف ليلة وليلة وسيف بن ذي يزن،ألفة الأدلبي،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق/١٩٧٤

	نظرية الأدب، أوستن وارين ورينية ويليك ،ت:محي الدين صـــبحي، المؤسســة العربية للدراساة والنشر ــ بيروت، ط١١/١٩٨١
	نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، د.السيد إبراهيم محمد ، القاهرة،ط١ /١٩٩٤
	نظرية المنهج الشكلي،نصوص الشكلانيين الروس، تر:إبراهيم الخطيب،مؤسســة الابحاث العربية(بيروت)–الشركة المغربية،ط١/١٩٨٢
	النظرية والنقد الثقافي ،الكتابة العربية في عالم متغيــر : واقعهــا ، ســياقاتها ، وبناها الشعورية ، محسن جاسم الموسوي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشــر، بيروت،ط١/٢٠٠٥
	النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال،دار الثقافة ــ دار العــودة، بيــروت ١٩٧٣،
	النقد البنيوي والنص الروائي ، نماذج تحليلية من النقد العربي، محمد ســويرتي، افريقيا الشرق، ط٢/١٩٩٤
	: النقد التطبيقي التحليلي ، مقدمة لدراسة الأدب وعناصره في ضــوء المنــاهج النقدية الحديثة د . عدنان خالد عبد الله،دار الشؤون الثقافية – بغداد،ط١/١٩٨٦
	نقد ثقافي أم نقد أدبي ،د. عبد الله الغذامي و د. عبد النبي اصطيف ،دار الفكر–دمشق،سلسلة(حوارات لقرن جديد)،ط١ ،٢٠٠٤
	النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغــذامي ، المركــز الثقافي العربي ،الدار البيضاء –بيروت، ط٣/٢٠٠٥
	الهوية والسرد :دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د.نادر كاظم ،مركز الشــيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة–المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١/٢٠٠٦
	الوجود والزمان والسرد:فلسفة بول ريكور.تر: سعيد الغانمي،تحرير:ديفيد وورد

	المركز الثقافي العربي،ط١/١٩٩٩
	وفيات الاعيان وانباء الزمان : ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨

- الدوريات

	استراتيجيات الخبر وصياغة التاريخ،دراسة في كتاب(الاصـــنام)لابـــن الكلبـــي، د.لؤي حمزة عباس– مجلة ثقافات البحرينية العدد٢١/٢٠٠٨
	بلاغـــة التزويـــر ، دراســـة فـــي اخبـــار التزويـــر، كمـــا وردت فـــي كتاب(نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة) للقاضي التنوخي، ت٣٨٤هـــ ، د.لؤي حمزة عباس، مجلة المورد العراقية ، مجلد(٣٦)، العدد(٤)، ٢٠٠٩
	البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة، فريال جبوري غزول:٨٦،٨٧، مجلة فصـــول ع٤، شتاء ١٩٩٤، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
	التحليل البنيوي للسرد، رولان بارت، تر، حسن بحراوي وبشير القمري، مجلـــة آفاق المغربية، عدد (٨، ٩)، ١٩٨٨
	التداخل بـــين الأجنـــاس الأدبيـــة للمقامـــات، صـــالح بـــن رمضـــان ،مجلـــة جذور،ج٤،مجلد٢،جمادبي الآخرة،١٤٢١،سبتمبر/٢٠٠٠
	التطلع إلى النبوة دراسة في أخبار أمية ابن أبي الصلت،كما وردت فـــي كتـــاب "الأغاني"، د. لؤي حمزة عباس ، مجلة آداب البصرة العدد ٤٤/ ٢٠٠٧
	التلفيـــق والـــذاكرة والمكـــان،إدوارد ســـعيد،تر:رشـــاد عبـــد القادر،مجلـــة الكرمل،العدد:٧٠-٧١ /٢٠٠٢
	خصائص الخطاب السردي لدى نجيب محفوظ،عبد الملـــك مرتـــاض ، مجلـــة

	الفصول ، مج٩ ، عدد٣ ، ٤ ،فبراير ١٩٩١
	الرؤيا في النص السردي العربي ،نصر حامد أبو زيد،مجلة فصـــول ،مجلـــد١٣ ،عدد٣ ،خريف ١٩٩٤
	الرؤيا مكوناً سردياً ،سعيد عبد الهادي المرهج،مجلة مسارات العراقية،العـــدد ٣ ،خريف وشتاء ٢٠٠٦

	الشعر والسرد والنص بصفته كتلة ، د. علاء عبـــد الهـــادي ، مجلـــة الشـــعر ،مصر،عدد:١٣٤ صيف ٢٠٠٩
	فن الخبر في تراثنا القصصي ، شكري محمد عياد ، مجلة فصـــول المصـــرية مج٢، ع٤ ــ ١٩٨٢
	المجلس، الكلام، الخطاب: مدخل الى ليالي التوحيدي: سعيد يقطين: مجلة فصول/مج ١٤/العدد٤،شتاء ١٩٩٦
	المروي له وظيفته وموقعه في البنية السردية، فاضل ثامر، مجلـــة الاقـــلام، ع (١١-١٢)، لسنة ١٩٨٩
	المقال السردي: إبراهيم عبد القادر المازني إنموذجاً، د. محمد السماوي ،مجلـــة عالم الفكر،عدد٤،مج ٣٥أبريل-يونيو٢٠٠٧
	مقولات السرد الأدبي ، تودوروف ، تر:الحسين سحبان وفؤاد صفا،مجلة آفاق المغربية،عدد٨-٩، ١٩٨٨
	النقد الثقافي ،إ شكالية المصطلح ، صـــالح زامـــل ، مجلـــة مســـارات،العراق-بغداد،عدد١ ، نيسان/ ٢٠٠٥

- الرسائل والأطاريح

	بناء الحكاية التاريخية(تاريخ الطبري أنموذجاً)/ سعيد عبد الهادي المرهج ، اطروحة دكتوراه،جامعة بغداد،كلية التربية للبنات، ٢٠٠٧
	البنية السردية في أدب المعراج عند ابن العربي ،مها فاروق عبد القادر، رسالة ماجستير،جامعة بغداد-كلية التربية،١٩٩٩
	التحولات السردية في النثر العربي القديم،مقامات بديع الزمان الهمذاني إنموذجاً، عقيل عبد الحسين خلف ،رسالة دكتوراه ،جامعة البصرة ــالآداب /٢٠٠١
	ثلاثية يوسف القعيد(شكاوى المصري الفصيح)،دراسة في البنية السردية،خالدة حاتم علوان الدليمي،رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية التربية-ابن رشد- ٢٠٠٥
	السرد عند الجاحظ ،البخلاء انموذجاً، فادية مروان أحمد ،رسالة دكتوراه، جامعة الموصل ــ الآداب /٢٠٠٤
	السرد في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، جابر حسن هرم، رسالة ماجستير، جامعة الموصل ــ كلية التربية /٢٠٠٥
	المحاورات في العصر الاموي (دراسة أدبية)، خليل ابراهيم عبد الوهاب، رسالة دكتوراه، مقدمة الى كلية الاداب – جامعة بغداد، ١٤١٠ هـــ= ١٩٩٠م

Summary

The narrative of bibliographic text (Ibn-Husham's narration as a profile)

The prophetic bibliography is one of the most important publishing resources after the Holy Quran. it represents the second resource of legislation and the higher spiritual value of the Muslom's mind as well.

Ibn-Husham's narrative memoir (83 AD/218H) is one of the most important narrative memoir we ever have. It is revised version of ibn-Isshaq's memoir and he omitted much of it.

This research deals with forms of narration in Ibn-Husham's bibliography and as follows:

1- It deals with Ibn-Husham's memoir as text that has two spaces: the historical space and the literary space having the narrative techniques in building the sequence of news.
2- It analyses the bibliographic text and points its rules and its textual bases that control its stylistic characteristics as well as its signified and functional ones
3- It point the culture role in directing and guiding the news system in the prophetic bibliography that Ibn-Isshaq's memoir.
4- This research comes up with the prophetic bibliographic text which passed through three stages: the age of event, the prophet's age ((Allah's blessings and peace be on him)) the age of writing down and the age of Ibn-Isshaq. The

time of revising Ibn-Husham's time that lead to breaking the prophetic news that lead to breaking the prophetic news that pass over these three times, so we need to revise them consequently.

5- This research analyses the narrative of prophecy news and its miracles. We come up that the prophecy news before Mohammad's birth have formed the textual preparation for his coming as prophet. We see that the cultural Arab-Islamic stracture has become the revealing eye for this culture.

6- It follows the position of the new in the literary alliteration theory and we come up with the fact that Ibn-Husham was aware of making the genre the genre of the prophetic news as a story, talk, or narration, this research comes up with the fact that these news have their own narrative characteristics in which there is a variety of alliteration

Researcher

Ghanim. H. Ebudi Al-Zubaidy

Basrah University

College of Arts

Arabic Department

The Narrative of Bibliographic Text

(Ibn- Hushams narration as a profile)

M.A Thesis submitted by

Ghanim H. Ebudi- Alzubaidy

to the council of Arabic Department College of Arts Basrah University as a part of Requirements of Obtaining the Master degree in Arabic language and its Arts.

Supervised by

Assistant prof : Luai Hamza Abbass

April 2010 AD **1431 H**